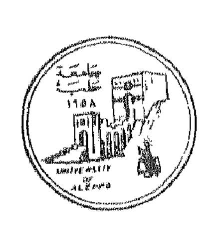


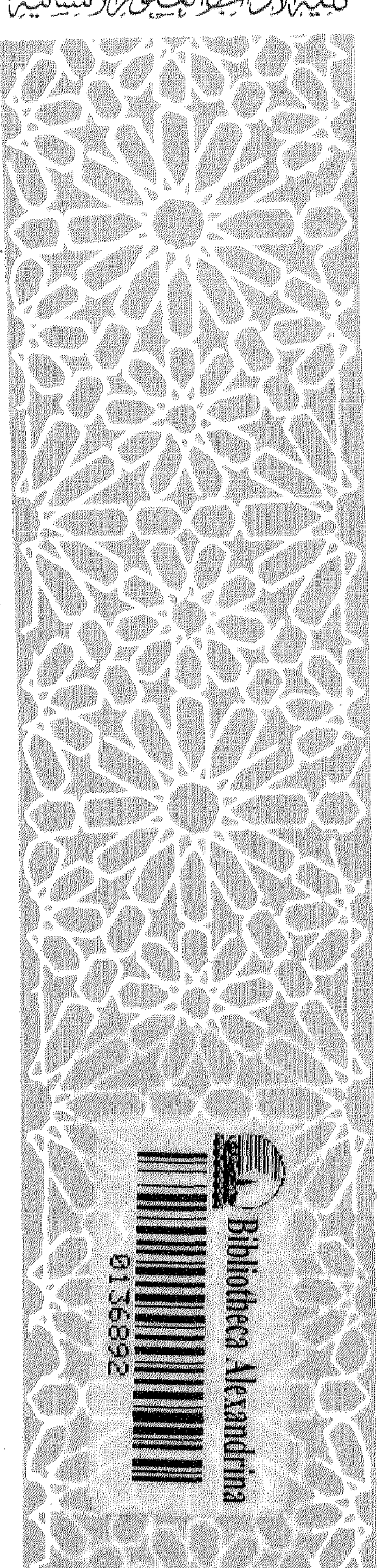
مصادر التراث والبحث في المكتبة العربية

محمود فاخوري

المدرس في كلية الآداب

مديرية الكتب والمطبوعات الجامعية

١٤١٩هـ - ١٩٩٨م



مصـــادر التراث والبحـــث
في المكتبــة العربيــة



منشورات جامعة حلب
كلية الآداب



مصادر التراث والبحث
في المكتبة العربية

محمود فاخوري
المدرس في كلية الآداب

السنة الأولى ـ قسم اللغة العربية

١٤١٦ هـ / ١٩٩٦ م

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

لأمتنا العربية صرح حضاري عريق ، متعدد الجوانب ، واسع الآفاق وما التراث الفكري ـ بوجوهه المختلفة ـ الا جانب واحد من تلك الجوانب الغنية • وعلى الرغم من الكوائن والآفات المتلاحقة التي أطاحت جانبا كبيرا من هذا التراث الفكري الحافل ، فقد بقي لنا منه روائع خالدات ، وأوابد وافرات تفوق في جملتها ما لدى الامم الاخرى •

على أن هذا الموروث الباقي من المكتبة العربية لم يطبع منه ، مع ذلك ، الا النزر اليسير ، وما زالت المكتبات العامة والخاصة في الشرق والغرب عامرة بالمخطوطات العربية التي تتناول مختلف العلوم والفنون والآداب ، والتي تحكي قصة تلك الحضارة الزاهية ، وتنطق بمآثرها وفضلها على العالم ، وتترقب من سدنة هذا التراث أن ينهضوا بعبء تحقيق الجيد من تلك المخطوطات ونشرها لتفيد منها الاجيال اللاحقة ، كما أفادت منها الاجيال السابقة •

وقد أتيح لي أن أدرس مادة « المكتبة العربية » في كلية الآداب بجامعة حلب بضعة عشر عاما ، وأن أسهم اسهاما متواضعا في تحقيق بعض الكتب ، وكنت ـ ولا أزال ـ أتابع ما تزجيه المطابع من ثمرات العقول والافكار في تراثنا العربي ، قديمه وحديثه •• وجعلني ذلك أتعرف كثيرا من جوانب هذا التراث في علومه الانسانية خاصة ، •• ولعل هذا كله هو الذي هيأ لي أن أصنف هذا الكتاب الذي يضع بين يدي القارىء صورة مشرقة لبعض ما تضمنه المكتبة العربية ، عسى أن تشده الى هذا التراث الحي من جهة ـ وتراث الامة هو تاجها ومبعث عزتها ـ وأن تأخذ بيده الى المطالعة والبحث من جهة أخرى •

ولما كانت كتب التراث والبحث المطبوعة وافرة جدا ، ومتنوعة جدا ، جاء هذا الكتاب ليقدم الى القارىء جملة من تلك المصادر الاساسية التي لا يحسن بالمثقف جهلها ، منسوقة في مجموعات بحسب الموضوعات التي تختص بها أو تغلب عليها ، وذلك في ميادين الشعر ، واللغة والمعاجم ، والثقافة الادبية ، والتراجم عامة ، وما يتصل بذلك من بعض المؤلفات الحديثة أو المعاصرة ، مما يقتضي مسايرة التطور في حركة التأليف والتصنيف ، ولا سيما اذا كانت السلسلة متصلة الحلقات •

وقد اقتضاني هذا التنسيق أن أوطىء لكل اضمامة من تلك الكتب بتمهيد يؤرخ لحركة التأليف والتصنيف في هذا الميدان ، ثم يعقبه تعريف مفصل بكل كتاب من كتب تلك المجموعة ، بادئاً بلمحة موجزة عن حياة مؤلفه وأشهر آثاره ، ومثنيا بالحديث عن الكتاب نفسه : موضوعه ، ومحتواه ، وطريقته وخصائصه ، وقيمته ، وما قد يؤخذ عليه • ولم أحاول أن أتقصى كل طبعاته اذا كانت كثيرة ، بل اقتصرت على ذكر أجودها ان كان هناك تفاوت فيما بينها ، والا أشرت الى أشهرها أو أكثرها تداولا ، لأن احصاء الطبعات كلها أمر لا طائل وراءه في مثل هذا الكتاب الوسيط ، ولا سيما بعد أن كثرت الطباعة بطريقة التصوير ، مع اغفال اسم الناشر وتاريخ الطبع ، في كثير من الاحيان •

وقد حرصت على أن أقدم التعريف بكل كتاب في يسر وتشويق يجعلان الكتاب قريبا من نفس القارىء بعيدا عن السردية والجفاف العلمي ، اللذين يؤديان الى تداخل أوصاف الكتب ، بعضها في بعض ، وربما ختمت الكلام على بعض المجموعات بتذييل رأيته ضروريا للتعريف الموجز بكتب أخرى في الموضوع نفسه ، حرصا على ألا يفوت القارىء تعرفها والالمام بها •

وبذلك كله جاء كتاب « مصادر التراث والبحث » هذا متكاملا ، يجمع بين النصوص الادبية واللغوية ، والتحقيقات العلمية ، والاحكام النقدية والجمالية وسير الاعلام وحياتهم ، فيجني القارىء قطوفا مختلفة المذاق من هذه الالوان الشائقة ، الى جانب ما يحوزه من معلومات ومعارف عن « الكتب » التي كانت موضع التعريف والدراسة •

وأنا لا أزعم ، بعد هذا ، أن كل ما جئت به في هذا الكتاب هو جديد ، فهناك أمور سبقني الى تناولها باحثون أجلاء ، أفدت من مؤلفاتهم التي كانت صوى لي ومنارات أسترشدها ، وفي مقدمتها كتابان اثنان كانا رائدين في مجال التعريف بتراثنا العربي العريق ، أولهما « حركة التأليف عند العرب »(١) لأستاذنا الفاضل الدكتور أمجد الطرابلسي ، الذي حاضرنا بهذا الكتاب في كلية الآداب بالجامعة السورية (جامعة دمشق اليوم) ، وثانيهما « مصادر التراث العربي »(٢) للأستاذ الدكتور عمر الدقاق •

---

(١) ظهرت طبعته الأولى في دمشق سنة ١٩٥٤ ـ ١٩٥٥ م •

(٢) طبع أول مرة في حلب سنة ١٩٦٨ • ثم تعاقبت بعد ذينك الكتابين كتب مطبوعة مؤلفة في هذا الاتجاه للأساتذة والدكاترة التالية أسماؤهم : طاهر أحمد مكي ، ومحمد عجاج الخطيب ، وعزة حسن ، وعمر رضا كحالة ، ومحمد ماهر حمادة ، ومصطفى الشكعة ، وعبد الرحمن عطبة ، وعز الدين اسماعيل ، والسيد تقي الدين ، ومحمد رضوان الداية •

وفي الوقت نفسه ، لا بد أن يكون هناك أشياء جديدة تضاف وتزاد ، لأن حركة التأليف ونشر التراث لم تقف قط ، ولن تقف في يوم من الايام ، فلا بد أن يساير الكتاب ركب التطور والتجديد ، فالتاليف في ميدان كتب التراث والبحث قابل للتجديد والتطور ، ما دامت هناك كتب تنشر وتحقق ، فتغني موارد البحث والدراسة ، ويكون بين يدي كل مؤلف ما يعينه على مزيد من التحليل والموازنة وابداء وجهات النظر ، على ضوء ما يتوصل اليه من نتائج ، وما يستنبطه من قواعد وأسس لا يجحد أثرها في تحديد مسار حركة التأليف عند العرب ، ومناهج التصنيف لديهم في تلك العلوم الانسانية .

ذلك مبلغ الجهد والطاقة ، وأرجو أن أكون قد رصفت بضع لبنات في صرح تراثنا العربي ، والتعريف بأهم مصادر التراث والبحث في المكتبة العربية . فاذا نظر اليها القارىء بعين الرضا فانها عن كل عيب كليلة ، وليس ترى عين الكريم سوى الحسن .

والله الموفق

حلب ـ ١٩٨٨/٣/٣١

محمود فاخوري

عصور الأدب العربي

اعتاد مؤرخو الأدب العربي أن يقسموا أطوار هذا الأدب ومراحله الى عصور ، تميز كل عصر منها بخصائص ومقومات مختلفة ، وهذه العصور ترتبط بالأحداث السياسية ، أو المناسبات التاريخية ، أو الأسر الحاكمة ، تسهيلا للدراسة ، ومراعاة لموضوعات الأدب والمؤثرات فيه :

١ ـ **العصر الجاهلي** (أو : عصر ما قبل الاسلام) : وهو يبدأ قبل الاسلام بنحو قرنين على الأكثر ، بحسب النصوص التي وصلت الينا ، وينتهي بظهور الاسلام ٠

٢ ـ **العصر الاسلامي** : وهو قسمان :

آ ـ **عصر صدر الاسلام** : يبدأ بظهور الاسلام ، ويشمل عصري النبوة والخلفاء الراشدين ، وينتهي سنة ٤٠ هـ ـ ٦٦١ م ، ومدته نصف قرن تقريبا٠

ب ـ **العصر الأموي** : يبدأ بخلافة معاوية بن أبي سفيان سنة ٤٠ هـ ـ ٦٦١ م وينتهي بخلافة مروان بن محمد سنة ١٣٢ هـ ـ ٧٥٠ م ٠ وقد امتد اثنين وتسعين عاما هجريا ، تولى الخلافة فيها الفرعان : السفياني والمرواني ٠ وانتهى بسقوط دولة بني أمية ٠

٣ ـ **العصر العباسي** : امتد خمسة قرون وربع القرن ١٣٢ ـ ٦٥٦ هـ ٧٥٠ ـ ١٢٥٨ م ٠ وهو أربعة أقسام(١) :

آ ـ **العصر العباسي الاول** : مدته قرن واحد ١٣٢ ـ ٢٣٢ هـ بدءاً من خلافة أبي العباس السفاح ، وقيام الدولة العباسية ، وينتهي سنة تولي المتوكل الخلافة ٠

ب ـ **العصر العباسي الثاني** : يبدأ بخلافة المتوكل سنة ٢٣٢ هـ ، وينتهي بقيام دولة البويهيين في بغداد سنة ٣٣٤ هـ ٠

---

(١) آثرنا في هذه التقسيمات ما هو شائع بين الدارسين ٠ على أن هناك تقسيمات أخرى للعصر العباسي نفسه ، تطلب في كتب تاريخ الأدب العربي وما اليها ٠

ج ـ **العصر العباسي الثالث** : وهو العصر الذي حكم خلاله البويهيون (٣٣٤ ـ ٤٤٧ هـ) ونشطت فيه حركة التاليف ، كما ازدهرت الثقافة العربية في المشرق والمغرب معاً ٠

د ـ **العصر العباسي الرابع** : (٤٤٧ ـ ٦٥٦ هـ) ويمتد من تـولي السلاجقة أمور الدولة في بغداد حتى سقوط الدولة العباسية على أيدي التتار بقيادة هولاكو ٠ وقد كانت البلاد في هذه الحقبة مسرحا للفتن والحروب والاضطرابات السياسية ٠

٤ ـ **العصر الأندلسي** : افتتحه الأمير عبد الرحمن الداخل ، صقـر قريش ، منذ أن استقل بامارته في الأندلس عن الدولة العباسية سنة ١٣٨ هـ ـ ٧٥٥ م ، وانتهى هذا العصر بسقوط غرناطة سنة ٨٩٧ هـ ـ ١٤٩٢ م ٠ وحكم خلاله ، بعد العهد الأموي في الأندلس (١٣٨ ـ ٤٢٢ هـ) دول مختلفة مثل : ملوك الطوائف ، والدولة الزيرية ، والعامرية ، والجهورية ، والمرابطين، والموحدين ، وأخيراً دولة بني الأحمر في غرناطة ٠

٥ ـ **العصر المملوكي** : (٦٥٦ ـ ٩٢٢ هـ) ، (١٢٥٨ ـ ١٥١٦ م) ، يبدأ بسقوط بغداد ، وينتهي باستيلاء العثمانيين على بـلاد الشـام ومصر وغيرهما عقب معركة مرج دابق ، قرب حلب ، بين جيش المماليك بقيادة السلطان قانصوه الغوري ، وجيش العثمانيين بقيادة السلطان سليم ٠

٦ ـ **العصر العثماني**(١) : (٩٢٢ ـ ١٢١٣ هـ) ، (١٥١٦ ـ ١٧٩٨ م) ، وخلال هذا العصر حكم العثمانيون البلاد العربية التي أصبحت ولايات تابعة للسلطنة العثمانية في الآستانة (استانبول) ٠

٧ ـ **العصر الحديث** (أو : عصر النهضة الحديثة) : ويمتد هذا العصر الى يومنا هذا(٢) ٠٠ أما بدايته فتعتبر منذ دخول نابليـون الى مصر سنـة ١٢١٣ هـ ـ ١٧٩٨ م ، وان لم يكن خروج العثمانيين من البلاد العربية في وقت واحد ، اذ أنهم خرجوا من هذه البلاد في سنوات مختلفة ، ومن الصعب جدا الاتفاق على سنة واحدة ينتهي بها حكم العثمانيين للبلاد العربية ٠

---

(١) يطلق بعض الدارسين على العصرين المملوكي والعثماني اسم « عصور الدول المتتابعة » أو « عصور الانحطاط » أو « عصور الانحدار » ٠ والمجال لا يتسع هنا لمناقشة هذه التسميات وأمثالها ٠

(٢) وربما جعل بعضهم بداية عصر النهضة منذ تولي محمد علي باشا الحكم سنة ١٢٢٠ هـ ـ ١٨٠٥ م ٠



الباب الأول

المجموعات الشعرية



تمهيد
في رواية الشعر العربي وتدوينه

الشعر العربي ــ كما قيل ــ ديوان علم العرب ، وسجل حياتهم ، وهو مظهر عبقريتهم ، ومنتهى حكمتهم • بل هو ــ كما قال ابن رشيق ــ « فخارهم العظيم ، وقسطاسهم المستقيم » ، به يأخذون ، واليه يصيرون • ولم يكن لهم علم أصح منه ، فلا غرو أن يكون له قيمة عظيمة في أيامهم الحافلة ، وأسواقهم الأدبية ، وأن يكون عامة السامر عندهم ، ومدار حلقات القوم لديهم ، يحفظونه تارة ، ويروونه تارات ، ويتدارسونه في المواسم يوم كانت تضرب للنابغة الذبياني قبة الأدم في عكاظ ، فيحكم بين الشعراء والشواعر ، من أمثال حسان بن ثابت ، والأعشى ، والخنساء •

ومن المعروف أن « القبيلة من العرب اذا نبغ فيها شاعر أتت القبائل فهنأتها ، وصنعت الأطعمة ، واجتمع النساء ، يلعبن بالمزاهر ، كما يصنعون في الاعراس ، ويتباشر الرجال والولدان ، لأنه حماية لأعراضهم ، وذب عن أحسابهم ، وتخليد لمآثرهم ، واشادة بذكرهم »(١) •

وما زال هذا دأبهم وهجيراهم في الاسلام بعد الجاهلية أيضا ، اذ أصبح الشعر جوهر ميادين السياسة والأدب ، وأس « مناهج » التربية والتعليم ، وصاحب القدح المعلى في التهذيب والتثقيف • وقد جاء في **مأثور الحديث النبوي** : « لا تدع العرب الشعر حتى تدع الابل الحنين » ، وهيهات أن تدع الأينق حنينها •

وأوصى **الفاروق** أحد أبنائه بقوله : « احفظ محاسن الشعر يحسن أدبك » ، كما كتب هذا الخليفة الراشد الى أبي موسى الأشعري قائلا : « مُر مَن قبلك بتعلم الشعر ، فانه يدل على معالي الاخلاق ، وصواب الرأي ، ومعرفة الأنساب » •

وقال أول خليفة أموي : « اجعلوا الشعر أكبر همكم ، وأكثر أدبكم » •

ذلك كله يدل على مكانة الشعر في نفوس العرب ، واحتفائهم به مهما تقلبت بهم الدهور • **ومن ثم كان هذا الشعر غزير المادة لديهم** منذ الجاهلية ، وازداد غزارة فيما تلاها من عصور ، حتى ان قصائده ومقطوعاته أكثر من أن

---

(١) العمدة ١/٦٥ • يتباشرون : يبشر بعضهم بعضا •

يحيط بها محيط ، أو يقف من وراء عددها واقف ، ولو أنفد عمره في التنقير عنها وعن قائليها من الشعراء ، واستفرغ مجهوده في البحث والسؤال ·

وكان العرب يتناقلون الشعر حفظا ورواية عن أصحابه ، أو بعضهم عن بعض ، وقد عرفوا ما يسمى بالمدارس الشعرية القائمة على رواية الشعر والتأثر به معاً : **كالمدرسة الأوسية** التي تبدأ صعوداً من الحطيئة ، الشاعر المخضرم ، الذي كان راوية زهير بن أبي سلمى وابنه كعب بن زهير ، كما كان زهير راوية زوج أمه الشاعر أوس بن حجر · ومن هذه الحلقات أيضا حلقة أخرى تبدأ بكثير عزة ، الذي كان راوية جميل بثينة ، وجميل هذا كان راوية الشاعر المخضرم هُدبة بن الخشرم ، وكان هدبة راوية الحطيئة ·

ولما جاء الاسلام شغل العرب عن الشعر بالجهاد والفتوح ، وغزو فارس والروم ، ـ كما يقول ابن سلاّم ـ ثم اطمأنوا بالأمصار واستقرت دولتهم ، وعندئذ « راجعوا رواية الشعر ، فلم يؤولوا الى ديوان مدون ، ولا كتاب مكتوب ، وألفوا ذلك وقد هلك من العرب من هلك بالموت والقتل ، فحفظوا أقل ذلك ، وذهب عليهم منه كثير » حتى قال أبو عمرو بن العلاء : « ما انتهى اليكم مما قالته العرب الا أقله ، ولو جاءكم وافراً لجاءكم علم وشعر كثير »(١)·

ومع ذلك فقد نشطت رواية الشعر في صدر الاسلام ، وفي العصر الأموي خاصة لأسباب مختلفة ، وكان للعصبيات القبلية أثرها في هذا الميدان ، الى جانب التنافس بين الحواضر الاسلامية في الحجاز والشام والعراق ، وكثرة مجالس العلم والأدب والشعر لدى الرعاة والرعية على السواء · **وقد هيأ هذا كله لتدوين الاشعار وجمعها منذ أواسط القرن الثاني للهجرة ، مع بداية قيام الدولة العباسية ، ونشاط حركة التدوين** في ميادين العلوم والآداب(٢) ، ووضع علم النحو وجمع مفردات اللغة العربية ، والأحاديث النبوية ، بل ان الشعر نفسه قد أصبح محوراً لكثير من العلوم والثقافات ، فالأديب مثلا يتذوق ما فيه من مجالي الجمال والفن ، وأساليب البيان ، وكل عالم واجد في هذا الشعر ما يروي غليله وينقع ظمأه ، سواء في ذلك النحوي ، والبلاغي ، واللغوي ، والمؤرخ ، والمفسر ، والمحدث ·· ومن اليهم ·

---

(١) طبقات فحول الشعراء ، لابن سلام ٢٢ ـ ٢٣ · والوافر : التام الذي لم ينقص منه شيء ·

(٢) لم يكن التدوين بدعا في هذه الفترة ، فقد عرف قبل ذلك بسنين طويلة ولكن على نطاق ضيق جدا وبصورة محدودة ، وتجلى ذلك في شيء يسير جدا من الاشعار والأخبار والأيام والاحاديث النبوية ، هذا الى جانب القيام بجمع القرآن وكتابته في خلافتي عمر وعثمان ·

وكان من وراء ذلك أيضاً شعر مفتعل موضوع ، لا خير فيه ، وقد سلط على الشعر من خلف الأحمر وحمّاد الراوية وغيرهما ما أفسده ، ولا مجال هنا لتفصيل القول في دوافع نحل الشعر ، والمهم أن العلماء الأثبات قد بينوا ذلك وتعقبوه ، حتى قال ابن سلام : « وليس يُشكل على أهل العلم زيادة الرواة ، ولا ما وضعوا ، ولا ما وضع المولدون »(١) ·

لم يقتصر جمع الشعر اذن على الرواية الشفوية فحسب ، بل عكف كثير من الرواة على التصنيف الجدي والتدوين الشامل ، وقلما كانوا يعتمدون في هذا الجمع على الصحف القليلة المدونة ، لأن هذه الصحف كانت عرضة للتحريف والتصحيف ، لسوء الخط ، وفقدان النقط والشكل ، وتعدد النساخ ، وكثرة التداول بين الأيدي ، ولأن أصحاب هذه الصحف لم يأخذوا ما فيها « عن أهل البادية ، ولم يعرضوه على العلماء ، وليس لأحد ــ اذا أجمع أهل العلم والرواية الصحيحة على ابطال شيء منه ــ أن يقبل من صحيفة ، ولا يروي عن صحفي»(٢) ·

وتنوعت اعمال الرواة في تدوينهم للشعر العربي وجمعهم لأشتاته ، بعد أن تلقوه من أفواه رواة القبائل ومن الأعراب في البوادي ، بل كان الاعراب أنفسهم يفدون أحيانا على الحواضر ليأخذ عنهم الرواة والعلماء : الشعر واللغة والأخبار والأيام ·

ومن أشهر أولئك الرواة : المفضل الضبي ، وأبو عمرو الشيباني ، والأصمعي ، وأبو سعيد السكري ، ومحمد بن حبيب ، وأبو الحسن الطوسي....

وقد اتجه قسم من هؤلاء الرواة الى جمع دواوين الشعراء ، كل شاعر على حدة ، فأبو عمرو الشيباني جمع دواوين : امرىء القيس ، ولبيد بن ربيعة ، وتميم بن أبي بن مقبل ، ودريد بن الصمة ، والأعشى والحطيئة ·· ومحمد بن حبيب جمع أشعار ذي الرمة ، والفرزدق ، وجران العود ، والصمة القشيري · ومن هذا ترى أن الشاعر الواحد قد يجمع شعره راو أو أكثر ، ولذلك تختلف الروايات وعدد القصائد بحسب جامعها أو راويها ·

---

(١) طبقات فحول الشعراء ٤٠ ·

(٢) المصدر نفسه ٦ · والصحفي : الذي يأخذ علمه عن صحيفة مكتوبة ، لم يعرض على العلماء ، ولم يتلق علمه بالرواية ·

ومن هؤلاء الرواة أنفسهم ، أو من غيرهم ، من اتجهوا الى جمع أشعار قبائل معينة ، كل قبيلة في ديوان مستقل ، فهذا **أبو سعيد السكري** يقوم بجمع أشعار خمس وعشرين قبيلة ، كبني هذيل ، وشيبان ، ويربوع ، وطيىء ، وكنانة ، وضبة ، ومخزوم ، ومزينة ٠٠ كما أن **أبا عمرو الشيباني** جمع أشعار ما يزيد على ثمانين قبيلة ٠ ولكن ، للأسف ، لم يصل الينا من دواوين أشعار القبائل سوى ديوان واحد هو « **ديوان الهذليين** » الذي جمعه وشرحه أبو سعيد السكري، ويضم أشعار حوالي أربعين شاعرا من قبيلة هذيل ٠

هذا الى أن هناك جماعة من الرواة اتجهت الى تصنيف ما يسمى بكتب الاختيار ، ونعني بها المجموعات الشعرية المختلفة التي تضم مختارات شعرية من مختلف العصور والأصقاع ، تتنوع بتنوع محتوياتها وطرائقها وكيفية ترتيب قصائدها ومقطوعاتها ، ومنها : المفضليات ، والأصمعيات ، وجمهرة أشعار العرب ، و « الحماسات » المختلفة ، والأشباه والنظائر وغيرها ٠

تلك سمات حركة رواية الشعر العربي وتدوينه ، وخصائص تلك الحركة في طرائقها ومناهجها ومسارها على مر العصور في الحواضر والبوادي ، **وسوف نقف في الصفحات التالية عند أشهر المجموعات الشعرية ، في القديم والحديث ، سواء في ذلك كتب الاختيار ، ودواوين القبائل** ، أما الدواوين الشعرية المفردة فلا سبيل الى الوقوف عندها ، لقلة الفائدة منها في نطاق هذا الكتاب ٠

* * * *

المفضّليات

للمفضّل الضبّي

المؤلف : هو المفضل بن محمد الضبي ، من أهل الكوفة . كان راوية للأشعار والاخبار وأيام العرب ، وأحد القراء البارزين ، ومن علماء اللغة والغريب . وكان موثقا في روايته ، اذ عرف بالصدق والامانة في النقل ، خلافا لرواة الكوفة الآخرين ، كخلف الاحمر ، وحمّاد الراوية ، توفي سنة (١٦٨ هـ) . وطبع من مؤلفاته : أمثال العرب ، والمفضليات .

الكتاب : « المفضليات » هي احدى المجموعات الشعرية التي اختار فيها الأئمة المتقدمون عيون الشعر العربي ومحاسنه . ويضم هذا الكتاب نخبة من القصائد الجيدة لشعراء قدامى ، من جاهليين ومخضرمين واسلاميين أوائل .

ويروى في سبب تأليف « المفضليات » أن المفضل الضبي كان فيمن اشترك في ثورة ابراهيم بن عبدالله .. الطالبي ، على أبي جعفر المنصور ، الخليفة العباسي الثاني (ـ ١٥٨ هـ) . فلما أخفقت تلك الثورة وظفر المنصور بالمفضل ، عفا عنه ، وألزمه تعليم ابنه المهدي ، فاختار له تلك الاشعار التي سميت بالمفضليات .

وتذكر بعض الروايات أن ابراهيم بن عبد الله كان مختبئا عند المفضل وفي أثناء ذلك اختار عدداً من القصائد ، مما تضمه مكتبة المفضل ، وقدمها اليه، فأتم المفضل عليها باقي الكتاب .

وقيل : ان الاصمعي وبعض تلامذته زادوا في تلك القصائد عدداً آخر ، حتى اكتملت في نظامها النهائي .

فهذه الروايات تثبت للمفضل الضبي نصيباً من الاختيار ، ولكن يصعب الجزم بما كان أصلا ، وما كان مزيداً .

ويغلب على الظن أن المفضل الضبي ترك كتابه بلا تسمية ، فجاء مَن بعده فأطلقوا عليه اسم « المفضليات » تمييزاً له من كتب الاختيار ، الاخرى .

ويبلغ عدد القصائد في هذا الكتاب (١٢٨ ـ ١٣٠) بحسب رواتها والنسخ التي وصلت الينا . وقد تتقدم بعض القصائد أو تتأخر ، بين نسخة وأخرى . أما عدد الشعراء فهو ٦٦ شاعراً ، معظمهم من الجاهليين ، وقليل

منهم مخضرمون واسلاميون · وقد يذكر للشاعر الواحد عدة قصائد ، حتى بلغ عدد الأبيات جميعا ٢٧٠٠ بيت ·

وتعد « المفضليات » أقدم مجموعة صنفت في اختيار الشعر العربي ، وذلك منذ منتصف القرن الثاني للهجرة ، وبذلك حفظت لنا جانباً هاماً من الشعر القديم الذي كان عرضة للضياع · وقد أثبتت القصائد فيها كاملة ، لم يُقتطع منها شيء · الا أنها لم ترتب ترتيبا معينا ، بل سردت سرداً عشوائياً، دون أن تخضع لترتيب زمني ، أو ترتب بحسب الموضوعات ، أو بحسب القوافي، كما أنها خالية من المقدمة · وقد افتتحت بالقصيدة الاولى لتأبط شراً ، ومطلعها :

يا عيدُ ما لك مـن شـوق وايـراقِ ومرِّ طيف على الأهـوالِ طـرّاق(١)

ثم تتوالى القصائد تباعاً حتى نهاية الكتاب ·

وشعراء المفضليات كلهم مجيدون ، وفيهم المشهورون وأصحاب الدواوين الشعرية : كبشر بن أبي خازم ، وسلامة بن جندل ، وعلقمة بن عبدة الفحل ·· وفيهم المقلون والمغمورون ، مثل : أفنون التغلبي ، وعبد يغوث الحارثي ، وربيعة بن مقروم الضبي ··

ويمكن النظر الى « المفضليات » ـ من ناحية مضمونها ـ على أنها مرآة لحياة العرب في عاداتهم وأخلاقهم ، ومحاسن شيمهم ، وما كان لهم من الحروب والوقائع ·

وقد طبعت « المفضليات » مراراً في القاهرة ، وبيروت ، وأجود طبعاتها تلك التي حققها أحمد شاكر وعبد السلام هارون ، وألحقا بها فهارس جيدة ومفيدة ·

ومن شروحها المطبوعة : شرح أبي محمد الأنباري « ـ ٣٠٥ هـ » وشرح الخطيب التبريزي (ـ ٥٠٢ هـ) ·

أما أشهر قصائدها ، فمنها :

١ ـ **قصيدة الشاعر الجاهلي « عبد يغوث الحارثي »** ، الذي وقع أسيراً في أيدي أعدائه ، ولما جهزوه للقتل قال تلك القصيدة ، وأولها :

---

(١) العيد : ما يعتاد الانسان من حزن وشوق · مالك · ما أعظمك · الايراق : الأرق·

الا لا تلوماني ، كفى اللــوم ما بيــا — وما لكما في اللــوم خــير ولا ليـــا
ألم تعلما أن الملامـــة نفعهـا — قليل ، وما لومي اخــي من شماليا(١)

٢ ـ عينية الشاعر المخضرم « أبي ذؤيب الهذلي » ، التي رثى فيها أولاده الخمسة الذين ماتوا بالطاعون في عام واحد ، ومنها :

أمِــن المنــون وريبهــا تتوجـعُ — والدهرُ ليس بمُعتب ـ مَن يجــزَعُ(٢)
قالــت اميمةُ : ما لجسمـك شاحبـا — منذ ابتذلت ؟ ومثـل مالك ينفـعُ(٣)
أم ما لجنبــك لا يــلائمُ مضجعـا — الا اقضّ عليـــك ذاك المضجــعُ
فاجبتُهـــا : اما لجسمـي ، انــه — اودى بنـيَّ مــن البــلاد ، فودعوا(٤)
اودى بنيّ ، واعقبونـــي غُصــة — بعـد الرقــاد ، وعَبــرة لا تُقلــع
فغبــرتُ بعـدهم بعيش ناصـــب — واخـــال انـي لاحــق مستتبــع(٥)
ولقد حرصــتُ بــان ادافــعَ عنهـم — فــاذا المنيــةُ اقبلـت لا تُدفــعُ
واذا المنيـــةُ انشبـت اظفارهـــا — الفيــتَ كــلَّ تميمـــة لا تنفـــع
وتجلـدي للشامتـــين ـ اريهـــمُ — اني لريــب الدهـــر لا اتضعضع
والنفـــس راغبـــة اذا رغبتهـــا — واذا تُـردُّ الى قليـــل تقنـــعُ
ولـئن بهـم فجـــع الزمانُ وريبـه — انـــي باهـــل مودتـــي لمفجّـــعُ
كم مـن جميع الشمل ملتئم الهـــوى — كانــوا بعيش قبلنـــا فتصدعـــوا

* * * *

(١) الشِمال (بكسر الشين) : الخلق والطبيعة ، وجمعه : الشمائل ·
(٢) المعتِب : اسم فاعل من أعتب بمعنى : أرضى ·
(٣) منذ ابتذلت : أي منذ ابتذلت نفسك ومات من كان يكفيك أمورك من بنيك ·
(٤) أمّا لجسمي : أصلها « أن ما » أي ان الذي حصل لجسمي هو موت أولادي وتركهم اياي ·
(٥) غبرت : بقيت · ناصب : شديد ، متعب · مستتبع : لاحق ·

الأصمعيات
للأصمعي

الأصمعي : هو عبد الملك بن قريب ٠٠ ونسبته الى جده « أصمع » ٠ كان زاوية العرب ، وأحد أئمة العلم باللغة والشعر والبلدان ، كما كان صاحب أخبار ونحو وغريب ، نشأ في البصرة ، وكان كثير التطواف في البوادي ، يقتبس علومها ، ويتلقى أخبارها ، ويتحف بها الخلفاء ، فيكافأ عليها بالعطايا الوافرة ٠ توفي سنة ٢١٦ هـ ٠

ومن مؤلفاته المطبوعة : الابل ، والأضداد ، والنخل والكرم ، وخلق الانسان ، وفحولة الشعراء ، والأصمعيات ٠

وكتابه « **الأصمعيات** » كصنوه « المفضليات » من المجموعات الشعرية القديمة ، ويعد متمما لكتاب المفضل الضبي ٠ وهو يضم مختارات من الشعر الجاهلي ، والمخضرم ، والاسلامي الذي يمتد حتى أواسط العصر الاموي ٠

ويغلب على الظن أن تلاميذ الأصمعي هم الذين أطلقوا على كتابه هذا اسم « الأصمعيات » تمييزاً لاحدى المجموعتين من الأخرى ، كما كان الشأن في « المفضليات » ٠

وعلى الرغم من هذا التمييز ، فقد وقع الاختلاط بين بعض قصائد الكتابين ، منذ القديم ، حتى ذكر بعض العلماء قصائد من المفضليات على أنها أصمعيات ٠ وربما كان من أسباب ذلك التداخل أن كثيرا من الوراقين القدامى كانوا يجمعون بين الكتابين في مجلد واحد ، وأن المجموعتين تتشابهان في طريقة الاختيار ، حتى ان بضعة عشر شاعرا تكررت أسماؤهم أو قصائدهم في الكتابين معاً ٠

ويبلغ عدد قصائد « الأصمعيات » ٩٢ قصيدة في طبعتها الاخيرة المحققة ومجموع أبياتها ١٤٣٩ بيتا ٠ أما الشعراء فعددهم ٧١ شاعرا ، اختير لبعضهم قصيدة واحدة ، ولآخرين قصيدتان أو أكثر ٠

ومختارات « الأصمعيات » يغلب عليها القصر ، حتى تصل الى البيتين أحيانا كما في أصمعية يزيد بن الصَّعِق ٠ وفيها قصيدة واحدة طويلة تبلغ ٤٤ بيتاً للشاعر الأموي سوّار بن المضرَّب ٠

وفي الشعراء من هو مشهور : كامرىء القيس ، وطرفة بن العبد ، وعمرو ابن معدي كرب ٠٠ وفيهم المغمور : كأحيحة بن الجلاح ، وضابىء بن الحارث ٠

ونلاحظ في قصائد « الأصمعيات » ما لاحظناه في « المفضليات » من فقدان الترتيب ، على أي وجه من الوجوه • وتعد خير متمم لمجموعة المفضل من حيث تصوير واقع الشعر العربي القديم ومناحيه الفكرية والاسلوبية ، وتمثيله لحياة العرب في مختلف جوانبها • وهي خالية من المقدمة • وقد بدأها الاصمعي مباشرة بقصيدة سُحيم بن وثيل الرياحي ، التي أولها :

انـــا ابـنُ جـلا وطـلاع الثنايـــا　　متـى اضـــعِ العمامـــة تعرفـوني(١)

وقد طبعت « الأصمعيات » في الغرب والشرق ، وأجود طبعاتها تلك التي حققها أحمد شاكر وعبد السلام هارون ، وأنجزا طبعها أول مرة سنة ١٩٥٥ م، ثم أعيد طبعها وتصويرها مرارا • وفي آخرها فهارس متنوعة تيسر الاستفادة من الكتاب •

وتبقى شهرة الأصمعيات دون شهرة المفضليات ، مع أن القارىء يجد نفسه أكثر اعجابا وأشمل طربا بنماذج الاصمعيات منه بأختها المفضليات ، فالأصمعي أديب راوية ظريف ، وقد انعكست شخصيته الى حد كبير عـــلى مختاراته ، أما مختارات المفضل فيغلب عليها القوة وفخامة الاسلوب والغرابة في الألفاظ(٢) •

ومن أشهر قصائد « الأصمعيات » :

١ ــ **قصيدة الشاعر الصعلوك عروة بن الورد** ، وأولها :

أقلـــي عليّ اللـــوم يابنـــة منـذرِ　　ونامي ، فان لم تشتهـي النومَ فاسهري
ذريـنـي ونفسي ، أم حسـانَ ، انـنـي　　بهـا قبـل ألا أملـك البيـعَ مـشتري
أحاديث تبقـى ، والفتى غـيرُ خالـد　　اذا هــو أمسى هامـة تحـت صَـيِّر(٣)
ذَريـنـي أطــوّف في البـلادِ لعلني　　أخليـك ، أو أغنيـك عـن سـوء محضر
فـان فـاز سهـم للمنيـــة لم أكـن　　ـجَزوعـا ، وهل عــن ذاك من متأخر
وان فاز سهمي كفكم عـــن مقاعـد　　لـكم خلف أدبـار البيــوت ومنظـر

(١) ابن جلا : يعني ابن من كشف الأمور وأوضحها • الثنايا : حمع ثنية وهي الطريق في الجبل • طلاع : بالجر على أنه وصف لأبيه ، وبالرفع على أنه من صفته هو • يريد أنه جـَلد مغالب للصعوبات • أضع العمامة : أسفر وأرفع اللثام عن وجهي •

(٢) نترك للطلاب أن يوازنوا بين « الأصمعيات » و « المفضليات » بعد اطلاعهم على الكتابين أنفسهما ، من جهة ، ومن خلال ما قرؤوه عنهما ، هنا ، من جهة أخرى •

(٣) الصـَّيِّر ، بتشديد الياء المكسورة : القبر •

٢ ـ قصيدة دريد بن الصمة في رثاء أخيه عبدالله ، ومنها :

أمرتهمُ أمري بمنعرج اللوى ... فلم يستبينوا الرشدَ الا ضحى الغد
وما أنا الا منْ غزية ، ان غوَت ... غويتُ ، وَان ترشد غزية أرشد
تنادوا ، فقالوا : أردت الخيلُ فارسا ... فقلت : أعبدُ اللهِ ذلكمُ الردي ؟
وان يكُ عبدُ اللهِ خلى مكانه ... فما كان وقافا ، ولا طائش اليد
صبا ما صبا ، حتى علا الشيبُ راسه ... فلما علاه قال للباطل : ابعد
وهون وجدي انني لم أقل له : ... كذبتَ ، ولمْ أبخل بما ملكت يدي

* * * *

جمهرة أشعار العرب

لأبي زيد القرشي

المؤلف وعصره : هو أبو زيد ، محمد بن أبي الخطاب القُرشي • لا نعرف عنه أكثر من ذلك ، اذ لم تذكره كتب التراجم والطبقات • ومن هنا جهد الباحثون المعاصرون في تحديد عصره على الاقل ، فراحوا يستوحون ذلك من المقدمة الطويلة التي أنشاها أبو زيد لكتابه جمهرة أشعار العرب ، ومن الكتب التي نقلت من الجمهرة ، أو ذكرتها في العصور التالية • حتى اختلفوا في تعيين عصره • وربما كان ابن رشيق المتوفى سنة ٤٦٣ هـ أول من ذكر جمهرة القرشي ونقل عنها • وهذا يلقي ضوءاً يسيرا على العصر ، ويجعلنا نجزم أن القرشي قد عاش في النصف الأول من القرن الخامس للهجرة ، أو أنه من رجال القرن الرابع على الأكثر • آية ذلك أنه يروي ، في أكثر من موضع من مقدمته ، عن رجل يدعى « المفضل بن عبدالله المجبري » ــ وهو غير المفضل الضبي(١) ــ والمفضل المجبري مجهول أيضاً ، ولكنه من أحفاد الخليفة الراشد عمر بن الخطاب ، يفصل بينهما خمسة رجال في سلسلة النسب • ثم ان المجبري هذا يروي في مقدمة الجمهرة « عن أبيه عن الأصمعي » ، كما يروي في موضع آخر منها « عن أبيه ، عن جده ، عن أبي عبيدة » • وعلى هذا يكون « المفضل المجبري » من رجال القرن الثالث ومطلع القرن الرابع ، ويكون أبو زيد القرشي ــ راوي الجمهرة ومؤلفها ــ من رجال القرن الرابع • وسائر الأسانيد التي ترد عن غير طريق المفضل في المقدمة تتفق في هذه النتيجة على وجه التقريب(٢) •

الكتاب : تضم « جمهرة أشعار العرب » مختارات شعرية قديمة ، من العصر الجاهلي ، ومن العصرين : الاسلامي والأموي • وعلى هذا الكتاب وحده تقوم منزلة أبي زيد القرشي وشهرته •

وقد قسم القرشي كتابه الى قسمين متميزين ، هما : المقدمة ، والأشعار المختارة • وهذا ما يميز الكتاب عما سبقه من كتب الاختيارات :

---

(١) ورد اسم « المفضل الضبي » في مقدمة جمهرة أشعار العرب ، مرة واحدة فحسب ، وهو سهو من النساخ ، وصوابه « المفضل المجبري » كما ورد في المواضع الأخرى من المقدمة ، وفي المواضع كلها من نسخة أخرى مخطوطة •

(٢) انظر تفصيل ذلك في كتاب « مصادر الشعر الجاهلي » للدكتور ناصر الدين الأسد ٥٨٧ ••

أما المقدمة ، فهي طويلة جدا ، وتقع في ثمانين صفحة ونيف ، وهي ذات طابع نقدي ، ولا نظير لها في كتب الاختيار المتقدمة ، المماثلة ، كالمفضليات والاصمعيات • ونتبين فيها ست فكر بارزة :

١ ــ ذكر أبو زيد أولا أنه اقتصر على الفصحاء من شعراء الجاهلية والاسلام ، الذين يُستشهد بشعرهم في معاني القرآن والحديث •

٢ ــ ثم قابل بين لغة الشعر ولغة القرآن ، وأظهر أن القرآن لم يأت العرب بلغة جديدة ، فكل ما فيه من مجاز وغريب استعمله العرب في أشعارهم ، وقصدوا به الى المعنى الذي قصد اليه القرآن •

٣ ــ وانتقل بعد ذلك الى أول من قال الشعر منذ القديم ، فروى أشعارا للملائكة ، وآدم ، وابليس ، والعمالقة ، وعاد ، وثمود •• روى ذلك وهو غير مطمئن الى صحته •

٤ ــ رأي النبي (ص) وأصحابه في الشعر ، وموقفهم منه ، وقد كان عليه السلام يسمع الشعر ويجيز عليه ، وهو القائل : « ان من الشعر لحكمة ، وان من البيان لسحراً » •

٥ ــ الكلام على شياطين الشعراء وبعض أخبارهم ، مثل : لافظ بن لاحظ (شيطان امرىء القيس) ، وهاذر (شيطان النابغة الذبياني) ، وهبيد ابن الصُّلادم (صاحب عبيد بن الأبرص) ومُدرك بن واغم (شيطان الكميت) •

٦ ــ تعيين طبقات فحول الشعراء القدامى باسهاب ، وذكر أسمائهم ، والمفاضلة بينهم ، وايراد طرف من أخبارهم ، وأقوال العلماء فيهم • ومن هؤلاء الشعراء : امرؤ القيس ، وزهير ، والنابغة الذبياني ، والأعشى ، ولبيد وعمرو بن كلثوم ، وطرفة بن العبد ، ودريد بن الصمة ، وعروة بن الورد •• (من الجاهليين) وكعب بن زهير ، والحطيئة ، والشماخ بن ضرار •• (من المخضرمين) ، وجرير ، والفرزدق ، والأخطل ، وذو الرمة (من الأمويين) •

وأما قسم الأشعار المختارة من « الجمهرة » فقد جعله أبو زيد في سبعة أقسام متكافئة ، وفي كل قسم منها سبع قصائد لسبعة من الشعراء ، فمجموعها ٤٩ قصيدة ، موزعة على النحو التالي :

١ ــ **المعلقات** • وأصحابها هم : امرؤ القيس ، وزهير ، والنابغة ، والاعشى ، ولبيد ، وعمرو بن كلثوم ، وطرفة • ومعلقة النابغة عند القرشي هي الرائية التي مطلعها :

عوجـوا فحيـوا لنُعـم دِمنـة الدارِ   مـاذا تحيئون مـن نؤي وأحجـار(١)

٢ ـ المُجمهرات : دُعيت بذلك تشبيها لها بالناقة المجمهرة ، وهي المتداخلة الخَلق ، كأنها جمهور الرمل ، أي ان هذه القصائد عالية الطبقة ، محكمة السبك ، قوية النسج • وأصحابها : عنترة بن شداد ، وعبيد بن الابرص(٢) ، وعدي بن زيد ، وبشر بن أبي خازم ، وأمية بن أبي الصلت ، وخداش بن زهير ، والنمر بن تولب • وكلهم جاهليون ، عدا النمر فهو مخضَرم •

٣ ـ منتقيات العرب : أي المختارات • وهن للمسيب بن علس ، والمرقش الاصغر ، والمتلمس ، وعروة بن الورد ، والمهلهل بن ربيعة ، ودريد بن الصمة، والمتنخل الهذلي • وكلهم جاهليون •

٤ ـ المُذهبات(٣) : أي المموهة بالذهب ، أو المكتوبة بمائه • وأصحابها من الأوس والخزرج خاصة ، وفيهم جاهليون ومخضرمون • وهم : حسان ابن ثابت ، وعبد الله بن رواحة ، ومالك بن العجلان ، وقيس بن الخطيم ، وأحيحة بن الجلاح ، وأبو قيس بن الأسلت ، وعمرو بن امرىء القيس •

٥ ـ عيون المراثي : لأبي ذؤيب الهذلي ، وعلقمة الحميري ، ومحمد بن كعب الغنوي ، والأعشى الباهلي ، وأبي زبيد الطائي ، ومالك بن الزيب ، ومتمم بن نويرة • (وهم جاهليون واسلاميون) •

٦ ـ مشوبات العرب : وهن اللاتي شابهن ـ أي خالطهن ـ الكفر والاسلام : للنابغة الجعدي ، وكعب بن زهير ،والقطامي ، والحطيئة ، والشماخ، وعمرو بن أحمر ، وابن مقبل • (وفيهم مخضرمون وأمويون) •

٧ ـ المُلحمات : أي التي أحكم نظمها وتلاحم شعرها • وأصحابها كلهم أمويون ، وهم : الفرزدق ، وجرير ، والأخطل ، والراعي ، وذو الرمة ، والكميت بن زيد ، والطرماح •

---

(١) عوجوا : قفوا ، أو انزلوا • الدمنة : آثار الديار • النؤي : أخدود يحفر حول الخيمة لمنع المطر •

(٢) مجمهرتا عنترة وعبيد ، هنا ، هما المعلقتان أنفسهما ، ضمهما أبو زيد الى المجمهرات ، دون المعلقات السبع السابقة •

(٣) اسم مفعول ، بضم الميم وفتح الذال وتشديد الهاء المفتوحة • وفعله « ذهّب » • ويجوز تسكين الذال مع تخفيف الهاء المفتوحة • وفعله حينئذ : « أذهب » • وكلاهما بمعنى •

وهذا التقسيم السباعي لم يبتدعه أبو زيد القرشي من عنده ، وانما كان ذلك معروفا لدى أهل العلم والرواية ، قبل ظهور كتابه • وهذا ما يدل عليه كلامه في المقدمة بعد ذكره المعلقات السبع حيث يقول : « وقد أدركنا أكثر أهل العلم يقولون : ان بعدهن سبعا ما هن بدونهن ، ولقد تلا أصحابُهن أصحابَ الأوائل، فما قصروا ، وهن : المجمهرات •• الخ » • وبعد أن انتهى من تعداد شعراء المجموعات السبع ، قال : « قال المفضل [المجبري] : فهذه التسع والأربعون قصيدة عيون أشعار العرب في الجاهلية والاسلام ، ونفَس شعر كل رجل منهم » •

ويلاحظ أن تلك التسميات السبع هي صفات للقصائد ، ولا تتمايز فيما بينها ، وهي ليست أكثر من مصطلحات ورموز لتمييز بعض القصائد من بعض، والتفريق بين دلالات هذه الاسماء بعيد المنال ، من الوجهة النقدية والفنية •

على أن « جمهرة أشعار العرب » تبقى مجموعة قيمة من الشعر المختار ، اذ أنها تنفرد بقصائد لا نجدها في مصدر آخر ، وان كان عدد من قصائدها قد ورد في كل من المفضليات والأصمعيات • ثم ان أبا زيد هو المؤلف الوحيد ، بين أصحاب كتب الاختيارات ، الذي صنع لكتابه مقدمة نقدية تعد خطوة رائدة في مضمار النقد ، وكانت مبعث شهرة كبيرة للكتاب نفسه ، وتأثير قوي في ميدان اللغة والأدب ، وان كان المؤلف قد تورط في بعض الخيالات والغيبيات•

ولا بد من التذكير بأن جميع ما في « الجمهرة » من اسناد ورواية وأخبار وأحكام نقدية ، محصور في المقدمة نفسها • وأما القسم الثاني من الكتاب — أي الأشعار المختارة — فهو خال من ذلك كله ، وقد اقتصر على اثبات النصوص الشعرية بعناوينها فحسب دون أي شرح ، وكان همّ القرشي متجهاً الى الفحول المكثرين ، ومن هنا امتازت قصائد جمهرته بالطول ، ويتبين لنا في كثير منها مزايا الملاحم الصغيرة ، لما فيها من سرد الحوادث ، وتفصيل الوقائع ، وتمثيل المشاهد ، وبداهة الفكر ، حتى عدت في أعلى طبقات الشعر القصصي • كما أن فيها من بديع التصور ، والسذاجة ، وحسن التصرف البديهي ، واجادةالرصف، وابداع الوصف ، واحكام التشبيه ما يسمو بها الى أرفع درجات الشعر الموسيقي •

هذا ، وقد طبعت جمهرة أشعار العرب مراراً في مصر ، وبيروت ، والرياض • وأجود طبعاتها اثنتان ، صدرت أولاهما في القاهرة سنة ١٩٦٧ في مجلدين بعناية علي البجاوي ، والثانية في الرياض سنة ١٩٨١ بتحقيق د• محمد علي الهاشمي ، في ثلاثة أجزاء •

ونختار فيما يلي أبياتا من قصيدة الشاعر الاموي مالك بن الريبالتميمي،

وقد اثبتها أبو زيد القرشي في قسم « المراثي » من كتابه «جمهرة أشعار العرب» وفيها يرثي مالك نفسه وهو في خراسان ، بعيداً عن وطنه ، حين أحس بدنو أجلــه :

ألا ليـت شعري ، هل ابيتـن ليلـــة بجنب الغضا ، أُزجي القِلاص النواجيا
فليت الغضا لم يقطع الركـبُ عرضـه وليت الغضا ماشى الركـــاب لياليـــا

* *

ولمــا تــراءت عنـد مـروَ منيتـــي وخلّ بهـا جسمـي ، وحانـت وفاتيـا
اقـــول لأصحابي : ارفعوني ، لأنننـي يقـر بعيني أن سهيـل بـــدا ليــا(١)
فيا صاحبي رحـلي دنـا المـوتُ فانزلا برابيـة ، انـــي مقيـــم لياليـــــا
اقيمـا علي اليـومَ أو بعـض ليلـــة ولا تُعجلاني ، قـــد تبـــين شانيـــا
وقومــا ، اذا ما استل روحـي ، فهيئـا لي القبر والأكفـــان ، ثم ابكيا ليـــا
وخُطـا باطـراف الأسنـــة مضجعـــي ورُدا علـى عينيّ فضـــل ردائيـــا
ولا تحسُـداني بـــارك الله فيكمـــا من الأرض ذاتِ العـرض أن توسعا ليا
خذاني ، فجـراني ببُردي اليكمـــا فقد كنــتُ قبـل اليوم صعبـــا قياديا
وقد كنتُ عطّافا اذا الخيـلُ أدبـرت سريعا ، لدى الهيجـا ، الى مـن دعانيـا

* * * *

---

(١) سهيل : نجم يطلع من جهة اليمن ، موطن الشاعر .

حماسة أبي تمام

جمعها الشاعر العباسي المشهور أبو تمام الطائي (١٩٠ ـ ٢٣١ هـ) ٠
وهو شاعر ذو ثقافة واسعة ، عربية ومترجمة ، وصاحب مذهب جديد في الشعر ، يقوم على اختراع المعاني ، والباسها صوراً يبدو فيها كدّ الذهن واعمال الفكر ٠

وقد ألف أبو تمام عدة مجموعات شعرية ، وصل الينا منها اثنتان هما : الحماسة ، والوحشيات (أو الحماسة الصغرى) ٠ والأولى هي التي تهمنا هنا ٠

وكتاب « الحماسة » يضم مختارات رائعة من الشعر العربي القديم ، بدءاً من العصر الجاهلي ، حتى عصر أبي تمام نفسه ٠

فمن الجاهليين : عنترة بن شداد ، وحاتم الطائي ، وعروة بن الورد ، وتأبط شراً ، والنابغة الذبياني ٠٠٠

ومن المخضرمين : عمرو بن معدي كرب ، والنابغة الجعدي ٠

ومن شعراء العصر الأموي : جرير ، والفرزدق ، والمقنع الكندي ، وعمر بن أبي ربيعة ، وليلى الأخيلية ٠

ومن شعراء العصر العباسي ، وفيهم من عاصر أبا تمام نفسه : مطيع بن اياس ، ومسلم بن الوليد ، وأبو نواس ، وأبو العتاهية ، ٠٠

وقد خص أبو تمام شعراء قبيلته « طيىء » بنصيب واف من اختياره ، كما خص المرأة بنماذج من رفيع الشعر ولا سيما في باب الرثاء ، مثل : قتيلة بنت النضر ، وعاتكة بنت زيد ٠ وبذلك بلغ مجموع القصائد والمقطعات ٨٨١ يعرف كل منها باسم « حماسية » وصاحبها « حماسي » ، وهي تطول حتى تصل القصيدة الى بضعة وأربعين بيتاً أو تقصر حتى تغدو القطعة بيتاً أو بيتين ٠ كما بلغ عدد الشعراء جميعاً نحو ٥٠٠ شاعر ، وقد يختار أبو تمام للشاعر الواحد عدة قصائد أو مقطوعات في مواضيع وأبواب مختلفة ٠

قسم أبو تمام حماسته الى عشرة أبواب مستمدة من موضوعات الشعر وأغراضه العامة ، وهذه الأبواب هي :

(الحماسة ، والمراثي ، والأدب ، والنسيب ، والهجاء ، والأوصاف والمديح ، والصفات ، والسير والنعاس ، والمُلح ، ومذمة النساء) ٠

وسمى أبو تمام كتابه هذا باسم الباب الأول منه (**الحماسة**) وهو أعظم الأبواب ، ويقارب ثلث الكتاب • ولم يلجأ الى ترتيب معين داخل كل باب ، كأن يكون بحسب الأفكار الجزئية مثلا ، أو أن يراعي التسلسل الزمني للشعراء أو يرتب القصائد على القوافي •• كل ذلك لم يفعل أبو تمام منه شيئاً وانما اكتفى بذلك التقسيم الى عشرة أبواب فحسب • ومع ذلك فقد سبق أبو تمام غيره الى هذا التقسيم الذي استمده من طبيعة موضوعات الشعر نفسه وتفرعه الى أغراض متعددة ، محكماً ذوقه في اختياره للشعر ، واهماله لما أهمله منه ، وقلما يثبت القصيدة كاملة بل يختار أجود أبياتها ، معظمها أو أقلها • هذا الى أنه بدأ بالشعر المختار مباشرة ، ولم يحاول أن يمهد لعمله بمقدمة تشرح منهجه وطريقته في الاختيار •

وحظيت حماسة أبي تمام بشهرة واسعة منذ عصر صاحبها ، وأعجب الأدباء والعلماء بمنهجها وقدروا قيمتها حق قدرها ، حتى أصبحت نموذجاً يحتذى ، فألف بعضهم كتباً على مثالها وسموها باسمها ، كالبحتري ، وابن الشجري ، والبصري ، كما تصدى آخرون لشرحها واكتناه أسرارها ، حتى تتحقق الافادة منها على خير الوجوه • وقد بلغ عدد شراحها حوالي عشرين : كالمرزوقي ، والفارسي ، والتبريزي ، والصولي ، وابن جني ، والآمدي ••• ومنهم من عُني باعراب أبيات الحماسة ، كما اكتفى آخرون بايراد الأخبار المتعلقة بالشعراء وقصائدهم ، دون شرح المعاني •

طبعت حماسة أبي تمام مراراً في الشرق والغرب ، وبعض طبعاتها مصحوب بشرح مختصر ، وبعضها الآخر مع شرح المرزوقي (ـ ٤٢١ هـ) ، أو شرح زيد بن علي الفارسي (ـ ٤٦٧) أو شرح الخطيب التبريزي (ـ ٥٠٢)(١) **ومن أشهر قصائدها :**

١ ـ **قصيدة حطان بن المعلى في بناته الصغيرات** (في باب الحماسة) :

أنزلني الدهرُ على حُكمه   من شامخ عالٍ الى خفض(٢)
وغالني الدهرُ بوفر الغنى   فليس لي مال سوى عِرضي(٣)

---

(١) هذه الشروح الثلاثة أوفى شروح الحماسة ، المطبوعة ، وأوسعها ، على تفاوت فيما بينها • وقد طبع شرح المرزوقي بالقاهرة سنة ١٣٧١ هـ ـ ١٩٥٢ م في أربعة أقسام بتحقيق أحمد أمين وعبد السلام هارون • أما شرح الفارسي فقد طبع ببيروت سنة (١٤٠٨ هـ ـ ١٩٨٨ م) في جزأين حققهما د• محمد عثمان علي ، وقدم لهما بجزء جعله « دراسة موازنة في مناهج شروح الحماسة وتطبيقها » • وأما شرح التبريزي فقد طبع في أوروبة ، ثم في بولاق بمصر سنة ١٢٩٦ هـ في أربعة أجزاء • وأخيرا نشره محمد محيي الدين عبد الحميد في أربعة أجزاء أيضاً طبعت في القاهرة سنة ١٣٥٨ هـ ـ ١٩٣٩ م •

(٢) الى خفض : الى مكان منخفض •

(٣) غالني : أخذني من حيث لا أدري • بوفر الغنى : بسبب الغنى الكثير •

أبكانيَ الدهرُ ويا ربما أضحكني الدهرُ بما يُرضي
لولا بُنيات كزُغب القطا رُددن من بعض الى بعض(١)
لكان لي مُضطرَب واسع في الأرض ذاتِ الطول والعرض
وانما أولادُنا بيننا أكبادُنا تمشي على الأرض
لو هبت الريحُ على بعضهم لامتنعت عيني من الغمض

٢ ـ قصيدة بشامة بن حَزن النهشلي (في باب الحماسة) ومنها قوله :

انا محيوك يا سلمى فحيينا وان سقيتِ كرامَ الناس فاسقينا
وان دَعوتِ الى جُلى ومكرُمة يوما سراة كِرام الناس فادعينا
انا بني نهشل لا ندّعي لأب عنه ، ولا هو بالأبناء يشرينا
ان تَبتدر غاية يوما لمكرمة تلقَ السوابق منا ، والمصلينا
وليسَ يَهلكُ منا سيد أبدا الا افتلينا غلاما سيدا فينا
انا لنُرخصُ يوم الروع أنفسنا ولو نَسام بها في الأمن اغلينا
لو كان في الألف منا واحد فدعوا مَن فارس ؟ خالهم اياه يعنونا(٢)

* * * *

---

(١) رددن من بعض الى بعض : اجتمعن لي في مدة يسيرة ، الواحدة بعد الأخرى .

(٢) الجلى : الأمر العظيم . والسراة ، بفتح السين : مفردها سري وهو الشريف . ويشرينا : يبيعنا . والسابق والمصلي : هما الأول والثاني من خيل الحلبة التي تخرج للسباق ، وهي عشرة . والافتلاء : الافتطام ، والأخذ عن الأمر . وأغلين جُعلت غالية ، أو وُجدت غالية . وضمير نون النسوة للأنفس . والألف بعده للاطلاق .

الوحشيات

لأبي تمام الطائي

تذكر الروايات أن آبا تمام الطائي قصد أمير خراسان فمدحه ، ولما قفل راجعاً ، مر في طريقه بمدينة همذان ، وتوقف عند صديقه آبي الوفاء بن سلمة الذي أنزله وآكرمه · ووقع يومئذ ثلج عظيم قطع السُبل ، وحال دون السفر ، آسابيع مديدة ، وكان عند مُضيف أبي تمام خزانة كتب فوضعها بين يديه ليقضي بعض وقته في مطالعتها والاشتغال بها · فاستطاع خلال ذلك أن يؤلف خمسة كتب من المختارات الشعرية ، وهي : (الحماسة ، الوحشيات ، اختيار من آشعار الفحول ، اختيار من آشعار القبائل ، اختيار من آشعار المحدثين)(١) ·

ويشك بعض الباحثين في صدق هذه الرواية ، وفي مقدمتهم طه حسين الذي يرى أن أبا تمام كان دائب العمل في اختيار الشعر مما يحفظه من أشعار المتقدمين ، ويعقب على ذلك الخبر بقوله : « ··· ولكن هذا غير ممكن ، وغير معقول ، فقد كانت اقامته رهن زوال الثلج ، وهذا لا يتجاوز الأشهر القليلة ، ومن المستحيل أن يُصدق أنه قد اختار هذه الكتب في شهرين أو ثلاثة »(٢) ·

والحق أنه لا غرابة في ذلك ، اذا عرفنا أن جمهوراً كبيراً من العلماء والمصنفين آلفوا كثيرا من كتبهم في مُدد يسيرة كابن الجوزي ، والسيوطي ·· لأن العلم محفوظ لديهم في الصدور قبل أن يرجعوا الى السطور ، حتى قال قائلهم :

علمي معي ، حيثما يممت احمله ... صدري وعاء له ، لا بطن صندوقِ
ان كنت في البيت كان العلم فيه معي ... أو كنتُ في السوق كان العلم في السوق

ثم أن آبا تمام راوية من رواة الشعر العربي وحفاظه ، فليس كثيراً عليه أن يستعين بذاكرته الى جانب استعانته بالمصادر الأخرى وهو يدون اختياراته الشعرية · هذا الى أنه ربما طاب له المقام مدة أخرى بعد زوال الثلج وسير السابلة ، فصنف تلك المختارات الشعرية ، التي كان منها كتاب « الوحشيات » ·

---

(١) طبع منها : الحماسة والوحشيات ، فحسب ، دون الكتب الثلاثة الاخرى التي تختلفُ أسماؤها قليلا ، من مصدر الى آخر · وليس هنا مجال التحقيق في صحة تلك الاسماء ·

(٢) من حديث الشعر والنثر ٩٨ ·

و « **الوحشيات** » كتاب يضم طائفة من الشعر العربي القديم : الجاهلي والمخضرم ، والاسلامي ، والمحدث ، أي حتى عصر أبي تمام نفسه ·

وقد سماه أبو تمام « **الوحشيات** » ـ أي القصائد الوحشيات ـ لأن هذه الأشعار أوابد وشوارد ، كوحوش الفلوات ، لا تُعرف لدى جمهرة الناس ، ولا يألفونها أُلفتهم لغيرها من الأشعار ·

وسماه العيني « كتاب الوحشي » ، كما اشتهر أيضا باسم « الحماسة الصغرى » تمييزاً له عن الحماسة الأولى التي تعرف بالكبرى ·

وممن ذكر « **كتاب الوحشيات** » **من القدماء** : الخطيب التبريزي في مقدمة شرحه للحماسة الكبرى ، والقاضي الباقلاني (ـ ٤٠٣ هـ) في كتابه « اعجاز القرآن » حيث يقول : « والأعدل في الاختيار ما سلكه أبو تمام ، من الجنس الذي جمعه في كتاب (الحماسة) ، وما اختاره من (الوحشيات) ، وذلك أنه تنكب المستنكر الوحشي ، والمبتذل العامي ، وأتى بالواسطة » ·

وقد جرى أبو تمام في **تبويب** « **الوحشيات** » على وجه يقارب ما فعله في أبواب حماسته الأولى ، فقد جعلها في عشرة أبواب أيضا ، الا أنه أسقط باب « السير والنعاس » ووضع بدلا منه « باب المشيب » ·

أما طريقته في هذا الكتاب فلا تزيد على جمع الشعر في كل باب ، من دون أن يسير فيه على طريقة علمية أو فن جديد ، أو أن يشير الى مناسبة ما يذكره من قصائد ومقطوعات · كما أنه ترك كتابه بلا مقدمة أيضا ·

وأشعار « **الوحشيات** » في مجموعها أقل من أشعار الحماسة الاولى ، اذ بلغ عدد القصائد والمقطوعات ٥٠٧ وقد استأثر الباب الأول منها ، وهو باب الحماسة ، بما يزيد على ثلث الكتاب ، في ذكر الحرب والفروسية وضروب الشجاعة والفخر بالنسب والكرم · والباقي موزع على الأبواب التسعة الأخرى· ومعظم اختيارات الوحشيات مقطوعات يغلب عليها القصر ، وقلما نعثر فيها على قصيدة طويلة ·

ولم يشرحها أحد من القدماء أو المحدثين حتى اليوم·· وهي على كل حال تأتي دون الحماسة الكبرى في حسن الاختيار وجودة الانتقاء ·

وشعراء « **الوحشيات** » منهم الجاهلي : كالشنفرى ، وتأبط شراً ، والسموأل ، ودريد بن الصمة · ومنهم المخضرم : كأبي محجن الثقفي ، وحُميد بن ثور ، ولبيد ·· والاسلامي : كمجنون ليلى ، وجرير ، والفرزدق·· والمحدث : كابن هرمة ، وبشار بن برد ، وأبي نواس · وهناك عدد كبير من

المغمورين ، كعدي بن غُطيف ، وسلمة بن عياش ٠٠ والمجهولين: «آخر ، أعرابي ، رجل من طيىء ٠٠ » ٠ ونصيب شعر النساء ضئيل جداً في « الوحشيات » ، ومنه على سبيل المثال **قصيدة « الفارعة » الشيبانية في رثاء أخيها** الوليد بن طريف الشيباني ، وفيها تقول :

أيـا شجـرَ الخابـورِ ما لـك مورقـاً	كأنـك لـم تحـزن على ابـن طريف
فتى لا يحـب الزاد الا مـن التقى	ولا المـال الا مـن قناً وسيـوفِ
فان كـان أرداه يزيـدُ بنُ مَزيـد	فرُبَّ زحـوف لفّهـا بزحـوفِ
كأنك لم تشهـد طِعانـاً ، ولـم تَقم	مقاماً عـلى الأعـداء غـيرَ خفيـفِ
فقدناك فِقـدان الربيـع ، وليتنـا	فديناك مـن دهمائنـا بألـوفِ
فـلا تجزعـا يا ابني طريـف فانني	أرى المـوتَ حـلالاً بكـل شريـفِ

طبعت « **الوحشيات** » في القاهرة سنة ١٩٦٣ م في سلسلة « ذخائر العرب » بتحقيق عبد العزيز الميمني ، ومراجعة محمود محمد شاكر ٠ ثم أعيد طبع الكتاب تصويراً سنة ١٩٧٠ م ٠

* * * *

حماسة البحتري

البحتري شاعر عباسي من منبج ، عاش في القرن الثالث للهجرة (٢٠٥ ـ ٢٨٤ هـ) • وقد جمع في شعره بين جزالة البدو ورقة الحضر • اتصل بالخليفة المتوكل ولازمه • وكانت بين البحتري وأبي تمام صلة وثيقة ، وصداقة وشيجة • بل ان البحتري يعد تلميذاً لأبي تمام ، لأنه تأثر أستاذه الطائي في شعره وأغراضه ، ونهل من أدبه وفنه ، ولا سيما في مطلع حياته ، وبدء شهرته ، حتى استقامت له طريقته الشعرية ، ومذهبه الأدبي في ديباجة الشعر وصوغه •

ولم يشأ البحتري أن يتخلف عن أستاذه في ميدان التصنيف أيضا ، فكان أول من **قلّد أبا تمام في جمع تلك الاختيارات الشعرية الرائعة التي سماها « الحماسة »** أيضا ، مستمداً اياها من دواوين الشعراء وصدور الرواة ، وما ثبت في حافظته الواسعة من الأشعار أيام الطلب •

وقلد البحتري أستاذه أيضاً في الفترة الزمنية التي خضعت لذلك الاختيار ، أعني الشعر القديم الذي يمتد من العصر الجاهلي حتى العصر العباسي ، فاختار للجاهليين من أمثال : امرىء القيس ، وأوس بن حجر ، وحاتم الطائي ، وعروة بن الورد •• وللمخضرمين مثل الحطيئة ، والخنساء ، ولبيد بن ربيعة •• وللأمويين : كجرير ، والفرزدق ، والأخطل ، وليلى الأخيلية ، والمقنع الكندي ، والراعي النميري •••

أما الشعراء المحدثون فقد كان لهم بعض النصيب من تلك الاختيارات ، ولا سيما متقدموهم من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية ، مثل بشار بن برد ، ومطيع بن اياس ، وصالح عبد القدوس •

وبذلك وصل عدد الشعراء في حماسة البحتري الى ٦٠٠ شاعر تقريباً •

ومن الجدير بالذكر أن البحتري لم يكد يختار شيئاً للقريبين من أيامه ، أو المعاصرين له ، كأبي العتاهية ، والعباس بن الأحنف ، وأبي نواس ، ومسلم ابن الوليد ، وكلهم مجيدون كبار ، وتستطيع أن تعد معظم أشعارهم اختيارات ، حتى أستاذه أبو تمام ، الذي سبقه الى الموت بنصف قرن ، لم يحظ ببيت واحد من شعره يكون له حيز في حماسة تلميذه ، وفي هذا عقوق ظاهر ، وتضييع لحق أستاذ اعترف له البحتري بالفضل حين قال عنه « والله ما أكلت الخبز الا به » •

وفي حماسة البحتري ، بعد هذا ، مختارات لشعراء مجهولين ، أشار اليهم بمثل قوله : « قال آخر » ، « وقال غيره » ، « ولبعضهم » • وقد يكتفي بذكر

قبيلة الشاعر دون اسمه فيقول مثلا : « لرجل من بني الحارث بن كعب » ، و « لرجل من بني تميم » و « لرجل من طيىء » ... الخ .

واذا كان البحتري قد جرى على آثار أستاذه الطائي في فكرة تصنيف حماسته ، وفي تسميتها ، واغفال مقدمتها ، **فانه انفرد عنه في الطريقة والتبويب :**

١ ــ فهو لم يعتمد على مبدأ الأغراض الشعرية العامة التي جعلها أبو تمام عشرة فحسب ، بل وزع البحتري مختاراته على موضوعات جزئية ، وافكار فرعية لكل غرض . وبذلك أصبحت حماسته في (١٧٤) بابا .

٢ ــ وقد نتج عن صنيع البحتري ذاك ، أن القصيدة الواحدة أحيانا قد تجزأت وتناثرت الى مقطوعات موزعة على عدة أبواب ، تقل أو تكثر . تبعاً للمعاني الجزئية التي تحملها تلك القصيدة ، وهذا ما جعل القصر يغلب على اختيارات البحتري في حماسته ، حتى بلغ عددها **١٤٥٤ مقطوعة وقصيدة** . وعمله هذا ــ على ما فيه من مآخذ ــ يوفر على القارىء كثيراً من الجهد ، وييسر له الحصول على شواهد شعرية لمختلف المعاني والأغراض .

٣ ــ ويلفت النظر في هذا الكتاب أن البحتري لم يُفرد فيه للحماسة باباً صريحاً ، على الرغم من أنه استعار هذه التسمية لكتابه . ولكن يلاحظ أنه عوض عن ذلك بأن سرد سبعة وعشرين باباً ، من أول حماسته ، تشتمل عناوينها على معان جزئية متفرعة من موضوع الحماسة ، مثل : حمل النفس على المكروه ، والفتك ، وركوب الموت خشية العار ، والتحريض على القتل بالثار ، والامتناع من الصلح ، والتشمير عند الحرب ، وذم الفرار والتعيير به ،واستطابة الموت عند الحرب .. الخ .

واول مقطوعة استهل بها البحتري حماسته في الباب الأول (فيما قيل في حمل النفس على المكروه عند الحرب) **قول عمرو بن الاطنابة الخزرجي** ، وهو شاعر جاهلي :

أبت لي عفتي وابى بلائي ... وأخذي الحمدَ بالثمن الربيح(١) *
واعطائي على المعسور مالي ... وضربي هامةَ البطل المشيح(٢)
وقَولي كلما جشأت وجاشت : ... مكانكِ تُحمدي او تَستريحي(٣)
وادفعُ عن مكارمَ صالحاتٍ ... واحمي بَعدُ عنعِرضٍ صحيح

---

(١) الربيح : الرابح الثمين .
(٢) المعسور : الفقر . المشيح : المجد في الامر .
(٣) جشأت نفسه : ارتفعت واضطربت . ومثله جاشت .

وهذه الأبيات كانت السبب في ثبات معاوية يوم صفين وعدم فراره ، فقد روي عنه أنه قال : لقد وضعت رجلي في الركاب يوم صفين وهممت بالفرار ، فما منعني الا قول ابن الاطنابة :

آبت لي عفتي وآبى بلائي ··· (الى آخر الأبيات) ·

٤ ـ **وخص البحتري المرأة بباب طويل ختم به حماسته** ، وأورد فيه مختارات من أشعار النساء ، مثل : ليلى الأخيلية ، والخنساء ، وقتيلة بنت النضر ، وليلى بنت طريف ، ولكنه اقتصر فيه على موضوع الرثاء فحسب ، وجعل عنوانه : « باب في مختار أشعار لجماعة من النساء في المراثي » ·

* *

طبعت حماسة البحتري في بيروت ومصر ، في مجلد واحد ، ولم تحظ بعناية أحد من الشراح القدامى أو المعاصرين ، خلافا لحماسة أبي تمام ·

ومن أشهر اختيارات البحتري قصيدة المقنع الكندي التي يقول فيها :

يعاتبني في الدَّين قومي وانما ... ديوني في أشياء تكسبهم حمدا
وان الذي بيني وبين بني أبي ... وبين بني عمي لمختلف جدا
فان أكلوا لحمي وفرت لحومهم ... وان هدموا مجلي بنيت لهم مجدا(١)
وان زجروا طيراً بنحس تمرُّ بي ... زجرتُ لهم طيراً ، تمر بهم ، سعدا(٢)
وان هبطوا غوراً لأمر يسوءني ... طلعتُ لهم فيما يسرُّهم نجدا(٣)
فان قدحوا لي نارَ زند تشينني ... قدحتُ لهم في نارِ مكرمة زَندا(٤)
وان بادهوني بالعداوة لم أكن ... أبادِهُهم الا بما يبعث الرشدا
وان قطعوا مني الأواصرَ ضَلَّة ... وصلتُ لهم مني المحبة والودا
ولا أحملُ الحقد القديم عليهمُ ... وليس كريمُ القومِ من يحمل الحقدا
فذلك دأبي في الحياة ودأبُهم ... سَجيس الليالي،أو يزيرونني اللحدا(٥)

---

(١) أكلوا لحمي : اغتابوني · وفرت لحومهم : تركت أعراضهم موفورة سالمة ·

(٢) أي اذا تمنوا لي النحس والشؤم ، تمنيت لهم حسن الطالع والسعد الحميد ·

(٣) الغور : الأرض المنخفضة ، وعكسها النجد ·

(٤) الزند ، بفتح الزاي : العود الذي تقدح به النار ، ج زناد وأزند ·

(٥) سجيس الليالي : على مدى الأيام · يزيرونني اللحد : يجعلونني أزور القبر يعني موته ومفارقته الحياة · والفعل منصوب بان المضمرة بعد « أو » واثبات النون ضرورة شعرية ·

وهذه القصيدة اختارها أبو تمام في حماسته قبل البحتري ، ولكن بين روايتيهما اختلافاً في بعض الأبيات ، زيادة ونقصاناً ، كما تختلف رواية بعض الألفاظ هنا وهناك ٠

ذلك كله يدل على أن منزلة حماسة البحتري تأتي في المرتبة الثانية بالقياس الى حماسة أستاذه الطائي ، وظلت كذلك حتى اليوم ، فاذا قيل : « كتاب الحماسة » أو « الحماسة » فالمعني به حماسة أبي تمام ، واذا أطلق الكلام فقيل : « هذا الشاعر حماسي » أو « هذه القصيدة حماسية » فالمراد بذلك حماسة أبي تمام أيضاً ٠

* * * *

الحماسة الشجرية
لابن الشجري

وهذه حماسة ثالثة ألفها الشريف هبة الله بن علي ، المعروف بابن الشجري البغدادي (ـ ٥٤٢ هـ) • وهو من أئمة اللغة والنحو والأدب • كان ذكي الفؤاد ، فصيح اللسان ، حاضر البديهة ، حلو الحديث ، ذا فضل ووقار •

له عدد من المؤلفات تحمل نسبته ، أشهرها : الأمالي الشجرية ، ومختارات ابن الشجري ، والحماسة الشجرية •

أما (حماسته) فقد تأثر فيها بمنهج سابقيه : أبي تمام والبحتري معاً ، ومزج بين طريقتيهما في وقت واحد ، حيث قسم الكتاب الى أبواب رئيسية عامة، بحسب الأغراض الشعرية ، على مثال أبي تمام ، عددها تسعة ، وهذه الأبواب هي :

١ ـ باب الشدة والشجاعة •
٢ ـ باب اللوم والعتاب •
٣ ـ باب المراثي •
٤ ـ باب المديح •
٥ ـ باب الهجاء •
٦ ـ باب الأدب •
٧ ـ باب النسيب •
٨ ـ باب الصفات والتشبيهات •
٩ ـ باب المُلَح(١) •

ولكن ابن الشجري فرع بابي (النسيب) و (الصفات والتشبيهات) فقط الى عدد من الأبواب الجزئية ، على طريقة البحتري :

أما (باب النسيب) فقد جزأه الى سبعة أبواب هي : (الحنين الى الأوطان ، الارتياح عند هبوب الرياح ، الاشتياق عند لمعان البروق ، النزاع عند نوح الحمائم ، الشوق عند حنين الابل ، الطيف والخيال ، مقطعات من غزل شعر جماعة من المحدثين) •

(١) ليس في هذا الباب ما هو جديد ، لأن أكثر مختاراته يمكن ردها الى أحد الأبواب السابقة : كالهجاء ، والوصف وما الى ذلك • ومعظمها ليس من الملاحة في شيء •

وأما (**باب الصفات والتشبيهات**) فقد فرعه ابن الشجري الى واحد وعشرين فصلا جزئيا ، مثل : (صفات النساء ، وصف النار ، الصفات والتشبيهات في الليل والنجوم والمجرة ، والهلال ، والصبح ، الصفات في الشيب والشباب والخضاب ، صفات الكتب والخط وآلته ··) ·

وبذلك أصبح مجموع الابواب العامة والجزئية ٣٧ باباً (٩ + ٧ + ٢١) تضم ٩٤٣ حماسية لشعراء بلغ عددهم ٣٦٥ عدا المجهولين الذي لم يصرح باسمائهم ·

واذا كان ابن الشجري قد احتذى أبا تمام والبحتري في طريقة الاختيار ، والتبويب وتسمية الكتاب ، واثبات أشعار الجاهليين والاسلاميين ، **فانه يمتاز أيضاً بأمور أخرى لها أهميتها :**

١ ــ فهو يولي أشعار المولدين أو المحدثين اهتماماً أكبر في اختياراته : كأبي نواس ، وأبي تمام ، وأبي العتاهية ، والبحتري ، وابن الرومي ، وابن المعتز ، والشريف الرضي ، بل انه واصل متابعة مسيرة الشعر المختار حتى عصره ، أي القرن السادس للهجرة ، فاختار أشعاراً للجرجاني ، ولزيد بن الحسن الكندي وغيرهما ·

وبلغ من اهتمامه بالمحدثين أن أفرد لهم فصلا خاصاً أيضاً في باب النسيب بعنوان « مقطعات من غزل شعر جماعة من المحدثين » زيادة على ما تفرق من أشعارهم في بقية الأبواب ، وفي موضوعات أخرى غير الغزل والنسيب ·

٢ ــ ولم يضن ابن الشجري على الشاعرات العربيات بنصيب من الشعر المختار ولكن أكثر اختياراته لهن في الرثاء ، مثل : الخنساء ، وليلى الأخيلية ، وليلى بنت طريف ···

٣ ــ واذا كان ابن الشجري قد أغفل التقديم لكتابه بما يوضح منهجه وطريقته في الاختيار ، فان شخصيته قد بدت ظاهرة في جوانب أخرى من الكتاب ، من ذلك أنه ذكر مناسبات بعض القصائد ، وأورد أخباراً وروايات تتعلق بتلك القصائد ، كما شرح بنفسه جملة من الأبيات أو مفرداتها الصعبة على الفهم ··· وكل ذلك لم يفعله الطائيان قبله ·

٤ ــ وأخيراً ، فان ابن الشجري لم يتمسك بتسمية « الحماسة » للباب الأول من كتابه ، وانما استعاض عنها بما يفيد معناها ، فسماه « باب الشدة والشجاعة » · وقد اعتدنا أن يكون هذا الباب في حماستي أبي تمام والبحتري أطول الأبواب وثلث الكتاب ، ولكنه لم يكن كذلك في الحماسة الشجرية ، اذ بلغ عدد حماسياته ١٨١ وهي تعادل خمس الكتاب تقريباً ·

طبعت الحماسة الشجرية أول مرة في حيدر آباد سنة ١٩٢٦ في جزء واحد ثم طبعت ثانية في دمشق سنة ١٩٧٠ في جزأين ، يتضمنان شروحاً مفصلة في هوامش الكتاب ، مع فهارس وافية تيسر الانتفاع به(١) .

* *

ومن القصائد الجيدة المشهورة في « الحماسة الشجرية » تلك التي قالتها ميسون بنت بحدل ، زوجة معاوية بن أبي سفيان ، تتشوق الى مسقط رأسها في البادية ، وتفضلها على قصر الخلافة في الحاضرة ، واليك ما قاله ابن الشجري في القصيدة وخبرها(٢) :

« روى الكلبي عن عوانة ، قال : لما زُفت ميسون بنت بحدل من بادية كلب الى معاوية ، وهو بريف الشام ، ثقل عليها الغربة والبعد عن قومها ، فسمعها ذات يوم تقول :

لَبيت تخفقُ الأرواحُ فيه — أحب الي من قصر منيف(٣)
وأصواتُ الرياح بكل فج — أحب الي من نقر الدفوف
وبَكر يتبع الأظعان صعب — أحب الي من بغل زَفوف(٤)
وكلب ينبح الطراق عني — أحب الي من قط ألوف(٥)
ولُبسُ عباءة وتقر عيني — أحب الي من لُبس الشفوف(٦)
وخرق من بني عمي نجيب — أحب الي من عِلج عنيف(٧)

فلما سمع معاوية ذلك قال : أنا والله العِلج العنيف ، وازداد بها عُجباً ، وعليها شُحاً واليها ميلا » .

* * * *

(١) حقق طبعة دمشق : عبد المعين الملوحي وأسماء الحمصي .
(٢) أوردها ابن الشجري في « باب الحنين الى الأوطان » وهو أول الأبواب السبعة المتفرعة من الباب الرئيسي الذي سماه « باب النسيب » .
(٣) الارواح : الرياح .
(٤) البكر : بفتح الباء : الفتي من الابل . والزفوف : السريع ، الحسن المشي .
(٥) الطراق : أبناء السبيل ، أو الذي يقدمون ليلا .
(٦) الشفوف : الثياب الحريرية الرقيقة .
(٧) الخرق : الفتى الحسن ، الكريم الطبع ، أو السخي الجواد . والمراد بالعلج هنا : الضخم الغليظ .

مختارات البارودي

جامع هذه المختارات الشاعر المعاصر محمود سامي البارودي (١٨٤٠ ـ ١٩٠٤ م) الذي نشأ في القاهرة وكان رئيساً للوزارة قبيل الثورة العرابية ، وهو حامل لواء النهضة الشعرية الحديثة ، وله الفضل في احياء الشعر ، وبعثه من رقدته .

وقد دفعه حبه للشعر القديم الى أن يُقبل على دواوين أصحابه قراءة وحفظاً واختياراً ، **فكانت حصيلة ذلك مختاراته الشعرية التي سميت باسمه .**

ولا شك أن هناك دافعاً آخر ساقه الى هذا الاختيار ، هو تقويم الملكة الأدبية ، وتنمية الموهبة الشعرية عن طريق الحفظ والمدارسة ، بتقديم مجموعة مختارة من أجمل الشعر الذي قيل في العصر العباسي فحسب ، دون غيره من العصور ، منذ منتصف القرن الثاني الهجري حتى مطلع القرن السابع .

ذلك أن البارودي انتخب ثلاثين شاعراً عباسيا ، بدءاً من بشار بن بُرد ـ أول المحدثين ـ حتى ابن عنين (ـ ٦٣٠ هـ) معاصر صلاح الدين الأيوبي ، واختار البارودي لكل من هؤلاء الشعراء الثلاثين مجموعة مناسبة من شعره ، حتى بلغت جملة الأبيات المختارة حوالي أربعين الف بيت ، تطول القصيدة فيها تارة ، أو تقصر القطعة تارة أخرى فتصل الى البيت أو البيتين .

وقد قام منهج المؤلف في تبويب كتابه على الأمور الآتية :

١ ـ قسم الكتاب الى سبعة أبواب بحسب الأغراض الشعرية العامة ، وهي : (الأدب ، والمديح ، والرثاء ، والصفات ، والنسيب ، والهجاء ، والزهد) .

٢ ـ واختار في كل باب من تلك الأبواب السبعة شعراً وافراً لكل من أولئك الشعراء الثلاثين المحدثين على التوالي ، مراعياً في ترتيب أسمائهم تسلسلهم الزمني ، وأسبقيتهم في الوجود :

١ ـ بشار بن برد (ـ ١٦٧ هـ) .

٢ ـ العباس بن الأحنف (ـ ١٩٢ هـ) .

٣ ـ أبو نواس (ـ ١٩٨ هـ) .

٤ ـ مسلم بن الوليد (ـ ٢٠٨ هـ) .

٩ ـ أبو العتاهية (ـ ٢١١ هـ) ٠

....

....

٢٨ ـ عمارة اليمني (ـ ٥٦٩ هـ) ٠

٢٩ ـ سبط ابن التعاويذي (ـ ٥٨٣ هـ) ٠

٣٠ ـ ابن عنين (ـ ٦٣٠ هـ) ٠

وربما أغفل البارودي بعضاً من هؤلاء الشعراء في أحد الأبواب السبعة ، وذلك حين لا يعثر على شيء من أشعارهم تتصل بالغرض الذي ساق الباب من أجلـه ٠

٣ ـ ورتب أشعار كل شاعر على حروف المعجم ، في كل باب ، مبتدئاً بما رويّه(١) الهمزة ، فالباء ، فالتاء ٠٠٠ وهكذا الى الياء ٠

٤ ـ وقد حرص المؤلف على أن ينتخب الجيد من الشعر ، لفظاً ومعنى ، ولكنه كان يتصرف أحيانا في ترتيب بعض الأبيات من القصيدة الواحدة ، أو يبدل حرفاً مكان آخر اذا اقتضى السياق والمقام هذا التبديل ٠

٥ ـ وصنع البارودي لمختاراته ديباجة قصيرة في أقل من صفحة ، اقتصر فيها على ذكر أسماء الشعراء الثلاثين الذين اختار لهم ، وعدد الأبواب التي وزع عليها اختياراته الشعرية ٠ وقد أملى هذه الديباجة في مرض موته ، الذي حال بينه وبين توضيح منهجه وطريقته في « مختاراته » ٠

وقد نشرت « مختارات البارودي » في أربعة مجلدات ، ذيلت صفحاتها بشرح بعض المفردات الغامضة ٠

* ★ * ★ *

ومن المفيد أن نضرب مثالين يأخذان بيد القارىء الى فهم طريقة ذلك الكتاب ، وكيفية الرجوع اليه والبحث فيه عما يريد من قصائد :

---

(١) الروي : هو الحرف الذي تبنى عليه القصيدة وتنسب اليه ، فيقال : هذه قصيدة عينية ، أو رائية ، أو لامية ، اذا كان رويها عينا ، أو راء ، أو لاما ٠٠

١ ـ **لأبي تمام قصيدة بائية مدح بها المعتصم يوم عمورية** ، مطلعها :

السيفُ أصدق انباء من الكتب ... في حده الحدُّ بينَ الجد واللعب

فاذا أردنا العثور على هذه القصيدة في « مختارات البارودي » نفتح الكتاب أولا على الباب الثاني وهو « باب المديح » لأن موضوع القصيدة في المديح • ثم نبحث عن أبي تمام الطائي ، بحسب تسلسله الزمني ، بعد بشار بن برد ، فالعباس بن الأحنف ، ••• حتى نصل اليه ، وترتيبه هو السابع ، لأنه توفي سنة ٢٣١ هـ • وتحت اسم « أبي تمام » أثبتت القصائد والمقطوعات المختارة له في باب المديح ، ورُتبت روياتها على حروف الهجاء ، فنرى قصيدته المشار اليها في روي الباء •

٢ ـ **قصيدة ابن الرومي في رثاء ولده الأوسط** ، وأولها :

بكاؤكما يشفي وان كان لا يُجدي ... فجودا ، فقد أودى نظيرُكما عندي

آ ـ موضوع القصيدة رثاء ، اذن نسعى أولا الى العثور على « باب الرثاء » وهو الباب الثالث •

ب ـ نبحث عن « ابن الرومي » بحسب ترتيبه الزمني ، وهو التاسع •

ج ـ وفي القصائد التي اختيرت له في « باب الرثاء » نجد القصيدة في روي الدال •

* * * *

الفصل الثاني

مجموعات شعرية أخرى

ذكرنا في الصفحات السابقة عدداً من كتب الاختيارات الشعرية ، التي رغبنا في الوقوف عندها والكلام عليها · ولا شك أن هذه الكتب هي غيض من فيض ، وقطرة من بحر ، بالقياس الى ما نشر وما لم ينشر من مصادر الاختيارات في تراثنا الشعري · ومع ذلك فمن المستحسن أن نذكر هنا باسماء بعض المجموعات الشعرية الاخرى المتميزة ، التي لا يصح اغفالها ، وبعضها قديم ، والآخر صنفه المعاصرون · وتختلف مناحيها من حيث المضمون : فمنها ما اقتصر على موضوعات خاصة ضيقة ، ومنها ما كان متنوعا بين عدة موضوعات ، أو عدة عصور ·

فمن المجموعات الشعرية التي ألفها القدماء :

١ ــ **المعلقات الجاهلية** : وقد اختلف عددها عند القدماء ، ما بين سبع ، وتسع ، وعشر · وألفت شروح كثيرة لها · منها :

آ ــ **شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات : لأبي بكر الأنباري** ، محمد بن القاسم (ــ ٣٢٨ هـ) · وقد نشرته دار المعارف بالقاهرة ١٩٦٣ في سلسلة « ذخائر العرب » بتحقيق عبد السلام هارون ·

ب ــ **شرح القصائد التسع المشهورات : لأبي جعفر النحاس** ، أحمد ابن محمد (ــ ٣٣٨ هـ) · طبع في بغداد ١٣٩٣ هـ ــ ١٩٧٣ م في قسمين اثنين ، بتحقيق أحمد خطاب ·

ج ــ **شرح المعلقات السبع** : لأبي عبد الله الزوزني ، الحسين بن أحمد (ــ ٤٨٦ هـ) · طبع مراراً ، وأجود طبعاته تلك التي ضبطها وعلق عليها محمد علي حمد الله ، وصدرت في دمشق ١٣٨٣ هـ ــ ١٩٦٣ م(١) ·

---

(١) نهض بعض المعاصرين أيضا لشرح المعلقات ، فخصوها بكتب تتفاوت في قيمة شروحها وحظوظها من البسط أو الاختصار ، ومنها :

آ ــ **المعلقات العشر وأخبار شعرائها** : لأحمد بن الأمين الشنقيطي (ــ ١٩١٣ م) · وقد ترجم لشعراء المعلقات العشر أولا ، ثم أورد نصوص تلك المعلقات ، وكان أكثر عنايته موجها الى بيان رواياتها المختلفة · وهنا تكمن فائدة هذا الكتاب ·

←

٢ ــ **ديوان الهذليين** : يضم أشعار شعراء قبيلة هُذيل ، في الجاهلية والاسلام • جمعت كلها في هذا الكتاب • الا أن هؤلاء الشعراء يختلفون في مقادير أشعارهم ، ففيهم المقل جداً ، والمتوسط ، والمكثر • وعددهم نحو من اربعين شاعراً • وقد طبع ديوان الهُذليين ، بشرح أبي سعيد السكري (ــ ٢٧٥ هـ) ، في أوروبة بعناية بعض المستشرقين • ثم طبع في القاهرة في ثلاثة أجزاء ، اذ نشرته دار الكتب المصرية في السنوات (١٩٤٥ ــ ١٩٤٨ ــ ١٩٥٠) ثم ُصور ثانية سنة ١٩٦٥ وجعلت أجزاؤه الثلاثة في مجلد واحد • وعدد الشعراء في هذه الطبعة ٣١ • ثم ظهرت في القاهرة سنة ١٩٦٥ م طبعة أخرى في ثلاثة مجلدات ضخمة حققها عبد الستار فراج . وهي أكمل الطبعات ، حيث بلغ عدد شعرائها نحو ٤٠ شاعراً • وطبعت بعنوان : « شرح أشعار الهُذليين » •

٣ ــ **نقائض جرير والفرزدق** : جمعها وشرحها أبو عبيدة ، معمر بن المثنى (ــ ٢٠٩ هـ) • واشتهر هذا الكتاب باسم « كتاب النقائض » • وهو يضم القصائد الهجائية والفخرية التي نظمها ذانك الشاعران الأمويان ، ورد بها كل منهما على خصمه • وقد طبع الكتاب في ليدن سنة ١٩٠٨ م في ثلاثة مجلدات ضخمة • ثم طبع ثانية في بيروت بطريقة التصوير ، في عشر الستين من هذا القرن •

٤ ــ **نقائض جرير والأخطل** : جمعها أبو تمام الطائي • طبعت في بيروت سنة ١٩٢٢ م ثم أعيد طبعها تصويراً في عشر السبعين •

٥ ــ **كتاب الاختيارين** : صنفه الأخفش الأصغر ، علي بن سليمان (ــ ٣١٥ هـ) واختار فيه عدداً من قصائد المفضليات والأصمعيات ، وضم

←

ب ــ **نهاية الأرب من شرح معلقات العرب** : لبدر الدين النعساني الحلبي (ــ ١٩٤٣ م) • طبع بمطبعة السعادة في القاهرة سنة ١٣٢٤ هـ ــ ١٩٠٦ م •

ج ــ **رجال المعلقات العشر** : لمصطفى الغلاييني (ــ ١٩٤٥ م) • طبع بالمطبعة الأهلية في بيروت سنة ١٣٣٢ هـ • وقد صدره بمقدمتين :•الأولى في خلاصة تاريخ العرب قبل الاسلام • والثانية في خلاصة تاريخ أدب اللغة العربية من العصر الجاهلي الى العصر الحاضر • وترجم لصاحب كل معلقة ، وبيّن سبب نظمها ، قبل أن يورد نخبة منها •

د ــ **المعلقات** : للدكتور محمد صبري الاشتر • طبع في حلب سنة ١٩٦٩ ــ ١٩٧٠ م وهو من أجود الكتب التي اضطلعت بدراسة المعلقات العشر وتحليلها تحليلا ادبيا وفنيا •

اليها قصائد أخرى لا نجدها في اختيار المفضل والأصمعي · وجاءت هذه القصائد كلها متداخلة ، على غير نسق واضح ، وقد علق عليها الأخفش الاصغر شرحاً يفسر بعض الغريب ويوضح بعض المعاني البعيدة · وقد فقد الجزء الاول المخطوط من هذا الكتاب ، ولم يُعثر الا على الجزء الثاني المخطوط منه ، الذي طبع في دمشق ١٣٩٤ هـ ـ ١٩٧٤ م بتحقيق د· فخر الدين قباوة ، ضمن مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق · ثم أعيد طبعه تصويراً في بيروت ١٩٨٤ م ·

٦ ـ **الأشباه والنظائر** : للخالديين ، وهما الأخَوان الموصليان : محمد « ـ ٣٨٠ هـ » وسعيد « ـ ٣٩١ هـ » ابنا هاشم ، وكانا من جملة حاشية سيف الدولة بحلب ، ومن خواص شعرائه ، وفي مقدمة ندمائه · ويضم هذا الكتاب مختارات « من أشعار المتقدمين ، والجاهلية ، والمخضرمين » مقترنة بما يشبهها في المعنى أو يناظرها من أشعار القدماء والمحدثين معا ، وقد اختيرت تلك الأشعار ورتبت ، من غير تبويب ، لابراز فكرة معينة في كل موضع تذكر فيه تلك الفكرة ، وفي الكتاب ، اضافة الى ذلك ، لمع من أخبار الشعراء ، وآراء أدبية كثيرة متناثرة · وقد طبع ، في جزأين كبيرين ، بتحقيق د· السيد محمد يوسف ، ونشرته لجنة التاليف والترجمة والنشر في القاهرة (١٩٥٨ـ١٩٦٥م)·

٧ ـ **الحماسة البصرية** : لصدر الدين البصري (ـ ٦٥٦ هـ) · وهذه الحماسة هي آخر الحماسات القديمة التي وصلت كاملة الينا حتى اليوم · ومختاراتها مستمدة من كتب الاختيار السالفة : كالدواوين الشعرية ، وكتب الأدب ، والمفضليات ، والأصمعيات ، والحماسات المتقدمة ، والأشباه والنظائر· ومن ثم كانت هذه الحماسة مفتقرة الى الاصالة · وهي تضم ١٦٤٨ حماسية تشمل نحو ستة آلاف بيت من الشعر · وكلها من الشعر القديم ، والمحدث الذي يقف عند منتصف القرن الثالث للهجرة ، ولا يتجاوزه المؤلف ليصل الى عصره هو ، على الرغم من تطاول الازمان ووفرة المصادر بين يديه · وهذه الحماسة تتألف من ١٢ باباً ، عشرة منها تطابق أبواب حماسة أبي تمام ، والبابان الآخران المضافان هما : «الانابة والزهد» ، و «ما جاء في أكاذيبهم وخرافاتهم»·

وقد طبعت الحماسة البصرية في حيدر آباد بالهند ١٩٦٤ في جزأيـن بتصحيح وتعليق مختار الدين أحمد · ثم أعيد طبعها تصويراً في بيروت منذ بضع سنوات ·

* * * *

أما المجموعات الشعرية التي ألفها المعاصرون ، والتي تضم مختارات مختلفة من الشعر القديم ، فنذكر منها ، بحسب تاريخ نشرها :

١ ـ **كتاب اراجيز العرب** : ألفه محمد توفيق البكري (ـ ١٩٣٢ م) ، واختار فيه ٣٩ أرجوزة ، ما بين طويلة وقصيرة ، وفسر غريبها وشرح معانيها. وهذه الأراجيز لشعراء ورجاز مختلفين · وقد فاز بالنصيب الاوفى من هذا الاختيار ثلاثة منهم وهم : (العجاج ، وابنه رؤبة ، وذو الرمة) والى جانبهم : القطامي ، وحميد الأرقط ، ومنظور بن مرثد ·· الخ وبعض الأعراب · طبع الكتاب بمصر ١٣١٣ هـ ثم سنة ١٩٤٦ هـ ·

٢ ـ **شاعرات العرب في الجاهلية والاسلام** : جمعه ورتبه بشير يموت (ـ بعد ١٩٢٨ م) وطبع في بيروت ١٣٥٣ هـ ـ ١٩٣٤ م · وهو يتضمن مختارات من أشعار النساء العربيات ، وجعلهن في قسمين : القسم الجاهلي ، والقسم الاسلامي ، معتمداً في جمع تلك الأشعار على عدد من المصادر القديمة المختلفة · وعدد صفحاته ٢٥٠ ·

٣ ـ **الطرائف الأدبية** : جمعه وصححه عبد العزيز الميمني (ـ ١٩٧٨م) الذي كان أستاذاً للأدب العربي بجامعة عليكره بالهند · وطبع في القاهرة ١٩٣٧ م · وهو في قسمين : الأول يشتمل على ديوان الافوه الاودي ، وديوان الشنفرى (وهما من شعراء الجاهلية) ، وتسع قصائد نادرة ، منها : لامية أبي النجم العجلي ، وعينية الصمة القشيري ··· والقسم الثاني يشتمل على ديوان ابراهيم الصولي ، والمختار من دواوين المتنبي والبحتري وأبي تمام لعبد القاهر الجرجاني · وقد أعيد طبع هذا الكتاب تصويراً منذ بضعة عشر عاماً ·

٤ ـ **شعر الخوارج** : جمعه وحققه د· احسان عباس · وطبع أول مرة في بيروت سنة ١٩٦٥ ثم توالت طبعاته منقحة ومزيدة · وقد اقتصر فيه المؤلف على شعراء فرقة الخوارج منذ نشأتها حتى نهاية العصر الامــــوي ، دون أن يتجاوزه الى العصور التالية ، لندرة تلك الاشعار فيها ·

٥ ـ **مختارات من الشعر الجاهلي** : اختارها وعلق عليها أحمد راتب النفاخ · وطبعت في دمشق سنة ١٩٦٦ وتشتمل على بعض المعلقات والقصائد لكل من امرىء القيس وزهير والنابغة وعنترة اضافة الى قصائد أخرى لأساتذة زهير (كطفيل الغنوي ، وأوس بن حجر ، وبشامة بن الغدير) ، وقصائد للمقلين وأصحاب الواحدة ، وللشعراء الفرسان ، والشعراء الصعاليك (الشنفرى ، وتأبط شراً ، وعروة بن الورد) ·

٦ ـ **شاعرات العرب** : جمعها وحققها عبد البديع صقر · وهذا الكتاب يضم أشعار النساء في جميع العصور السابقة ، ورتبت فيه أسماء الشواعر على الحروف الهجائية ، لا على العصور · واعتمد المؤلف في عمله على كتاب بشير يموت وغيره ، وبلغ عدد صفحات كتابه ٤٨٨ وطبع سنة ١٣٨٧ هـ ـ١٩٦٧ م في بيروت (٩) ·

٧ ـ **المنصفات** : جمعها وحققها عبد المعين الملوحي · ونشرتها وزارة الثقافة وطبعت في دمشق ١٩٦٧ · والمنصفات قصائد قديمة قالها بعض الشعراء الفرسان الذين أنصفوا أنفسهم من أعدائهم ، أو أنصفوا أعداءهم من أنفسهم وذكروا ما لكل فريق وما عليه ، فكانوا أمثلة رائعة للفروسية العربية أخلاقاً وتقاليد وسلوكاً · ومن هؤلاء الشعراء عبد الشارق بن عبد العزى الذي يقول في قصيدته « المنصفة » التي رواها كل من أبي تمام والبحتري في حماستيهما ، والخالديين في الاشباه والنظائر :

فلمـا أن تواقفنـا قليـلا … أنخنـا للكلاكـل فارتمينـا
فلمـا لـم نـدع قوسا وسهمـا … مشينـا نحوهـم ومشـوا الينـا
شددنـا شـدة فقتلـتُ منهـم … ثـلاثـة فتيـة وقتلـت قَيْنـا
وشـدوا شـدة اخـرى فجـروا … بارجلِ مثلهـم ورمـوا جُوينـا
فآبـوا بالرمـاح مكسَّـرات … وأبنـا بالسيـوف قـد انحنينـا
فباتـوا بالصعيد لهـم أحـاح … ولـو خفَّـت لنا الكلمى سرينا(١)

* * * *

---

(١) الكلاكل : الصدور ، مفردها كلكل · وقين : اسم رجل كان مشهورا بالشجاعة · وجوين : أخو الشاعر ، وقد قتل في تلك المعركة · والصعيد : وجه الارض · والأحاح : العطش أو صوت يُسمع من الصدر ، بسبب اشراف الجريح على الهلاك· لو خفت لنا الكلمى : لو استطاع الجرحى منا القدرة على السرى ومعاودة القتال · يريد أن كلا الفريقين اضطر الى الاقامة والمكث ريثما تثوب اليه قواه ، بعد ذلك الجهد الشديد ومشارفة الردى ·

الباب الثاني

كتب اللغة والمعاجم

تمهيد
في اللغة وجمع مفرداتها

اللغة نظام اجتماعي خاضع لتأثير الزمان والمكان ، وكلما تعاقبت الأيام وجدنا فروقاً بين اللغة التي يتكلمها الأقدمون ، واللغة التي يتكلمها المعاصرون ، ولا سيما الألفاظ والتراكيب · لأن اللغة أيضا كائن حي يخضع لعوامل النشوء والارتقاء ، والتبدل والتطور ، فتولد كلمات جديدة ، وتموت أخرى قديمة · وتحيا أساليب كانت مندثرة ، وتضمحل أخرى كانت شائعة ذائعة · وهذا هو شأن اللغة العربية ، التي لا تخرج عن تلك القوانين التي تنتظم اللغات جميعاً ·

وربما اختلفت اللغة العربية عن سائر اللغات الاخرى في عدة ظواهر برزت فيها أكثر من غيرها كالمترادفات ، والأضداد ، والمجاز ، ومثلثات الكلام ، لارتباط هذه اللغة بحياة العرب الاقتصادية والاجتماعية والفكرية والعلمية ، الى جانب تعدد اللهجات عندهم ، تبعاً لاختلاف القبائل العدنانية والقحطانية ، التي لم تكن على درجة واحدة من الفصاحة ، وان كانت قريش أفصحها ·

ولما جاء الاسلام تابعت اللغة العربية مسيرتها ، مرتقية في معارج التقدم والتطور · وأمدتها آيات التنزيل ، وجوامع كَلِم الحديث بما أغنى مفرداتها ، ووسع مادتها ، وهذب ألفاظها ، وأكسبها دقة في الاداء ، وقوة في المنطق ·

ويوم خرج العرب الى الفتوح ، واختلطوا بالأعاجم ، واتسعت حضارتهم وعلومهم ، تبع ذلك انتشار اللغة واتساعها ، فأثرت في غيرها من لغات البلاد المفتوحة وتأثرت بها ، فسرى اليها كثير من الألفاظ الاعجمية التي اتخذت صفات شتى ، ما بين معربة ومولدة ومحدثة ، بل بدأ الفساد يدب الى سلائق العرب في مختلف الامصار ، وظهر اللحن على الألسنة ، في وقت مبكر ، وهذا ما حمل اللغويين والنحويين على سد هذه الثلمة ، وحفظ اللغة العربية من الشوائب · ومن ثم قامت حركة تدوين مفردات هذه اللغة منذ أواسط القرن الثاني للهجرة ، واتجهت جهود اللغويين والنحويين الى جمع الألفاظ التي نطق بها العرب الفصحاء ، والتقاط فرائدها من البوادي النائية ، حيث رحلوا الى هناك بمدادهم وصحفهم ، يسمعون من الاعراب ويكتبون ، غير مبالين بالحر الشديد ، ولا بالمشقة المضنية ، كما راح أعراب البادية يرحلون الى الحواضر لتؤخذ عنهم اللغة · وقد روي أن الكسائي أنفد خمس عشرة قنينة من الحبر في الكتابة عن فصحاء الاعراب ·

والى جانب هذا المصدر الأعرابي ، كان اللغويون ـ وفيهم رواة للشعر أيضا ـ يعتمدون على مصدرين آخرين في استقاء مفردات اللغة العربية ، الأول : رواة الشعر الآخرون ممن حفظوا ما لم يحفظه غيرهم من قصائد الشعر العربي وشوارد أبياته التي يحتج بها من العصرين الجاهلي والاسلامي ، فقد جاء فيها كثير من الغريب الذي حداهم الى البحث عن معانيه وتدوينها • والمصدر الآخر هو القرآن الكريم ، ففيه مفردات كثيرة ومادة لغوية وافية اجتهد اللغويون والباحثون في تحديد معانيها ، وكانت حافزاً لهم أيضاً على رحلات أخرى لتبين مدلولاتها ، كما كانت ألفاظ القرآن سبباً في أن يجمعوا ما يتصل بكل لفظة ، وتبيين اشتقاقها ، وما تفرع من مادتها •

تلك هي المصادر الأولى لجمع مفردات اللغة : القرآن ، والشعر الموثوق بصحته وعربية قائله ، ومشافهة الأعراب ، تلك المشافهة التي كانت أساساً بني عليه علماء اللغة طرق الاخذ والتحمل ، فيقولون مثلا : أملى علينا فلان ، وأدنى من ذلك قولهم : سمعت من فلان • و « سمعت » أعلى من « حدثني » ، و « حدثني » أفضل من « أخبرني » •• **وكان دون ذلك كله الاخذ من الكتب والصحف** حتى قيل : لا يؤخذ العلم عن صحفي • وقد أشار الى ذلك ابن سلام في مقدمة كتابه « طبقات فحول الشعراء » فقال وهو يتكلم على الشعر المسموع وروايته : « وقد تداوله قوم من كتاب الى كتاب ، لم يأخذوه عن أهل البادية ، ولم يعرضوه على العلماء • **وليس لأحد ـ اذا أجمع أهل العلم والرواية الصحيحة على ابطال شيء منه ـ أن يقبل من صحيفة ، ولا يروي عن صحفي** » • والصحفي هو الذي يأخذ عن صحيفة ، لم يعرض على العلماء ، ولم يتلق علمه عن طريق الرواية • ومن هنا كان عرضة للزلل والغلط ، فلا يوثق بعلمه •

وسرعان ما استردت اللغة عافيتها ازاء موجات اللحن والعجمة بفضل رجال اللغة الذين دونوا مفرداتها ، وحفظوها من الضياع والاندثار ، بطرق متعددة ، لتنشط ، من بعد ، الى آفاق الحياة المتجددة في العصر العباسي ، وتفتح صدرها للعلوم المستحدثة ، والمصطلحات الفنية ، التي تطلبتها الفلسفة والرياضيات ، والمنطق ، والفلك ، والطب ، والموسيقا ، وغير ذلك من العلوم • اضافة الى استيعابها لجميع الآداب والفنون ، فكانت بحراً ضم في أحشائه درراً ولآلىء ، وأثبتت أنها لغة حية قادرة على استيعاب العلوم والآداب معاً ، بلا قصور ولا تقصير •

وكان أن ظفر اللغويون بمواد غنية أيضا من مفردات اللغة العربية وأساليبها **وكان ذلك منطلقا لخطوات واثقة** اقترنت بتقديم مؤلفات لغوية مختلفة ومتنوعة ، سار على هديها لغويون آخرون في تلك العصور نفسها وما تلاها من عصور أيضاً ، في جهود خيرة يتلو بعضها بعضا ، فاغتنت المكتبة العربية بمؤلفات ثمينة ، يصعب حصرها أو الاحاطة بها • وكانت هناك أنماط

من التاليف اللغوي والمعجمي ، تطورت ميادينها واتسعت حينا ، وضاقت او تحددت حيناً آخر ، هذا الى أن تلك المؤلفات جميعاً : منها ما يكون رسالة صغيرة أو كتيباً ، ومنها ما يكون مجلدا واحدا أو أكثر ، تبعا للموضوع نفسه ، لا تبعاً لتاليف مرحلي ، لأن هذه الأنماط والاشكال من التأليف لم تنقطع الى يومنا هذا ، على تعددها وتنوعها .

وسوف نتحدث أولا عن بعض الميادين اللغوية البارزة وما ألف فيها من كتب ورسائل ، ثم ننتقل الى الكلام على المعاجم اللغوية بأنواعها وطرائقها .

* * * *



الفصل الأول

كتب اللغة

كتب النوادر

تقوم هذه الكتب على جمع الألفاظ الغريبة والنادرة ومعرفة معناها ومواضع استعمالها من خلال النصوص الشعرية والنثرية ، من قصائد وخطب ورسائل وأقوال مأثورة ، وقد ألف عدد من اللغويين منذ أواسط القرن الثاني كتباً تحمل اسم « النوادر » وذكرهم ابن النديم في كتاب الفهرست ، ومنهم . أبو عمرو بن العلاء (ــ ١٥٤ هـ) ، والكسائي (ــ ١٨٩ هـ) ، وأبو محمد اليزيدي (ــ ٢٠٢ هـ) ، وأبو عمرو الشيباني (ــ ٢٠٥ هـ) ، والفراء (ــ ٢٠٧ هـ) ؛ وأبو زيد الانصاري (ــ ٢١٥ هـ) ومعاصره أبو مسحل الاعرابي ، والأصمعي (ــ ٢١٦ هـ) وابن السكيت (ــ ٢٤٤ هـ) وأبو علي القالي (ــ ٣٥٦ هـ) ٠٠٠

ونتحدث الآن عن كتاب واحد من كتب النوادر .

كتاب النوادر : لأبي زيد الأنصاري

أبو زيد الانصاري : سعيد بن أوس ، لغوي بصري ، من أئمة الادب ٠ غلبت عليه اللغة والنوادر والغريب ٠ وكان كالمفضل الضبي ثقة في روايته ٠ عمّر طويلا حتى قارب المئة ٠ وتوفي سنة ٢١٥ هـ ٠ وله مصنفات لغوية وأدبية مفيدة ٠

وكتابه « النوادر » هو ــ على اعتدال حجمه ــ ذو مادة لغوية غزيرة ، عرضها أبو زيد من خلال النصوص الشعرية والنثرية التي أوردها في الكتاب ، وهذا الكتاب ــ في أصله ــ أمال عامة في اللغة وغريبها ، كان أبو زيد يمليها في مجالسه بالبصرة ٠ ثم زاد عليه تلاميذه بعده ، كما أن فيه اضافات مروية عن علماء جاؤوا بعد عصر أبي زيد ٠

والكتاب لا يخضع لمنهج معين أو طريقة واضحة في عرض مواده ، ولكن الطريقة الغالبة عليه ايراد نصوص شعرية أو نثرية ، لا رابطة بينها ، ثم شرح ما في هذه النصوص من ألفاظ وتراكيب غريبة ، وروايات مختلفة ٠

وهذا نص من الكتاب يوضح طريقته : (ص ٦٥)

« وقال العُرْيان بن سهلة :

مررتُ على دار امرئٍ السَّوء عنده ... لُيوث كعيدان بحائط بُستانِ
ومررتُ(١) على دارِ امرئٍ الصدق حوله ... مَرابطُ أفراس وملعب فتيان
فقال مجيباً : والذي حجَّ حاتم ... أخونك عهداً ، انني غيرُ خوان

العيدان : النخل الطِوال . والجبّار : القِصار . ويقال : ناقة ليثة .. والذي حج حاتم : أراد بيت(٢) الله الذي حج حاتم .

قال أبو الحسن(٣) : هكذا قال ، الجبار : النخل الصغار ، والذي نحفظه أن الجبّار : ما تجاوز في الطول ، ومنه قيل للرجل : جبار ، ومتجبر ، أي متطاول » .

طبع « **كتاب النوادر** » في المطبعة الكاثوليكية ببيروت سنة **١٨٩٤** بتصحيح وتعليق : سعيد الشرتوني ، **ثم أعيد طبعه تصويراً في بيروت أيضاً ١٩٦٧** والحقت به زيادات عن نسخة خطية، في بضع عشرة صفحة .

كتب الغريبين

الغريبان : غريب القرآن ، وغريب الحديث . **وكتب الغريبين** : هي الكتب التي تعنى بجمع الألفاظ التي تبدو غريبة على القارىء ، في القرآن الكريم ، أو في الحديث النبوي . فهناك كتب في « غريب القرآن » وكتب في « غريب الحديث » . وكتب أخرى تجمع بين غريبي القرآن والحديث معاً ، مثل : « كتاب الغريبين » للهروي (ـ ٤٠١ هـ) و « المجموع المغيث في غريبي القرآن والحديث » لمحمد بن أبي بكر عيسى المديني الأصفهاني (ـ ٥٨١ هـ) ، و « مجمع البحرين » لفخر الدين الطريحي (ـ ١٠٨٥ هـ) . وربما ألف اللغوي نفسه كتاباً في غريب الحديث ، وآخر في غريب القرآن . **وممن ألف في « غريب القرآن »** : مؤرج السدوسي (ـ ١٩٥ هـ) ، وأبو عبيد القاسم بن

(١) فيه زيادة الواو على الوزن ، وهذا ما يسمى بالخزم .

(٢) كذا ، ولعله : « وبيت » بالجر على القسم .

(٣) هو الاخفش الاصغر ، علي بن سليمان المتوفى ٣١٥ هـ ، أي بعد وفاة أبي زيد الأنصاري ـ مؤلف الكتاب ـ بقرن كامل . ومن ذلك يعرف أن قوله هذا زيادة على أصل الكتاب .

سلام (ـ ٢٢٤) ومحمد بن سلام الجمحي (ـ ٢٣٢) وابن قتيبة (ـ ٢٧٦) وثعلب (ـ ٢٩١) ومحمد بن عُزيز السجستاني (ـ ٣٣٠) والراغب الأصفهاني (ـ ٥٠٢) وأبو حيان الأندلسي (ـ ٧٤٥) ٠٠ واستمر التأليف في هذا الموضوع الى يومنا هذا ٠

وممن ألف في « غريب الحديث » : قطرب (ـ ٢٠٦ هـ) وأبو عبيدة معمر ابن المثنى (ـ ٢١٠) ، وأبو عبيد القاسم بن سلام (ـ ٢٢٤) وابن قتيبة (ـ ٢٧٦) والمبرد (ـ ٢٨٥) وابراهيم بن اسحق الحربي (ـ ٢٨٥) وقاسم بن ثابت السرقسطي (ـ ٣٠٢) والزمخشري (ـ ٥٣٨) ، ومجد الدين بن الاثير (ـ ٦٠٦) الذي نخص كتابه بالتعريف :

النهاية : لمجد الدين بن الأثير

ابن الأثير : هو أبو السعادات ، مجد الدين ، المبارك بن محمد الجزري الموصلي ، المعروف بابن الأثير ٠ كان محدثاً لغوياً ٠ ولد ونشأ في « جزيرة ابن عمر » وانتقل الى الموصل فاتصل بصاحبها ، فكان من أخصائه ٠ ثم أصابه مرض لازمه الى أن توفي في احدى قرى الموصل سنة ٦٠٦ هـ ٠ وهو أخو عزالدين بن الاثير المؤرخ ، صاحب كتاب « الكامل في التاريخ » وضياء الدين ابن الأثير الكاتب ، صاحب كتاب « المثل السائر » ٠

وكتاب مجد الدين بن الأثير : « النهاية في غريب الحديث والأثر » هو من أشهر الكتب المؤلفة في شرح غريب الحديث ، وقد سبقه الى ذلك جمع غفير من العلماء ، ذكرنا أسماء بعضهم ، حتى انتهى اليه حصاد طيب في شرح غريب الحديث ، أفاد منه وأربى عليه في استقصاء رائع ، ودأب مشكور ، بحيث جاء كتابه بحق « النهاية » في هذا الفن ٠

وقد رتب ابن الأثير مواد كتابه على الحروف الهجائية تبعاً للحرف الأول من الاصل المجرد للكلمة ، وراعى ما يليه من الحروف ٠ فـ « التبتل » نجدها في باب الباء مع التاء : « بتل » ، و « البُرحاء » نعثر عليها في باب الباء مع الراء « برح » ٠٠٠ فهو يذكر اللفظ الغريب في مادته اللغوية ، ويذكر الحديث النبوي الذي ورد فيه ذلك اللفظ ، ويبين معناه ٠ وقد يذكر له شواهد أخرى من الحديث واللغة ٠ ثم انه ضمنه فوائد علمية جليلة ، ولم يقف عند حدود المادة اللغوية في شرح غريب الاحاديث النبوية وآثار الصحابة والتابعين ٠ وبذلك ظهرت في هذا الكتاب ثقافة ابن الأثير المتعددة الجوانب ٠

طبع كتاب « النهاية » غير مرة ، وآخر طبعاته طبعة علمية جيدة بتحقيق طاهر الزاوي ، ومحمود الطناحي ، بدار احياء الكتب العربية في القاهرة ١٣٨٣ هـ ـ ١٩٦٣ م وتقع في خمسة مجلدات ٠

وممن اختصره قديماً : جلال الدين السيوطي ، وسمى كتابه . « الدر النثير ، تلخيص نهاية ابن الأثير » • وقد طبع « الدر » بهامش النهاية في المطبعة العثمانية سنة ١٣١١ هـ وتقع هذه الطابعة للكتابين معا في أربعـــة أجـــزاء •

كتب الأضداد

في العربية كلمات تستعمل كل منها بمعنيين متضادين ، مثل (باع) ، يكون على المعنى المعروف عند الناس ، ويكون بمعنى ابتاع واشترى • ومثل (الضعف) ، فيكون ضعف الشيء مثله ، ويكون مثليه • وكذلك (الغريم) الذي له الدين والذي عليه الدين أيضا (الدائن ، والمدين) •

والمتأمل في أحوال هذه الأضداد يرى أن منها ما هو لغات في قبائل مختلفة ، فكلمة « السدفة » في لغة تميم معناها : « الظُلْمة ، وفي لغة قيس معناها : الضوء والنهار • ومنها ما أطلق على الضدين لمعنى مشترك ، مثل « المأتم » الذي يطلق على النساء المجتمعات في الحزن ، أو في الفرح ، وانما جاءت هذه الدلالة من أن المأتم يطلق على مجرد اجتماع النساء ، ومع مرور الزمن اقتصر استعمال المأتم على الاجتماع في الحزن • وربما كان الباعث على التضاد : التفاؤل والأمل المرجو ، كاطلاقهم لفظ « السليم » على السالم الصحيح الجسم وعلى الملدوغ الذي نهشته الحية ، تفاؤلا بسلامته من تلك اللدغة •

ومن هنا اختلف اللغويون في الأضداد ، وتعددت آراؤهم في تعليل وجودها في العربية ، ما بين مثبت لها مطلقاً ، ومقيد لها بشروط ، ومنكر لها البتة • ولكن المنكرين ــ وفي مقدمتهم ابن درستويه (ــ ٣٤٧ هـ) ــ لم يأتوا بحجج كافية تؤيد انكارهم ، وهم ــ على كل حال ــ قلة بالقياس الى من أثبت الاضداد من العلماء : كالأصمعي (ــ ٢١٦ هـ) وابن السكيت (ــ ٢٤٤) والمبرد (ــ ٢٨٥) وأبي بكر الانباري (ــ ٣٢٨) وأبي الطيب اللغوي (ــ ٣٥١) وابن فارس (ــ ٣٩٥) • وابن الدهان (ــ ٥٦٩) ••

ومن أشهر الكتب المؤلفة في هذا الموضوع :

كتاب الأضداد : لأبي بكر الانباري

أبو بكر الأنباري ، محمد بن القاسم ، نسبته الى « الأنبار » ، مدينة على الفرات ، غربي بغداد • وقد ولد أبو بكر في بغداد ، ودرس على أبيه وغيره من العلماء ، حتى أصبح اماماً في اللغة والنحو والأدب والقراءات والتفسير •

وكان ثقة صدوقا متحليا بأخلاق العلماء . روى تلميذه الدارقطني (ـ ٣٨٥هـ) انــه صحف اسماً في مجلس علم ، فهاب الدارقطني أن يصارحه بذلك . فلما انقضى المجلس أخبر كاتبه . وحــين حضر المجلس الثــاني قــال الانبــاري لكاتبه : عرف الجماعة أننا صحفنا الاسم الفلاني ، ونبهنا ذلك الشاب على الصواب .

توفي أبو بكر سنة ٣٢٨ هـ . ومن مصنفاته : الأضداد ، وشرح القصائد السبع الطوال الجاهليات . أما « شرح المفضليات » فهو لأبيه : القاسم بن محمد (ـ ٣٠٥ هـ) .

وكتابه « الأضداد » يعنى بجمع الألفاظ التي تقع على الشيء وضده في المعنى . ويستشهد على ذلك بايات التنزيل ، والأحاديث النبوية ، وكلام العــرب وأشعارهــم . ولــكن الأنبــاري لم يسلك في كتابــه منهجاً معيناً ، بل ساق ألفاظ الأضداد بلا نظام ولا ترتيب . وهو يدافع في مقدمة الكتاب عن ظاهرة الاضداد في اللغة العربية ، ويعرض بأهل البدع والزيغ الذين يعيبون اللغة لذلك . ويشير الى أن وقوع الأضداد في كلام العرب جائز مقبول ، وأن **فهم ذلك** ممكن اذا وقع في الكلام ، وتعليل ذلك أن كلام العرب يصحح بعضه بعضاً ، ويرتبط أوله بآخره ، و'يعرف المعنى من السياق .

وهذا مثال من الكتاب يوضح طريقة مؤلفه في الكلام على الأضداد :

« **ووراء** : من الأضداد . يقال للرجل : وراءك ، أي خلفك ، ووراءك أي أمامك . قال الله عز وجل : « ومن **ورائهم** جهنم » فمعناه : من أمامهم . وقال تعالى : « وكان **وراءهم** ملك يأخذ كل سفينة غصبا » فمعناه : وكــان أمامهم . وقال الشاعر :

ليــس عــلى طــول الحيــاة نــَــدَم ومــن وراء المــــرء ما يعــــــلم

أي من أمامه . وقال الآخر :

أترجــو بنو مــروان سمعــي وطاعتــي وقــومي تميــــم والفــلاة ورائيــا

أراد : قُدامي ...

واشتريت : حرف(١) من الأضداد ، يقال : اشتريت الشيء على معنى قبضته وأعطيت ثمنه . وهو المعنى المعروف عند الناس . ويقال : اشتريته اذا بعته . قال الله عز وجل : « أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى » . قال جماعة من المفسرين : معناه : باعوا الضلالة بالهدى ....

(١) الحرف ، هنا ، بمعنى الكلمة .

ويقال : شريت الشيء : اذا بعته ، وشريته : اذا ابتعته ٠٠ » ٠

طبع كتاب الأضداد ، للأنباري ، مراراً في ليدن ، ومصر ، وغيرهما ٠ واجود طبعاته تلك التي حققها محمد أبو الفضل ابراهيم ، وطبعت في الكويت سنة ١٩٦٠ م ٠ وهي مزودة بفهارس فنية مختلفة ٠

كتب اللحن وتقويم اللسان

مر بنا في تمهيد هذا الفصل أن الفساد بدأ يسري الى سلائق العرب ولغتهم التي يتكلمونها ، بعد اختلاطهم بالأعاجم ، وكان أن ظهر اللحن على الألسنه في وقت مبكر ، منذ أوائل العصر الاسلامي ، حتى شعر الخلفاء الراشدون بخطر ذلك على العربية ، فنقرأ في المصادر أن أبا بكر الصديق قال في معرض الحديث عن فشو اللحن : « لأن أقرأ وأسقط أحب الي من أن أقرا والحن » ٠

ومر عمر بن الخطاب بقوم يرمون النبال ويخطئون في رميهم ، فقال : ما أسوأ رميكم ٠ فقالوا : « نحن قوم متعلمين » ٠ فقال عمر : والله لخطؤكم في لسانكم أشد علي من خطئكم في رميكم ٠

ويروى أن رجلا قدم الى زياد بن أبيه والي البصرة لعهد معاوية ، فقال : « أصلح الله الأمير ، توفي أبانا وترك بنون » فاستاء زياد من هذا اللحن ، ودفعه استياؤه هذا الى أن يكرر عبارة ذلك الرجل ، قائلا : « توفي أبانا وترك بنون !! ٠٠٠ » ٠

ولم يقتصر الامر ، مع الايام ، على الغلط النحوي ، بل تعداه الى اللحن اللغوي ، في الالفاظ نفسها واستعمالاتها في الكلام ، ضبطاً وتركيباً :

فتارة يفتحون المكسور في أول الكلمة ، فيقولون : « صَنارة الصيد » والصواب كسر الصاد ٠

وتارة يشددون المخفف ، فيقولون : « الدُّخان » و « قدّوم » و « دمّ » والصواب تخفيف الخاء ، في « الدُّخان » ، وتخفيف الدال في « قدوم » والميم في « دم » ٠

وقد يحرفون الكلمة نفسها في أحرفها فيقولون : « انجاص » والصواب « اجاص » ٠

وقد يجعلون الفعل اللازم متعديا ، والمتعدي لازما ، ٠٠ أو يعدون الفعل بغير حرفه الخاص به ، فيقولون ، مثلا : « أثر عليه » بدلا من « أثر فيه » ٠٠٠ الخ ٠

وكلما تعاقبت الأيام ازداد الامر سوءا ، واتسع شيوع اللحن على ألسنة المتعلمين ، عامتهم وخاصتهم ، وكان تصحيح اللحن في البدء يقتصر على مجالس العلماء والأدباء وما شاكلها ، بصورة شفوية ، ثم انتقل الامر الى تأليف الكتب في لحن العامة وتقويم الألسنة ، لتجنيب العربية الفصيحة شر هذا الوباء المستشري • ويعد كتاب « **ما تلحن فيه العوام** » للكسائي (ــ ١٨٩ هـ) أقدم ما وصل الينا من الكتب المؤلفة فيهذا الموضوع • وتبعته في مثل هده التسمية تقريبا كتب كثيرة . مثل « **ما تلحن فيه العامة** » لأبي عبيدة معمر بن المثنى (ــ ٢٠٨ هـ) ، و « **ما يلحن فيه العامة** » لأبي نصر الباهلي (ــ ٢٣١ هـ) ومثله للمازني (ــ ٢٤٩ هـ) ولأبي حنيفة الدينوري (ــ ٢٨٠ هـ) ••

ولم يقتصر شيوع اللحن على عامة المتعلمين وحدهم ، **بل تعداهم الى الخاصة من المثقفين والعلماء والأدباء** ، وهذا ما جعل بعض المصنفين يوجهون اهتمامهم الى هذه الطبقة من الناس ، فيعنون بتقديم الفصيح من الألفاظ ، الى جانب تقويم الألسنة ، كما فعل ثعلب (ــ ٢٩١ هـ) في كتابه « **الفصيح** » وابن السكيت (ــ ٢٤٤ هـ) في كتاب « **اصلاح المنطق** » •• أو يسلطون الأضواء على **أوهام أولئك الخاصة** ، كأبي هلال العسكري (ــ ٣٩٥ هـ) في كتاب « **ما تلحن فيه الخاصة** » ، والحريري صاحب المقامات (ــ ٥١٦ هـ) في كتابه « **درة الغواص في أوهام الخواص** » • ووجد فريق من اللغويين أن اللحن قد شمل كل الطبقات ، بلا تمييز بين طبقة وأخرى ، أو بين خاصة وعامة ، **فجعلوا كتبهم تسير في هذا الاتجاه الشامل الذي يرمي الى تقويم الألسنة عامة** ، كابن مكي الصقلي (ــ ٥٠١ هـ) صاحب كتاب « **تثقيف اللسان وتلقيح الجنان** » ، وابن هشام اللخمي (ــ ٥٧٧ هـ) في كتابه « **المدخل الى تقويم اللسان** »، وابن الجوزي (ــ ٥٩٧ هـ) في كتابه « **تقويم اللسان** » ••• هذا الى عنوانات أخرى تختلف في صياغتها عن هذه وتلك ، وكلها تصب في بحر واحد • وبعض المصنفين لم يجعل كتابه كله في تصويب اللحن ، بل خصص قسما منه لذلك ، كما فعل ابن قتيبة (ــ ٢٧٦ هـ) الذي أفرد بابا خاصا من أبواب كتابه « **أدب الكاتب** » فجعله بعنوان « كتاب تقويم اللسان » •

ولم ينقطع سيل التاليف في هذا الموضوع حتى العصور المتأخرة ، بل حتى عصرنا هذا • ولعله فاق العصور السابقة جميعا • وتعليل ذلك ظاهر • **على ان الجدير بالذكر** أن هذه الكتب كلها تتفاوت فيما بينها من حيث التطويل أو الاختصار ، وكثرة الشواهد أو قلتها ، ومن حيث المنهج والطريقة والترتيب •• ثم ان هذه الكتب نفسها لم تسلم من النقد والرد ، ولم يُنظر الى مضامينها كلها على أنها من المسلمات التي لا تقبل الجدال ، •• ولا شك

أن هذه المحاولات جميعا كان لها أثرها ، على مر العصور ، في تصحيح الأغلاط اللغوية المتداولة ، ولكن الطريف في الأمر ان بعض الاغلاط لم تستطع الايام محوه من الألسنة ، وأن بعضها الآخر مما أثبتته تلك الكتب ـ لا وجود له اليوم . ثم انه كلما اضمحلت طائفة من الأغلاط الشائعة وتجنبها الناس ، حلت محلها طائفة أخرى جديدة جاء بها العصر المستجد والحضارة المتطورة ، فيحتاج الامر الى تأليف كتب جديدة تصحح ما استجد من الأغلاط وتنسخ ما مات منها وتلاشى . وهلم جرا .

ونتكلم الآن على واحد من تلك الكتب القديمة ، طبقت شهرته الآفاق ، وسار ذكره في المشرق والمغرب ، وهو :

دُرة الغوّاص : للحريري

الحريري : هو القاسم بن علي ، أبو محمد الحريري البصري ، صاحب « المقامات الحريرية » التي ترجمت الى اللاتينية ، منذ القرن الثامن عشر ، ثم الى كثير من اللغات الأوروبية الحديثة . كان الحريري أديباً كبيراً ، غزير العلم ، غاية في الذكاء والفطنة والفصاحة والبلاغة . ونسبته الى عمل الحرير أو بيعه . توفي بالبصرة سنة ٥١٦ هـ وقد بلغ السبعين من عمره . قال فيه ياقوت الحموي : « وله تصانيف تشهد بفضله ، وتقر بنبله . وكفاه شاهداً كتاب المقامات التي أبر بها على الأوائل ، وأعجز الأواخر » .

أما كتابه « درة الغواص في أوهام الخواص(١) » فهو أحد الكتب التي الفت في تقويم ألسنة الخاصة من المثقفين ، وبيان أغلاطهم فيما يستعملونه من الألفاظ والعبارات في غير معناه ، أو يضعونه في غير موضعه ، أو يلحنون فيه متأثرين بالعامة في ذلك . وهذا **ما حفزه لتأليف كتابه** . وقد ذكر في مقدمته غرضه هذا فقال : « .. فاني رأيت كثيراً ممن تسنموا أسنمة الرتب ، وتوسموا بسمة الأدب ، قد ضاهوا العامة في بعض ما يفرط من كلامهم ، وترعف به مراعف أقلامهم ، مما اذا عُثر عليه ، وأثر عن المعزو اليه ، خفض قدر العلية ، ووصم ذا الحلية . فدعاني الانف لنباهة أخطارهم ، والكلف باطابة أخبارهم ، الى أن أدرأ عنهم الشُبه ، وأبين ما التبس عليهم واشتبه ، لألتحق بمن زكا أُكُل غرسه(٢) ، وأحب لأخيه ما يحب لنفسه ، فألفت هذا الكتاب تبصرة لمن تبصر ، وتذكرة لمن أراد أن يذكر » .

---

(١) انظر الكلام عليه مفصلا في كتاب « لحن العامة والتطور اللغوي » للدكتور رمضان عبد التواب ٢١٠ ـ ٢١٧ .

(٢) زكا : نما وزاد . والأُكُل ، بضمتين : المأكول . والمراد : طابت ونمت آثاره فانتفع بها الناس .

والحريري يسرد مواد كتابه ، مادة اثر أخرى ، فيبين وجه الغلط ، ثم يذكر الاستعمال الصحيح فيه ، بلا ترتيب معين ، ولا منهج منسق ، مؤيداً كلامه بأقوال العلماء ، وبشواهد فصيحة من الشعر والنثر ، والآيات القرآنية ، والأحاديث النبوية ٠ ونراه يتشدد في عرض الأخطاء ، وذكر الصواب فيها ، بعبارات قاسية ، وتعقيبات تزري على الخاصة هفواتهم وسقطاتهم ٠ فهو يمهد للغلط بمثل قوله : « فمن أوهامهم الفاضحة وأغلاطهم الواضحة أنهم يقولون ٠٠٠ » ، أو قوله : « ومن أوهامهم الزارية على أفهامهم ، العاكسة معنى كلامهم أنهم لا يفرقون بين معنى نعم وبلى ٠٠٠ » كما يعقب على الوهم بقوله : « وهو خطأ بين ، ووهم مستهجن » أو قوله : « وهو من أفضح الاوهام »٠

والطابع اللغوي هو الغالب على مواد الكتاب ، من حيث أوهام النطق والدلالة ، ولكن الحريري أضاف الى ذلك ظواهر من الاغلاط النحوية ، وأخرى من الاخطاء التي تقع في الكتابة ورسم الكلمات ، وهو ما نسميه اليوم بالاخطاء الاملائية ، كبعض أحوال الهمزة المتوسطة ، والألف المقصورة ، وحذف ألف « ابن » ٠ وحرص الحريري أيضاً على أن يضمن كتابه فوائد لغوية ، ومسائل نحوية وصرفية ، وأخباراً أدبية التقطها من مصادر مختلفة ٠ وقد ذكر ذلك في مقدمة كتابه فقال :

« وها أنا قد أودعته من النخب كل لباب ، ومن النكت ما لا يوجد منتظما في كتاب ٠ هذا الى ما لمعته به من النوادر اللائقة بمواضعها ، والحكايات الواقعة في مواقعها » ٠

وهذه امثلة من « درة الغواص » توضح طريقته ومضمونه ، قال :

« ويقولون : (ما كان ذلك في حسابي) أي في ظني ٠ ووجه الكلام أن يقال : ما كان ذلك في حسباني ٠ لأن المصدر من حسبت ــ بمعنى ظننت ــ مَحسِبة وحِسبان ، بكسر الحاء ٠ فأما الحساب فهو اسم للشيء المحسوب ٠٠٠

ومن ذلك أنهم لا يفرقون بين الترجي والتمني ٠ والفرق بينهما واضح . وهو أن التمني يقع على ما يجوز أن يكون ، ويجوز ألا يكون ، كقولهم : ليت الشباب يعود ٠ والترجي يختص بما يجوز وقوعه ٠ ولهذا لا يقال : لعل الشباب يعود ٠٠٠

ومن ذلك توهمهم أن القينةَ المغنيةُ خاصةً ٠ وهي ــ في كلام العرب ــ الأمة ، مغنية كانت أو غيرُ مغنية ٠ وعلى ذلك قول زهير :

ردّ القيـــانُ جِمــــالَ الحي فاحتملوا الى الظهـيرة ، أمر بينهـــم لَبيــكُ(١)

وقد أثار هذا الكتاب اهتمام القدماء ، فمنهم من شرحـــه كالخفاجي (ــ ١٠٦٩ هـ) ومنهم من رتبه كابن منظور (ــ ٧١١ هـ) ومنهم من رد عليه ونقده كابن الخشاب (ــ ٥٦٧ هـ) ۰ وطبع غير مرة ، في مصر ، والمانيا ، والقسطنطينية ، وبغداد ۰ وحققه أخيراً محمد أبو الفضل ابراهيم وطبع في مصر سنة ١٩٧٥ م ۰

كتب ورسائل لغوية مختلفة

والى جانب ما سبق ذكره من كتب النوادر ، والغريبين ، والأضداد ، وتقويم اللسان ، ظهرت كتب لغوية أخرى متنوعة ، ومعظمها رسائل صغيرة ، محدودة الموضوع ، بنيت على ظاهرة لغوية ، أو على معنى من المعاني ۰ ولذا كانت أشبه بالمعاجم المتخصصة ، أو الكتب التي تختص بموضوع بعينه ۰ وهي كثيرة جداً ، نكتفي هنا بالاشارة الى بعضها ، بحسب موضوعاتها :

آ ــ **كتب الحيوان** : وهذه الكتب تعكس عناية العرب ، ولا سيما أهل البادية ، بالحيوانات من ابل وخيل وشاء ووحوش ، وكل ما يدب على الارض من الزواحف والهوام ۰ وعني مؤلفو هذه الكتب بأسماء الحيوان ، وأجناسه ، وأعضائه ، وصفاته ، ونتاجه ۰۰۰ في نطاق لغوي صرف ، بعيد عن الميدان العلمي والتشريحي ، ويقتصر فيه على ما يتعلق بموضوع الحيوان من ألفاظ اللغة ۰

وقد ألف الأصمعي (ــ ٢١٦ هـ) عدداً من هذه الكتب ، مثل « الابل » و « الخيل » و « الشاء » و « خلق الفرس » و « الوحوش » ۰۰

كما ألف أبو زيد الانصاري (ــ ٢١٥ هـ) كتاب « اللبأ واللبن » وهي رسالة صغيرة لا تتجاوز ثلاث صفحات ، ذكر فيها صفات كل من اللبأ ، واللبن ، وما يتصل بهما ۰ واللبأ : أول اللبن في النتاج ، وأكثر ما يكون ثلاث حلبات ، وأقله حلبة ۰

ب ــ **كتب النبات** : وهي تتحدث عن أنواع النبات المعروفة عند العرب ، وأسمائها ، ومنابتها ، وعن الاشجار وصفاتها وأشكالها ، ومواطنها ۰۰۰ وللأصمعي من ذلك « كتاب النبات والشجر » ، و « كتاب النخل والكرم »

---

(١) لبك : مختلط ۰ يقال : لبكت الطعام بالعسل وغيره ، اذا خلطته ۰ ولبكت عليه الامر ، اذا خلطته عليه ۰

وللنضر بن شميل (ــ ٢٠٤ هـ) كتاب « الصفات » الذي تكلم فيه على الزرع ، والكرم ، والبقول ، والاشجار ، ٠٠ الخ ، ولأبي عبيدة ، معمر بن المثنى (ــ ٢١٠ هـ) كتاب « الزرع » ٠ ولأبي زيد الأنصاري (ــ ٢١٥ هـ) كتاب « النبات والشجر » ٠

وذكروا أن لأبي حنيفة الدينوري (ــ ٢٨٢ هـ) كتاباً ضخماً في « النبات » لم يؤلف في معناه مثله ، ولكن لم يصل الينا من هذا الكتاب سوى جزء يسير ، وفقد معظمه ٠

وكتب النبات هذه ، مبنية أيضاً على جمع المادة اللغوية لهذا الموضوع ٠ ولهذه الكتب فوائد أخرى لا تقل خطراً عن الفائدة اللغوية التي طلبها علماء العربية ، فدراستها اليوم تعين على معرفة التوزيع الجغرافي لأنواع النبات وفصائله بحسب المناخ السائد ، وما يتبع ذلك من معرفة أنواع النشاط البشري الممكن وجوده في تلك الظروف ٠ وكثيراً ما يعين نوع النبات على تحديد كثير من الأقاليم والمواضع المتشابهة الاسماء ٠ فقد قيل مثلا : « فرق ما بين الحجاز ونجد أنه ليس بالحجاز غضا ٠ فما أنبت الغضا فهو نجد ، وما أنبت الطلح والسمر والاسل ــ وواحده أسلة ــ فهو حجاز » ٠

ج ــ **مثلثات الكلام** : في اللغة العربية ألفاظ وردت كل منها على ثلاث حركات في الحرف الأول منها ، بمعان مختلفة ، مثل :

ــ الغَمر : (الماء الكثير) ، والغِمر : (الحقد) ، والغُمر : (الجاهل) ٠

ــ السَّلام (للتحية) ، والسِّلام (للأحجار المدورة) ، والسُّلام (لعروق ظهر الكف) ٠

ــ الكَلام (مخاطبات الناس) ، والكِلام (الجراح ، ج كلم) ، والكُلام (الأرض الوعرة)(١) ٠

وقد لفتت هذه الألفاظ أنظار اللغويين منذ أواخر القرن الثاني للهجرة ، وكان قُطرب(٢) النحوي أول من جمع المثلث في اللغة ٠ وكتابه ــ وان كان

(١) في العربية أيضا كلمات مثلثة الأوائل ، ولكن معانيها لا تتغير ، مثل « الرغم » بتثليث الراء ، والمعنى هو نفسه ٠ وقد ألف الفيروزابادي كتابا في هذا النوع المتفق المعانى ٠ وله كتاب آخر في المثلث المختلف المعاني

(٢) هو أبو علي ، محمد بن المستنير النحوي ، اشتهر بين النحاة البصريين ، وعُد في جملة أئمتهم ٠ كان تلميذا لسيبويه ، وكان يتردد اليه ليأخذ عنه العلوم اللغوية ٠ وهو الذي لقبه بقطرب ٠ والقطرب : دويبة حريصة على العمل ، لا تزال تدب ولا تفتر ٠ توفي سنة ٢٠٦ هـ ٠ وله عدة تصانيف لغوية ٠

صغيراً ــ له فضيلة السبق · وهو أرجوزة مجزوءة ، متنوعة الرويات على نسق خاص ، وتضم تسعاً وعشرين كلمة من المثلثات ، لكل كلمة بيتان ، وقدّم لها ببيتين في الغزل ، وختمها ببيتين آخرين ، فيكون مجموع أبيات هذه الأرجوزة ٦٢ بيتاً · وقد ذكر قطرب مفتوح الحرف أولا ، وبعده المكسور . فالمضموم · وتجري أرجوزته في أولها على هذا النحو :

يـــا مولعـــا بالغضـــبِ والهجـــرِ والتعتـــب
في جـــده واللّعـــب حبُّـــك قـــد بـــرّح بـــي

· · ·

ان دموعـــي غَمـــرْ وليـــس عنـــدي غِمـــرْ
يا ايُّهـــذا الغُمـــرْ اقصِـــر عـــن التعتـــب

· · ·

بـــدا وحيّـــا بالسلام رمـــى عـــذولي بالسِّلام
اشـــار نحـــوي بالسُّـــلام وكفّـــه المختضـــب

وختمها بقوله :

لمـــا رايـــت هَجـــرَه وذُلّـــه ومطلـــهُ
نظمـــتُ في وصفـــي لـــه مثلثـــا في قطـــربِ

وقد شرح « مثلثات قطرب » عدد من العلماء الذين جاؤوا بعده · وطبعت أولا في المانيا سنة ١٨٥٧ مذيلة بشروح لاتينية · ثم نشرها أوغست هفنر ولويس شيخو في مجموعة « البلغة في شذور اللغة » التي طبعت أول مرة في بيروت سنة ١٩١٤ م · وأخيراً طبعت مثلثات قطرب في تونس ١٩٧٨ في كتاب مستقل ، مع بعض الشروح(١) ·

وبعد قطرب ، صنف بعض العلماء على مثال مثلثاته ، وأضافوا الى ما ذكره قطرب عدداً آخر من المثلثات ، فأثروا هذا الموضوع وأغنوه بمزيد من تلك الألفاظ المثلثة · وآخر هؤلاء العلماء اثنان ، هما : حسن قويدر الخليلي (ــ ١٢٦٢ هـ) مؤلف « نيل الأرب في مثلثات العرب » المطبوع بمصر

---

(١) حقق طبعة تونس د· رضا السويسي · وهو يذكر أنه عثر على نسخة مخطوطة من « مثلثات قطرب » انفردت عن سائر النسخ الاخرى في أن مثلثات قطرب نفسها جاءت في تلك النسخة منثورة ، ثم نظمها أرجوزة رجل يدعى أبا بكر الوراق البهنسي ، وجعلها على حروف المعجم ·

١٣١٥ هـ = ١٩٠٢ م ، وعبد الهادي نجا الأبياري (ـ ١٣٠٥ هـ) صاحب كتاب « نفحة الاكمام في مثلثات الكلام » الذي طبع بمصر سنة ١٢٧٦ هـ ·

د ـ كتب « فَعَلَ وأفعلَ » أو « فَعلتُ وأفعلت » :

تعنى هذه الكتب والرسائل بتصنيف الأفعال الثلاثية المجردة التي وزنها « فَعَل » والتي قد تزاد الهمزة في أولها فيصبح وزنها « أفعل » وعندئذ اما أن يختلف معناها ، واما ان يبقى كما هو · فمما يختلف فيه المعنى ، قولهم : شرقت الشمس : اذا طلعت · وأشرقت : اذا أضاءت وصفت ·

وعييت بالامر : اذا لم تعرف وجهه ، ولم تهتد لجهة الخلاص منه · ومشيت حتى أعييت : أي تعبت ·

ومما يبقى معناه على ما هو عليه قولهم :

بشرت فلاناً وابشرته : اذا أخبرته بما يسره ، فحسنت بشرة وجهه ·

وبلّ من مرضه ، وأبلَّ : اذا برأ وشفي ·

وقد تناول علماء اللغة هذا الموضوع بالتاليف ، في كتب خاصة به ، ومنهم : قطرب (ـ ٢٠٦ هـ) ، والفراء (ـ ٢٠٧) وأبو زيد الأنصاري (ـ ٢١٥) وابن دريد (ـ ٣٢١) وأبو علي القالي (ـ ٣٥٦) ، والجواليقي (ـ ٥٤٠) وعنوان كتابه « ما جاء على فعلت وأفعلت بمعنى واحد » وهو مؤلف على حروف المعجم(١) ·

وبعضهم جعلوا الكلام على (فعلت) و (أفعلت) في فصول خاصة ضمن أبحاث كتبهم ، كسيبويه (ـ ١٦١ هـ) ، وابن السكيت (ـ ٢٤٤) في « اصلاح المنطق » وثعلب (ـ ٢٩١) في كتابه « الفصيح » وابن سيده الأندلسي (ـ ٤٥٨) في « المخصص » ···



---

(١) طبع كتاب الجواليقي هذا ، في دمشق ١٤٠٢ هـ ـ ١٩٨٢ م بتحقيق ماجد الذهبي· وكتب الناسخ على صفحة الغلاف هذه العبارة : « جميع ما ذكره تقريبا خمس مائة وعشرة » · وهذه المواد موزعة على حروف المعجم بحسب الحرف الاول ، وتبدأ بباب الباء ، فالتاء ، فالثاء ·· الخ · ولكن الجواليقي لا يراعي الحرف الثاني في مواد الباب الواحد ·

تلك أشهر الجوانب التي ألفت فيها كتب ورسائل لغوية ، والتي شملت النوادر في اللغة ، والغريبين ، والأضداد ، ولحن العامة والخاصة ، الى جانب ميادين أخرى في الحيوان ، والنبات ، ومثلثات الكلام ، و « فعلت وأفعلت » .

ولم يقتصر التاليف اللغوي على أولئك فحسب ، بل انه ليصعب حصر هذه الأنماط من كتب اللغة ومصادرها ، والاحاطة بها ، فهناك ــ على سبيل المثال ــ كتب ورسائل في خلق الانسان ، وفي المطر ، والدارات ، وفي القلب والابدال ، والمذكر والمؤنث ، والمقصور والممدود ، والمثنى ، والألغاز اللغوية وغير ذلك مما لا ينتظمه موضوع معين .

وهذا كله يدل على مبلغ الجهود التي بذلها اللغويون في جمع مفردات اللغة العربية وتصنيفها وترتيبها ، تلك الجهود التي لم تقف عند زمن بعينه وانما بقيت مستمرة الى زمننا هذا .

ولم يحبس اللغويون جهودهم تلك على الكتب اللغوية وحدها ، وانما انصرفوا أيضاً الى تاليف المعاجم المختلفة التي تحفظ ألفاظ العربية وتيسر للناس معرفة معانيها واستعمالاتها ، في طرائق متعددة ، وأساليب مبتكرة . وهذا ما نتناوله في الصفحات القادمات .

* ★ * ★ *

الفصل الثاني
المعاجم اللغوية

تفيد مادة « عجم » في اللغة معنى الابهام وعدم الابانة ، والاسم : العُجمة · والرجل الأعجم : هو الذي لا يفصح ولا يبين كلامه · ففي لسانه عُجمة · والمؤنث : عجماء · ويقال أيضا : رجل أعجمي ، بمعنى الأعجم · قال ابن فارس : « وقولهم : العجم ، الذين ليسوا من العرب ، فهذا من هذا القياس ، كأنهم لما لم يفهموا عنهم سموهم عجما · ويقال لهم عُجم أيضا ·

قال [ذو الرمة] :

ديارُ مية ، اذ مي تساعفنا ولا يرى مثلها عُجم ولا عربُ »

والفعل من ذلك : « عَجُم الرجل » اذا صار أعجم ، أو كان في لسانه لكنة · فاذا أدخلنا الهمزة على الفعل الثلاثي وقلنا : « أعجم الكلمة » اكتسب معنى جديدا وهو الازالة والسلب ، كما تقول في « شكا » : أشكيت فلانا ، أي أزلت له شكايته · وفي « قذى » ، : أقذيت عينه ، اذا أزلت ما فيها من قذى · وكذلك فعل « قسط » معناه : ظلم · فاذا قلنا : « أقسط » صار معناه : عدل ، أي أزال الظلم · وعلى هذا يكون معنى « أعجم » أزال العُجمة والابهام · ومن هنا استعمل لفظ « الاعجام » بمعنى نقط الحروف وشكلها ، لأن ذلك يزيل عنها ما يكتنفها من احتمالات ممكنة ، مثل : ب ، ت ، ث ، ج ، ذ ، ز ، غ ····

ومن هنا أيضا جاء اسم « المُعجم » بمعنى الكتاب الذي يجمع كلمات لغة ما ، ويشرحها ويوضح معناها ، ويرتبها ترتيبا معينا · وكلمة « معجم » هنا اسم مفعول بمعنى : مُزال ما فيه من ابهام وعدم وضوح ·

وأطلقوا على الحروف الهجائية اسم « حروف المعجم » اما لأنها مقطعة غير مؤلفة تأليف الكلام المفهوم ، فهي أعجمية ، لأنها لا تدل في تفرقها على شيء ، واما على تقدير « حروف الخط المعجم » وهو الخط العربي ، لأنه ليس هناك خط آخر من الخطوط يعجم ذلك الاعجام ليدل على المعاني الكثيرة · وقال صاحب « متن اللغة » : « حروف المعجم : حروف الهجاء ، التي يختص أكثرها بالنقط من بين حروف سائر المعجم » ·

ويجمع « المعجم » على « معجمات » جمع مؤنث سالما ، لا خلاف في ذلك بين اللغويين · وأجاز بعضهم أن يجمع جمع تكسير على « **معاجم** » قياساً على مُسند ومساند ، ومصعب ومصاعب · وقد اتخذ مجمع اللغة العربية في القاهرة قرارا بصحة الجمعين معاً ، وأثبت ذلك في « المعجم الوسيط » الذي جاء فيه : « المعجم : ديوان لمفردات اللغة مرتب على حروف المعجم · جمع معجمات ومعاجم » ·

ولم يكن اللغويون أول من استخدم كلمة « معجم » بمعناها الاصطلاحي ، وانما سبقهم ذلك رجال الحديث النبوي ، الذين أطلقوا اسم « المعجم » على الكتاب المرتب هجائياً ، الذي يجمع أسماء الصحابة ورواة الحديث · وفي مقدمتهم أبو يعلي الموصلي (ـ ٣٠٧ هـ) وأبو القاسم البغوي (ـ ٣١٧ هـ) ، فلكل منهما كتاب باسم « معجم الصحابة » رتبت فيه الأسماء على حروف المعجم · وكان البخاري المحدث (ـ ٢٥٦ هـ) قد سبقهما الى هذا الترتيب الهجائي للأسماء ولكنه لم يستخدم كلمة « معجم » في تسمية كتابه ، بل سماه « التاريخ الكبير » وقال في مقدمة هذا الكتاب : « هذه الأسامي وضعت على : أ ، ب ، ت ، ث ·· وانما بدىء بمحمد من بين حروف أ ، ب ، ت ، ث ، لحال النبي صلى الله عليه وسلم فاذا فُرغ من المحمدين ابتدىء في الألف ثم الباء ·· » ·

ثم شاع اطلاق لفظ « المعجم » على الكتب المؤلفة في التراجم المختلفة للرجال ، وفي التعريف بالبلاد والأمصار وما الى ذلك ، مثل : معجم الشعراء للمرزباني (ـ ٣٨٤ هـ) ، و « معجم ما استعجم » لأبي عبيد البكري (ـ ٤٨٧ هـ) وهو معجم جغرافي للبلاد والأمصار والآثار والمياه التي جاء ذكرها في الأخبار والتواريخ وأشعار العرب ، وكتابي « معجم الأدباء » و « معجم البلدان » لياقوت الحموي (ـ ٦٢٦ هـ) ··

أما في مجال اللغة خاصة فلا يعرف ، على وجه التحديد ، متى أطلق هذا اللفظ « المعجم » ومتى شاع ، وقد طبع لأبي هلال العسكري (ـ ٣٩٥ هـ) كتاب لغوي بعنوان « المعجم في بقية الأشياء » لكن لم يثبت أن العسكري نفسه قد سماه بذلك ، وقد ورد بأسماء أخرى في المصادر القديمة · أما مؤلفو المعاجم من القدماء فانهم لم يستخدموا تسمية « المعجم » في عناوين مؤلفاتهم ، بل كان كل منهم يختار لمعجمه اسماً معيناً : كالعين للخليل ، والبارع للقالي ، وجمهرة اللغة لابن دريد ، وأساس البلاغة للزمخشري ·· ومن ذلك أيضاً « **القاموس المحيط** » **للفيروزابادي** ·

ومعنى القاموس في اللغة : البحر أو معظمه أو وسطه · وبذلك وصف الفيروزابادي معجمه ، أي انه كالبحر الواسع العميق ، كما نسمي بعض كتبنا : الشامل ، أو الوافي ، أو المفصل ·· ولشهرة ذلك الكتاب على مر السنين ،

وكونه مرجعاً لكل باحث ، انتقل اسم « القاموس » ليصبح مرادفا لكلمة « المعجم » عامة حتى عصرنا هذا ، سواء أكان المعجم باللغة العربية أم بلغة اجنبية ، أم مزدوج اللغة . وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة هذا الاستخدام، وذكره ضمن معاني كلمة « قاموس » في معجمه المسمى بالمعجم الوسيط ، وجعل اطلاق لفظ « القاموس » على اي معجم ، من قبيل المجاز او التوسع في الاستخدام. وقد جاء في ذلك المعجم في مادة « قمس » ما يلي :

« القاموس : البحر العظيم . وعلم على معجم الفيروزابادي . وكل معجم لغوي ، على التوسع » .

وفي عصرنا الحديث اتسع مفهوم « المعجم » ليشمل موضوعات مختلفة رتبت موادها ومفرداتها ترتيباً معجمياً على حروف الهجاء ، مثل : معجم الاخطاء الشائعة ، والمعجم الأدبي ، ومعجم الأساطير اليونانية ، ومعجم الحيوان، ومعجم علم الاجتماع ، ومعجم علم الاخلاق ، والمعجم الفلسفي ، ومعجم قبائل العرب .. الخ .



هذا ، ولا تعرف أمة من الأمم ، في تاريخها القديم والحديث ، قد افتنت في أشكال معاجمها ، وفي طرق تبويبها وترتيبها كما فعل العرب . وقد تعددت طرق وضع المعجم العربي حتى كادت تستنفد كل الاحتمالات الممكنة(١) لأنها لم تسر جميعاً على نظام واحد في ترتيب ألفاظ اللغة وموادها ، وان المتتبع لها يرى أنها ذات نظم متعددة ، تتفق حينا ، وتتفاوت أو تختلف حيناً آخر . ولكن هذه المعاجم جميعاً تقوم على ملاحظة جانبي الكلمة ، وهما اللفظ والمعنى ، والمقصود بذلك أنهم رتبوا معاجمهم ، بصورة عامة ، اما على اللفظ واما على المعنى . وعلى هذا التصنيف كان لدى اللغويين العرب نوعان رئيسيان من المعاجم ، وهما : **معاجم المعاني ، ومعاجم الألفاظ** . وهذه المعاجم ، بنوعيها ، لا غنى عنها ، أو عن بعضها ، لكل متقف أو باحث ، اذ يحتاج اليها المبتدىء الناشىء ، والأديب الشادي ، والعالم المتخصص ، على السواء ، كل بحسب حاجته وثقافته . فلا ينبغي أن يخلو من بعضها مكتبة خاصة ، أو بيت فيه أفراد يدرسون ويبحثون ، فضلاً عن المكتبات العامة وما اليها .

---

(١) البحث اللغوي عند العرب ، لأحمد مختار عمر ١٢٠ .

معاجم المعاني

هذا النوع من المعاجم يفيد المترجمين ، والكتاب ، والشعراء ، والمنشئين . لأنه يمدهم بالألفاظ المناسبة لمعنى من المعاني يجول في خواطرهم ، ولكنهم يقفون حائرين لا يدرون كيف يعبرون عنه بدقة ، ولا يجدون لديهم ما يقابله من الألفاظ .

فمعاجم المعاني ترمي اذن الى بيان المفردات الموضوعة لمختلف المعاني ، وترتب هذه المعاني ترتيبا خاصا ، وتحت كل معنى منها تندرج الألفاظ التي تستعمل للتعبير عن هذا المعنى .

فمن المعاني العامة ، مثلا :

— **(أسنان الناس والدواب)** : ويشمل هذا المعنى الكلي معاني جزئية مثل : ترتيب سن الغلام ، والشيخوخة والكبر ، وترتيب سن المرأة ، وترتيب سن الظبي وغيره من الحيوان ...

— **(الأمراض والأدواء)** : وينطوي على : ترتيب أحوال العليل ، وأسماء الأدواء وأوصافها ، والأدواء التي تعتري الانسان من كثرة الأكل ، والأورام والخراجات والبثور والقروح ، والحميات ، وتفصيل أحوال الموت ... الخ :

— **(الأطعمة والأشربة وما يناسبها)** : ويتفرع عنه : تقسيم أطعمة الدعوات وغيرها ، وأحوال اللحم المشوي ، والطعوم كالحلاوة والمرارة والحموضة والملوحة ، وتفصيل أسماء الخمر وصفاتها ، وترتيب السكر ... الـخ .

فمعجم المعاني لا يقوم — كما ترى — على الألفاظ وأبوابها الهجائية ، وانما يسعى الى تصنيف مفردات اللغة في مجموعات أو زُمَر أو أبواب عامة كلية ، على حسب معانيها المتشابهة ومدلولاتها المتقاربة .

ولا يعرف منزلة هذه المعاجم حق المعرفة الا الذين يثابرون على البحث والكتابة ، أو نظم الشعر والخطابة ، لأنهم يجدون أنفسهم في أمسّ الحاجة الى تلك المعاجم لتأخذ بأيديهم الى ألفاظ شاردة آبدة ، استوعبوا معانيها ولكن الألفاظ نفسها لا تنقاد اليهم .

ومثلهم أولئك الذين يترجمون النصوص الأجنبية الى اللغة العربيه ، فكم وقفت في وجوههم ألفاظ أجنبية ، ألفوا معانيها ، أو أدركوها ، ولكنهم يفتقرون الى ما يقابلها في اللغة العربيةَ ، فاذا بمعاجم المعاني تحقق لهم أمنياتهم ، وتلبي حاجاتهم ، وتضع أيديهم على ما ينشدون ، وتاتيهم بثروة لغوية يتناولون منها ما يشتهون ٠

وتاليف معاجم المعاني عند العرب قديم العهد ، يعود الى القرن الثاني للهجرة ، وقد تمثلت بداياته في رسائل صغيرة يتناول كل منها موضوعا واحداً او أكثر ، مثل : الحيوان ، والنبات ، والمطر ، وخلق الانسان ، ٠٠ ونذكر منها : كتاب السلاح ، للنضر بن شميل (ــ ٢٠٤ هـ) ، والزرع : لأبي عبيدة (ــ ٢٠٩) والشجر : لأبي زيد الأنصاري (ــ ٢١٥) ٠ والابل ، والنحل ، والخيل : وثلاثتها للأصمعي (ــ ٢١٦) والسرج واللجام : لابن دريد (ــ ٣٢١) ٠ ثم اتسعت معاجم المعاني القديمة وكثر التأليف فيها ، وان لم يتوقف اللغويون عن تأليف الرسائل الصغيرة في ذلك ٠ **وأشهر تلك المعاجم :**

١ ــ **الألفاظ : لابن السكيت** (ــ ٢٤٤ هـ) ٠ ويضم حوالي ١٥٠ بابا في المعاني العامة ، وذكرت في كل باب منها الألفاظ التي تستعمل في التعبير عن أحوال هذا المعنى ودرجاته ٠ وقد تواردت الأبواب تباعا بلا ترتيب معين ولا تنسيق منظم ٠ والمؤلف يكثر في كتابه من الاستشهاد بأمثلة من القرآن والحديث والشعر ، كما يورد أسماء الرواة واللغويين الذين ينقل عنهم ٠

٢ ــ **الألفاظ الكتابية : لعبد الرحمن الهمذاني** (ــ ٣٢٠ هـ) ٠ وهو كتاب صغير الحجم ، قاربت أبوابه ٣٠٠ باب ، بحسب المعاني والموضوعات العامة ٠ وقد عني المؤلف بالتراكيب والعبارات المترادفة ، وقلما يوجه عنايته الى جمع الألفاظ المفردة ٠

٣ ــ **جواهر الألفاظ : لقدامة بن جعفر** (ــ بعد ٣٢٠ هـ) ٠ وهو يشبه كتاب « الألفاظ الكتابية » في موضوعه وطريقته ٠ ولكنه يعنى بايراد العبارات المترادفة مسجوعة منمقة متوازنة ٠

٤ ــ **متخير الألفاظ : لابن فارس اللغوي** (ــ ٣٩٥ هـ) ٠ وقد جعله في ١١٤ باباً ، تخير في كل منها ما حسن من الألفاظ ، وما ساغ من التراكيب ، وما ابتكره الشعراء في تشبيهاتهم ومجازاتهم ٠

٥ ــ **التلخيص في معرفة الأشياء : لأبي هلال العسكري** (ــ ٣٩٥ هـ) ٠ ويضم ٤٠ باباً ، وكل باب يتناول في محتواه معنى عاما واسعا ، وينقسم الباب في الوقت نفسه الى فصول صغيرة في فروع ذلك المعنى العام ٠ والمؤلف يشرح ما يورده من الالفاظ ضمن كل باب ، ويبين ما بينها من فروق ، أو ترادف ، أو تفاوت ٠

٦ ـ **مبادئ اللغة : للخطيب الاسكافي** (ـ ٤٢١ هـ) وهو مقسم الى أبواب مختلفة ، منها : ذكر السماء والكواكب ، الرياح ، المياه وأوصافها وذكر أماكنها ، البُسط والفُرش ونحوهما ، الأواني ، النار وأدواتها ، الألبان ، الخبز وآلاته ٠٠ الخ ٠

٧ ـ **سحر البلاغة وسر البراعة : للثعالبي** (ـ ٤٢٩ هـ) ٠ طبع بدمشق سنة ١٣٥٠ هـ ، وهو يشبه « جواهر الألفاظ » في عنايته بالتنميق والسجع والترادف بين الجمل ٠

وقد اخترنا اثنين من معاجم المعاني القديمة ، لنتحدث عنهما مفصلاً ، وهما : « فقه اللغة » للثعالبي ، و « المخصص » لابن سيده ٠

فقه اللغة : للثعالبي

الثعالبي : أبو منصور ،عبد الملك بن محمد ، من أئمة اللغة والأدب ، من أهل نيسابور ٠ كان فرّاء يخيط جلود الثعالب ، فنسب الى صناعته ٠ واشتغل بالأدب والتاريخ واللغة حتى علا نجمه ، فكان من أعلام التاليف في هذه الميادين ولقب بجاحظ نيسابور ٠ توفي سنة ٤٢٩ هـ وهو في التاسعة والسبعين من عمره ٠ ومن كتبه : فقه اللغة ، ويتيمة الدهر ، وسحر البلاغة ، وثمار القلوب ٠

وكتابه : « فقه اللغة وسر العربية » يعد حلقة مهمة من معاجم المعاني التي تعنى بأسرار اللغة العربية ولطائفها وخصائصها ٠ وقد جعله الثعالبي قسمين ، كما يوحي عنوانه كاملا :

١ ـ **القسم الأول : في (فقه اللغة)** ٠ ويعادل ثلاثة أرباع الكتاب ، وهو موزع على ثلاثين باباً من الأبواب العامة الشاملة ، وكل باب ينقسم الى جملة من الفصول ، تقل أو تكثر ، ويضم كل فصل منها فرعاً جزئياً من المعنى العام الذي عُقد عليه الباب الأصلي ، كما رأيت في المقدمة التي مهدنا بها للحديث عن معاجم المعاني عامة ، وذكرنا فيها الأبواب التالية : (أسنان الناس والدواب ، الأمراض والأدواء ، الأطعمة والأشربة وما يناسبها) ٠ وقد بلغ عدد الفصول في هذا القسم من الكتاب نحو ٦٠٠ فصل ٠

ومن أمثلة أبوابه أيضا :

ـ **(باب في ذكر أحوال وأفعال للانسان وغيره من الحيوان) :** وهو يتضمن عدة فصول ، منها : ترتيب النوم ، ترتيب الجوع ، ترتيب العطش ، ترتيب السرور ، ترتيب أحوال الغضب ٠٠٠ الخ ٠

ـ **(باب في الأصوات وحكاياتها) :** وفيه من الفصول : تفصيل أصوات النائم ، أصوات الطيور ، أصوات الحشرات ، حكاية أصوات المكروبين والمكدودين والمرضى ٠٠٠ الخ ٠

والثعالبي يعنى في كل فصل ببيان الفروق الدقيقة بين معاني الألفاظ التي يوردها ، ويهتم بتحديد دلالاتها وأوجه استعمالها ، **ومن أمثلة ذلك قوله في « فصل ترتيب الجوع » من باب آحوال الانسان وأفعاله :**

« أول مراتب الحاجة الى الطعام : الجوع ، ثم السغَب ، ثم الغرَث ، ثم الطوى ، ثم المخمَصة ، ثم الضرَم ، ثم السُّعار » ٠

وفي الباب الذي عقده لأسنان الناس والدواب ، يقول في « فصل ترتيب سن الغلام » :

« يقال للصبي اذا وُلد : رضيع وطفل ، ثم فطيم ، ثم دارج ، ثم حفر ، ثم يافع ، ثم شرخ ، ثم مطبِّخ ، ثم كوكب » ٠

٢ ـ **القسم الثاني : في (سر العربية)** ٠ وقد تناول فيه الثعالبي بعض الأساليب والتراكيب في اللغة العربية ، وطريقة العرب في التعبير ، مستشهداً على ذلك بالآيات القرآنية والأشعار الفصيحة ومأثور كلام العرب ٠ وهذا القسم موزع على فصول تبلغ المئة تقريباً ، مثل : تقديم المؤخر وتأخير المقدم ، واجراء ما لا يعقل ولا يفهم من الحيوان مجرى بني آدم ، واقامة الواحد مقام الجمع ، وما يذكر ويؤنث ، والاستعارة ، والالتفات ، والنحت ٠٠٠٠ الخ ٠

ومن امثلة هذا القسم قول الثعالبي في فصل (الاتباع) :

« هو من سنن العرب ، وذلك أن تتبع الكلمةُ الكلمةَ على وزنها ورويها اشباعاً وتوكيداً ، كقولهم : جائع نائع ، وساغب لاغب ، وعطشان نطشان ٠٠»

وقوله في فصل (الجمع الذي لا واحد له من لفظه) : « النساء ، والنعم ، والغنم ، والخيل ، والابل ، والعالم ، والرهط ، والنفر ، والمعشر ، والجُند ، والجيش ، والمساوىء ، والمحاسن ، والمسام ٠٠٠ »

هذا ، وقد حظي كتاب « **فقه اللغة** » بشهرة واسعه على مدى السنين ، لما يمتاز به من تنسيق دقيق ، وتبويب حسن ، ومنهج قويم ، وعنايه خاصة بتحديد دلالة كل لفظة ومعناها الخاص بها ، وتوضيح ما بين المعاني من فروق دقيقة ، يضاف الى ذلك اهتمام الثعالبي بتقصي أساليب العرب وانماط تعبيرهم . وجعل هذه الأساليب والأنماط في مجموعات متجانسة ، وزمر متوائمة(١) .

المخصص : لابن سيده

ابن سيده الأندلسي : ابو الحسن ، علي بن اسماعيل . ولد في « مُرسية » شرقي الأندلس ، ثم انتقل الى « دانية » على البحر ، وفيها توفي سنة ٤٥٨ هـ . وهو من علماء اللغة والنحو والشعر ، المشهورين بسعة الحفظ وجودته . وكان ضريراً كأبيه ، ولكنه بصير العقل ، حاد الذكاء . وهو معاصر لأبي العلاء المعري . قيل : « كان بالمشرق لغوي ، وبالمغرب لغوي ، في عصر واحد ، لم يكن لهما ثالث ، وهما ضريران . فالمشرقي أبو العلاء ، والمغربي ابن سيده بالأندلس » .

اشتهر ابن سيده بمعجميه : المخصص ، والمحكم . وقد أملاهما من حفظه .

وكتابه « المخصص » : هو أوسع معاجم المعاني مطلقا وأغزرها مادة ، وأجدر الكتب في موضوعه بأن يحمل اسم معجم كامل للمعاني ، لما اتسم به من تقص لألفاظ العربية ، واستيعاب لمعظمها ، وقد شرع ابن سيده في تأليفه — وهو في « دانية » — وكان يومئذ في الثامنة والثلاثين من عمره ، بتشجيع من أميرها الموفق (— ٤٣٦ هـ) .

واعتمد في تاليفه على ما وعاه صدره من عيون المصادر اللغوية التي ذكرها في مقدمة كتابه وقاربت العشرين كتاباً ، من عيون الكتب ، مما ألفه الفراء ، وابن السكيت ، والمبرد ، والقالي وغيرهم .. ومهد له ببحث يتناول نشأة اللغة العربية ، واختلاف علماء اللغة في هذه النشأة فقال : « وقد اختلفوا في اللغة : أمتواطأ عليها أم ملهم اليها . وهذا موضع يحتاج الى فضل تأمل . غير أن أكثر أهل النظر على أن أصل اللغة انما هو تواضع واصطلاح ، لا وحي ولا توقيف »(٢) .

---

(١) طبع كتاب فقه اللغة مرارا . وأجود طبعاته تلك التي صدرت في مصر وحققها : مصطفى السقا ، وابراهيم الأبياري ، وعبد الحفيظ شلبي .
أما طبعة بيروت — التي نشرها لويس شيخو وصورت أخيرا — فهي مختصرة ، كما حذف منها القسم الثاني : « سر العربية » واستبدلت به مختارات من كتب لغوية أخرى .

(٢) المخصص ١/٣ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ثم قسم ابن سيده كتابه الى مجموعة أبواب كبيرة ، سمى كلا منهـــا « كتاباً » ، وكل كتاب يحمل موضوعاً واسعا ذا طابع عام ، على النحو التالي : (خلق الانسان ، الغرائز ، النساء ، اللباس ، الطعام ، السلاح ، الخيل ، الابل ، الغنم ، الوحوش ، السباع ، الحشرات ، الطير ، الأنواء ، السماء والفلك ، البحر والرياح والهواء ، النخيل والنبات والمعادن) . وكل كتاب من هذه الكتب يتفرع الى عدد من العناوين الجزئية التي يطلق عليها أحياناً اسم « أبواب » ·

ويمتاز هذا التبويب على ما حوته معاجم المعاني السابقة بأن أجزاءه وعناوين كتبه ، وما يتفرع عنها من عناوين وأبواب جزئية ، تتوالى على نسق يراعي الترابط والتدرج في الموضوعات : من الانسان وما يتعلق به أو يحتاج اليه ، الى الحيوان وأنواعه ، ثم الى السماء والأفلاك والأنواء ، فالأهويـــة والرياح ، فالنباتات والمعادن وما اليها من جمادات · وقد نلمح في هذا الكتاب بعض الخلل في تتابع أبوابه وفصوله ، من آن الى آخر ، ولكنه يظل ــ من حيث هيكله العام وخطوطه العريضة ــ متسماً بحسن التبويب ، واحكام المنهج بالقياس الى غيره ، ويشعر قارئه بنظام عام فُرض على الكتاب ، وجعله وحدة متكاملة في قواعده الاساسية ، ضمن سمط ينظم حباته ، وهدف يوجه كتبه وأبوابه ·

ولهذا الكتاب خصائص أخرى ــ الى جانب ما سبق ــ نلخصها فيما يلي :

١ ــ التقصي والتتبع والتحري ، والحرص على نسبة كل قول الى صاحبه ، مراعاة للأمانة العلمية · ومن هنا كان دأب ابن سيده على ذكر مصادره ممثلة بأسماء مؤلفيها ، في كل فقرة ·

٢ ــ غناه بالألفاظ الصالحة للتعبير عن شؤون الحضارة ، ومعاني التمدن ، وما تتطلبه الحياة العلمية من مصطلحات ومفردات في مختلف الفنون والعلوم ·

٣ ــ محاولة تحديد معنى كل لفظة وتخصيصها بمعناها · وربما كانت هذه الرغبة هي التي دفعت المؤلف الى تسمية كتابه ب « المخصص » · ومن ثم جاز كسر الصاد المشددة ، على أنه اسم فاعل ، وان كان المشهور فتحها ·

٤ ــ كثرة الشواهد الشعرية التي تساعد على تثبيت معاني الكلمات في ذهن القارىء ، وتدله على كيفية استخدامها في التراكيب والعبارات من جهة أخرى ·

٥ ـ هذا وقد ألحق المؤلف بكتابه بحوثاً لغوية وصرفية مختلفة تتعلق بالتضاد ، والترادف ، والاشتراك ، والاشتقاق ، والتعريب ، والمجــاز ، والممدود والمقصور ، والتذكير والتأنيث ٠ وابدال الحروف بعضها من بعض ٠٠٠٠ الخ ٠

طبع كتاب « المخصص » في مصر بين سنتي ١٣١٦ ـ ١٣٢١ هـ في ١٧ جزءاً ، بعناية العلامة اللغوي محمد محمود التركزي الشنقيطي ٠ ثم نشره المكتب التجــاري في بيروت سنة ١٣٨٦ هـ في طبعــة مأخوذة عن الطبعة الأولى بالتصوير ، وجُعلت أجزاؤه السبعة عشر في خمسة مجلدات ضخمة ٠ وكلتا الطبعتين خالية من الفهارس الحديثة ، الا فهرس الموضوعات لكل جزء ٠

ثم نشرته مصوراً أيضاً دار الآفاق الجديدة في بيروت ، والحق بهذه الطبعة فهرس لأشعار « المخصص » وأرجازه فقط ، صنعه المحقق المعروف عبد السلام هارون ، ويقع هذا الفهرس في ٢٧٦ صفحة ٠

ولا يزال كتاب « المخصص » في حاجة الى طبعة حديثة يتوافر فيها مزيد من التحقيق والتنسيق والتعليق ٠

* *

ونقتطف هنا بعض الامثلة الموضحة من كتاب « المخصص » لنتعرف طريقة المؤلف ومنهجه في عرض مواد كتابه :

١ ـ قال في الكلام على « الجوع » :

« الجوع : ضد الشبع ٠ قال سيبويه : جاع جوعاً ، وهو جائع ، والجمع جِياع ٠ ابن السكيت : وجُوْعٌ ٠ غير واحد : رجل جائع وجوعان ، من قوم جياع وجوعى ٠ وقد أجعته ، وجوعته ٠ حكاه صاحب العين ٠ وأنشد :

مُجوَّع البطن كلابي الخُلق

ابن السكيت : قد أصابتهم مجاعة ، ومَجوَعة ، ومَجْوعة : وهو عامُ الجوع ٠ صاحب العين : جعت الى لقائك : غرثت ، وهو على المثل ، كما قالوا : عطشت ٠٠٠ » ٠

٢ ـ وفي الكلام على « الشبع » :

« صاحب العين : الشبع : ضد الجوع ٠ شبع شبعاً ، والاسم : الشبع ٠ قال سيبويه : شَبِع شبعاً فاحشا ، وهذا شبعه ٠ أبو علي : شبعه ، وشبعه ٠ ابن السكيت : شبع شبعا وتشبع ٠ وقال : انتهينا الى بلد قد شبعت ماشيته ،

وشبّعت ، وهي دون : شبعت · قال أبو علي : وقد قيل : الشبع في المصدر قال سيبويه : شبهوه بالسمن ، والكبر ، وكل متناه ـ من لفظ أو صبغ ـ مشبع ، فهو مثل بذلك ·

صاحب العين : رجل شبعان ، وقد يجيء في الشعر : شابع ، والأنثى : شبعى وشبعانة ، وجمعها شباع · وقد أشبعه الطعام ·· » ·

٣ ـ وقال في « أسماء ما يؤكل عليه » :

« صاحب العين : المائدة : التي يؤكل عليها · أبو حاتم : المائدة : الطعام وان لم يكن هناك خوان · قال أبو علي : لا تسمى المائدة مائدة حتى يكون عليها طعام ، والا فهي خِوان · ابن السكيت : خِوان ، وخُوان · قال سيبويه : وجمعها أخونة ، أتموا ليفرقوا بينه وبين أفعَل ، كأبيع ونحوها · وفي الكثير : خُون ، وأصله : خُوُن ، الا أنهم لم يحركوا الواو كراهة الضمة فيها ، والضمة قبلها ، ورجعوا فيها الى اللغة التميمية ، ووافق الذين يقولون : فُعال ، الذين يقولون : فِعال ، لاتفاقهما في العدة وحرف اللين ·

أبو حاتم : المائدة : الطعام نفسه ، والعوام يظنونه الأخونة · ابن دريد : الديسق ، والفاثور ، والقِنْدمور ، كله : الخِوان من الفضة ·· » ·

★ ★

ولم يتوقف التاليف في ميدان معاجم المعاني الى يومنا هذا ، ومن أهم الكتب التي ظهرت على توالي العصور ، بعد « المخصص » : نظـام الغريب ، لعيسى بن ابراهيم الربعي (ـ ٤٨٠ هـ) ، **والسامي في الأسامي :** للميداني (ـ ٥١٨) ، **وكفاية المتحفظ :** لابن الأجدابي (ـ نحو ٦٥٠) ·

وفي العصر الحديث ألف عدد من معاجم المعاني ، التي تختلف فيما بينها حجماً ، وطريقة ، ومضمونا ، وأسلوبا ، مثل : **معجم القطيفة** في أسماء أعضاء الانسان وما يتعلق بها : لناصيف اليازجي (ـ ١٨٧١ م) ، **ولطائف اللغة :** لأحمد اللبابيدي (ـ ١٩٠٠ م) ، **ونجعـة الرائـد :** لابراهيم اليازجـي (ـ ١٩٠٦ م) ، **ونجدة اليراع :** لسعيد الشرتوني (ـ ١٩١٢ م) ، **والرافد :** لأمين آل ناصر الدين ، وهو معجم للانسان والبيئة ·

وأجود معاجم المعاني الحديثة مادة وترتيباً وغزارة ، كتاب « **الافصاح في فقه اللغة » الذي نعرف به فيما يلي ، والذي اختصر فيه كتاب « المخصص » لابن سيده ، وأضيفت اليه أيضا زيادات جيدة :**

الإفصاح في فقه اللغة

الفه الأديبان المصريان المعاصران : **عبد الفتاح الصعيدي ، وحسين يوسف موسى** ·

وقد لاحظ المؤلفان أن زملاءهما من مدرسي الترجمة يفزعون اليهما في اسعافهم بالألفاظ العربية الصحيحة لما يريدون ترجمته ، فكانوا يصورون لهما المعاني ويطالبونهما بالألفاظ · **وهذا ما دفعهما الى الرجوع الى كتب اللغة ، فوجدوا كتاب « المخصص » لابن سيده أرفعها شأناً ، وأحكمها نظاماً وتبويبا ،** ولكنه مطول جدا ، فعمدا الى تلخيصه وانتخاله واصطفاء لُبابه ، وأضافا اليه زيادات من القاموس المحيط ، وفقه اللغة للثعالبي ، ومختار الصحاح ، ولسان العرب ، وأساس البلاغة وغيرها ·· وصنفا الكلمات في موضوعات عامة تحت أبواب تناسبها · فجاء (**الافصاح**) مبوباً بحسب ما في الكون كله من آثار في الأرض ، وآيات في السماء ، وبكل ما تحمل الدنيا ويدب فيها من انسان وحيوان وطير ونبات ، وما يحفل به بطنها من معادن ، أو يظهر فوقها من صخور ، وكل ما يعمله الناس من صناعة أو نجارة أو زراعة أو فنون ، ويمارسونه من علوم ، ويستعينون به من أدوات حتى أصواتهم ، ومآكلهم ، وملبسهم وألوان لهوهم ·

كل هذا قدم للقارىء مرتباً منسقاً ، ومبوبا تبويبا حسنا · وقد أشاد عباس محمود العقاد بهذا الكتاب في تقديمه له فقال عنه :

« سيرحب به المحافظون لأنه تراث قديم يُضَنّ عليه بأن يُهجر في زوايا المكاتب ، وأن ينتقل من صفة الكلام الحي الى صفة الآثار المدفونة ، وسيرحب به المجددون لأنه يختصر لهم طريق التنقيب عن المفردات التي تكثر في اللغات الافرنجية وتقل نظائرها في الفصيح المطروق من اللغة العربية ، وسيرحب به كل مشتغل بترجمة في علم أو أدب أو صناعة ··· » ·

وبذلك جاء كتاب (**الافصاح**) خلاصة وافية للمعاجم العربية ، لأنه جمع محاسنها ، وامتاز بوفرة المواد اللغوية ، والتوسع في ذكر صيغ أفعال تلك المواد ومشتقاتها ، سعيا وراء ايجاد ثروة لفظية ، بحيث يكون لكل معنى لفظ عربي يؤديه حق الأداء ·

وقد زُين الكتاب بعدد قليل من صور بعض الحيوان والنبات والحشرات والأدوات وما اليها ، ليزول الابهام ، ويزداد المعرَّف وضوحاً ·

كما ألحق بالطبعة الثانية من الكتاب معجم للألفاظ يجمع مواده اللغوية مرتبة على حسب الحروف الهجائية ، وأمام كل مادة أرقام صفحاتها ، ولوحظ في ترتيب الكلمات حروفها المرسومة بها ، دون تجريدها من الزوائد ، وبذلك يصبح هذا الكتاب مرجعاً لطلاب معاني الألفاظ أيضا ، الى جانب كونه معجماً للمعاني ، فهو يجمع المزيتين معاً ٠

ونذكر فيما يلي أمثلة من أبواب (الافصاح) وما تضمه من معان جزئية :

ـ (**خلق الانسان**) : ويشتمل على العناوين الجزئية التالية : الحمل والرضاع والفطام ، جسم الانسان ، الأذن ، الوجه ، العين ، ٠٠٠ الخ ٠

ـ (**مشي الانسان وسفره واقامته**) : وفيه : المشي ، الطريق ، النوم ٠

ـ (**نعوت النساء وتزوجهن وحليهن وزينتهن**) : وفيه ، اضافة الى نعوت النساء : الزواج ، الحلي ، العطور والطيب ٠٠٠

ـ (**الأمراض** والعيوب الخلقية والطب والعلاج) ٠٠٠

ـ (**الخيل والبغال** والحمير والابل والغنم والبقر) ٠٠٠

ـ (**السماء وما فيها** ، والزمن ، والرياح ، والسحب والمطر) ٠٠٠

ـ (**المياه وما فيها** ، والقنوات والآبار ، وآلات رفع المياه) ٠

طبع (الافصاح) في مجلدين ضخمين في القاهرة سنة ١٩٢٩م ، ثم أعيد طبعه منقحاً سنة ١٩٦٤ وبلغت صفحاته ١٣٩٦ يتبعها بعد ذلك معجم الألفاظ الواردة في الكتاب ، في ٨٣ صفحة ٠



معاجم الألفاظ « القديمة »

هذه المعاجم ذات أهمية كبيرة ، وفوائد شتى ، منها أن تلك المعاجم هي المصدر الأساسي الذي يأخذ بأيدينا الى الكشف عن معنى لفظة نجهل تفسيرها ، أو نريد معرفة معناها صحيحاً دقيقاً ، لنتعرف استعمالها ، ونهتدي الى مضمون السياق الذي وردت فيه والمدلول الذي اكتسبته فيه ·

كما تساعدنا معاجم الألفاظ على ضبط مختلف الكلمات التي لا يظهر لنا وجه الصواب فيها ، ولا سيما الأسماء الجامدة ، وكثير من أسماء الأعلام والبلدان ، والأفعال الثلاثية خاصة · فكم من فعل ثلاثي وقفنا حائرين أمام معرفة حركة العين في ماضيه أو مضارعه ، أو معرفة مصدره ، وما لهذا المصدر من صور وأشكال ، وعندئذ لن نجد بغيتنا الا في معجم من معاجم الألفاظ ، فهي في عصرنا هذا تقوم مقام السماع من أئمة العربية وأهل الفصاحة فيها ·

واذا كانت معاجم المعاني كلها لا تخرج ، عند العرب ، عن طريقة واحدة في تصنيفها وتبويبها ، بحسب الموضوعات العامة ، فان معاجم الألفاظ تختلف فيما بينها اختلافاً شديداً ، وكانت مجال تنافس شديد ، ومن ثم تعددت طرائق ترتيبها وتبويبها على تعاقب السنين ، وغدت المكتبة العربية غنية بمعاجم الألفاظ ، القديمة والحديثة ، ما بين موجز ، ومتوسط ، ومطول · والأساس الذي يقوم عليه تبويب تلك المعاجم هو الحروف الهجائية أو حروف المعجم ، وليس الأغراض والمعاني · **وقد كان هناك عدة أشكال لترتيب الحروف الهجائية ، وهي :**

١ ــ **الترتيب الأبجدي :** وهو أقدم ترتيب عرفه العرب · ويقال انه ترتيب فينيقي · وعليه يجري ما يسمى بحساب الجمل « بضم الجيم ، وتشديد الميم المفتوحة » · وهو مجموع في هذه الكلمات : « أبجد ، هوز ، حطي ، كلمن ، سعفص ، قرشت ، ثخذ ، ضظغ »(١) ، وحروف الترتيب الأبجدي في

(١) يقصد بحساب الجمل أن يعطى كل حرف ضمن الترتيب الأبجدي قيمة عددية تبدأ من الواحد الى العشرة بحسب التسلسل المذكور · ثم تزاد مضاعفات العشرة من الفاظ المقود حتى تصل الى التسعين لحرف الصاد · وبحرف القاف تبدأ المئة فمضاعفاتها حتى الألف لحرف الغين · وهذا الترتيب اتبعه المشارقة · أما المغاربة ــ وهم سكان الاندلس وشمالي افريقية ــ فالترتيب الابجدي عندهم يجري على النسق التالي : « أبجد ، هوز ، حطي ، كلمن ، صعفض ، قرست ، ثخذ ، ظغش » · ويستعمل حساب الجمل في ميادين مختلفة لا مجال لذكرها هنا ·

الأصل ٢٢ حرفاً وأضاف اليها العرب الروادف ، وهي ستة الحروف الاخيرة « ثخذ ، ضظغ » التي انفرد بها العرب عن غيرهم من آهل اللغات السامية الأخرى ·

ولم يستخدم العرب الترتيب الأبجدي في معاجمهم ، بل استخدموه أحيانا في ترقيم صفحات كتبهم ورسائلهم ، أو في ترقيم بعض فقرات الكلام وعناوين الفصول والأبواب ، وما الى ذلك ·

٢ ـ **الترتيب الصوتي ، أو المخرجي** : وهو يسير بحسب مخارج الحروف داخل الفم ، وتدرجها بدءاً من أقصى الحلق حتى الشفتين · ويراعي ، في ذلك ، التشابه الصوتي للأحرف ، ويقسمها الى فئات أو زُمر تبعاً لموقعها من أجزاء الفم واللسان والأسنان ·

وصاحب هذا الترتيب هو الخليل بن أحمد الفراهيدي (ـ ١٧٥ هـ) وفيه تنتظم الحروف على النسق التالي ، وفي خاتمتها أحرف العلة :

(ع ، ح ، هـ ، خ ، غ / ق ، ك / ج ، ش ، ض / ص ، س ، ز / ط ، ت ، د / ظ ، ذ ، ث / ر ، ل ، ن / ف ، ب ، م / و ، ي ، ا ، ء)(١) ·

٣ ـ **الترتيب الهجائي ، أو الألفبائي** : وهو النسق المعروف حتى اليوم· وقد ابتدعه في أواسط العصر الأموي : نصر بن عاصم الليثي (ـ ٩٠ هـ) في ولاية الحجاج على العراق · وهذا الترتيب يراعي الأشباه والنظائر من الحروف ، من حيث التشابه الكتابي فيما بينها ، فيقدم الزمر الثلاثية بعد الهمزة ، فالثنائية ، وينتهي بالأحرف المفردة ، وذلك على هذا الترتيب :

---

(١) أسماء مجموعات هذا الترتيب هي ، على التوالي : حروف الحلق ، حروف اللهاة ، الحروف الشجرية ، فالأسلية ، فالنطعية ، فاللثوية ، فالذلقية ، فالشفوية · ثم الهوائية وهي حروف العلة ·

وقد نظم ابو الفرج المعافري الجزيري أبياتاً في ترتيب الحروف بحسب مخارجها الصوتية فقال :

يا سائلي عن حروف العين ، دونكها ... في رتبة ضمها وزن وأحصاء :
العين ، والحاء ، ثم الهاء والخاء ، ... والغين ، والقاف ، ثم الكاف : أكفاء
والجيم ، والشين ، ثم الضاد ، يتبعها ... صاد ، وسين ، وزاي ، بعدها طاء
والتاء ، والدال ، ثم الظاء ، متصل ... بالظاء ذال ، وثاء ، بعدها راء
واللام ، والنون ، ثم الفاء ، والباء ... والميم ، والواو ، والمهموز ، والياء

(أ ـ ب ، ت ، ث ـ ج ، ح ، خ ـ د ، ذ ـ ر ، ز ـ س ، ش ـ ص ، ض ـ ط ، ظ ـ ع ، غ ـ ف ، ق ـ ك ، ل ـ م ـ ن ـ هـ ـ و ـ ي)(١) ٠

وقبل أن نتكلم على أنواع معاجم الألفاظ القديمة بحسب الترتيب الذي تنتمي اليه كل مجموعة منها ، **يحسن أن نذكر هنا الاتجاهات والطرائق التي انبثقت عن الترتيبين : الصوتي والالفبائي ، في اثبات مواد تلك المعاجم ،** والتي كان هدفها تيسير الرجوع الى معاجم الألفاظ ، وكيفية استخراج معاني الكلمات في كل منها ، بحسب طريقته الخاصة :

١ ـ **طريقة الترتيب المخرجي أو الصوتي** : وفيه ترتب الكلمات بحسب مخارجها الصوتية ، بعد تجريدها من الزوائد ٠ فكلمة « نهر » نجدها في حرف الهاء « هرن » لأن الهاء مخرجها الصوتي قبل مخرجي الراء والنون ٠ و «رجل» نجدها في حرف الجيم ، للسبب نفسه ٠ وهكذا ٠

٢ ـ **طريقة الترتيب الهجائي المعروف** « الآلفبائي ، على حروف المعجم »٠ وقد اتخذت صورتين :

آ ـ ترتيب الكلمات بحسب أواخرها ، بعد تجريدها من الزوائد ، وردها الى أصولها المجردة ٠

ب ـ ترتيب الكلمات بحسب أوائلها ، بعد ردها الى أصولها المجردة ٠

وفي الصفحات القادمة نتكلم على كل طريقة من هذه الطرق جميعا ، ونذكر المعاجم القديمة التي سلكتها وتقيدت بها في اثبات موادها ، ونتعرف منهج كل معجم منها في كيفية الرجوع اليه ، واستخراج الألفاظ فيه ٠

ثم نعرج على المعاجم الحديثة ، لنذكر أهمها ، وما أسهمت به من تطوير وتقدم في ميدان التاليف اللغوي ٠

---

(١) للحروف الهجائية ترتيب آخر عند المغاربة اتبعوه في كتبهم ذات الطابع المعجمي ٠ وهذا الترتيب هو : (أ ، ب ، ت ، ث ، ج ، ح ، خ ، د ، ذ ، ر ، ز / ط ، ظ / ك ، ل ، م ، ن / ص ، ض / ع ، غ ، ف ، ق / س ، ش / هـ ، و ، ي) ٠

طريقة الترتيب المخرجي

كتاب «العين»

للخليل بن أحمد

رائد هذه الطريقة **هو الخليل بن أحمد الفراهيدي** ، الذي عاش في القرن الثاني للهجرة وتوفي سنة ١٧٥ هـ · وهو من أئمة اللغة والأدب ، وواضع علم العروض ، وذو العلم الواسع بالموسيقا · وهو أستاذ سيبويه النحوي · عاش في البصرة فقيراً صابراً ، والناس يكسبون بعلمه الأموال · وله عدة مؤلفات لم يطبع منها سوى معجم « العين » ·

وكتاب « العين » معجم لغوي من معاجم الألفاظ ، بل هو أول معجم عرفه العرب في تاريخهم اللغوي ، رتبت مواده بحسب « الترتيب الصوتي » ، أو المخرجي » الذي ابتكره الخليل نفسه ولم يُسبق اليه ، وقد أعرض عن « الترتيب الأبجدي » لأنه لا يستند الى مبدأ معين ، أو منهج محدد ، كما أعرض عن « الترتيب الهجائي » لأنه مبني أصلا على الرسم والكتابة ، في حين أن اللغة قوامها النطق والأداء ، المبنيان على الصوت وخروج الكلام بحروفه من داخل الفم ·

وكانت الخطوة التالية لدى الخليل حصر مفردات اللغة العربية التي لم يجمعها جامع ، ولا استقصاها أحد قبله · فلجأ الى فكرة رياضية فذة تقوم على اعتماد مبدأ التقاليب ، وهو توليد كلمة من كلمة بتغيير مواضع الحروف فيها ، وهذا ما يعرف بالاشتقاق الكبير · فالأصل الثنائي « ج ر » يخرج منه صورتان هما : « جرّ » و « رجّ » · والأصل الثلاثي يكون منه عادة ستة تقاليب ، فتقاليب « ب ح ر » هي : « بحر ، برح ، حبر ، حرب ، ربح ، رحب » · والأصل الرباعي مثل « عبقر » يخرج منه أربع وعشرون صورة · أما الخماسي مثل « سفرجل » ففيه مئة وعشرون صورة · ولا شيء من الأصول فوق الخماسي · وبهذه الطريقة الرياضية استطاع الخليل أن يتوصل الى حصر ألفاظ اللغة العربية — من الناحية النظرية — باثني عشر مليون كلمة تقريباً · لكنها ليست كلها مستعملة عند العرب ، فهناك تقاليب كثيرة مهملة ، ولا سيما في الأصلين : الرباعي والخماسي · فكان الخليل يثبت في معجمه ما كان مستعملا ، ويغفل ما كان مهملا في الاستعمال ·

وهكذا قام تنظيم كتاب « العين » على ثلاثة أسس ، هي :

١ ـ **الترتيب الصوتي للحروف بحسب مخارجها** ، من اقصى الحلق حتى الشفتين •

٢ ـ **طريقة التقاليب « الاشتقاق الكبير »** •

٣ ـ **اعتبار الأبنية** : وذلك بملاحظة عدد حروف المادة الأصلية التي عقدت منها تلك الأبنية • وقد وجد الخليل ان أبنية الكلام عند العرب تنحصر في : الثنائي ، والثلاثي ، والرباعي ، والخماسي • فهي لا تقل عن حرفين اثنين ، ولا تزيد على خمسة أحرف ، وكل زيادة على خمسة أحرف في فعل او اسم انما هي زائدة على البناء وليست من أصل الكلمة ، مثل : « عنكبوت » وأصل بنائها على « عنكب » •

وقد رتب الخليل مواد كتابه وفق الطريقة الصوتية ، كما ذكرنا ، وجعله كتباً على عدد حروف الهجاء ، وسمى كل حرف كتاباً • وسمى معجمه « العين » باسم الكتاب الأول منه ، وهو من اطلاق الجزء على الكل • وقد استهله بمقدمة ضمنها بعض القوانين اللغوية والصرفية الهامة ، التي استنبطها بنفسه من كلام العرب • ثم بدا مواد كتابه بحرف العين ، لأنه أول حروف الهجاء عنده • وأتبعه بكتاب الحاء ، فكتاب الهاء ، وهكذا حتى آخر حروف الهجاء •

وقسم كل كتاب ، داخل حرفه ، الى الأبواب التالية :

١ ـ **باب الثنائي الصحيح** : وفيه الكلمات المؤلفة من حرفين أصليين ضُعّف ثانيهما • ولذلك سماه ايضا « المضاعف » • ففي كتاب العين ، مثلا ، نجد : « عشّ » ومقلوبها « شع » • وسماه الثنائي لأن صورته من حرفين • ويذكر معه أيضاً الرباعي الذي ضعفت فاؤه وعينه ، يعني : « عشمش » و « شعشع » • وفي « ع ق » يذكر : « عق ، وعقعق ، وعقيق » كما يذكر أيضاً « قع ، وقعقع » •

٢ ـ **باب الثلاثي الصحيح** : وفيه الكلمات المؤلفة من ثلاثة أحرف أصلية صحيحة ، مع تقليب كل أصل بصوره الست ، والكلام عليها واحدة واحدة • ففي حرف العين أيضاً نجد ، على سبيل المثال ، مادة « ص ع د » بتقاليبها الستة : « صعد ، صدع ، عصد ، عدص ، دصع ، دعص » ولكنه يهمل تقليبي « عدص » و « دصع » لعدم استعمال العرب لهما في كلامهم • وهكذا في « عجب » و « سمع » و « عرف » ••••

٣ ـ **باب الثلاثي المعتل** : ويتضمن ما كان على ثلاثة أحرف أصلية ، أحدها حرف علة ، مثل : وعد ، وعيب ، ورضي ••• ويذكر مع كل أصل تقاليبه المستعملة أيضاً •

٤ ـ **باب اللفيف** : وهو ما اجتمع في أصله الثلاثي حرفا علة ، فكان **لفيفاً مقروناً مثل** : عوى ، نوى ، هوى ، أو مفروقاً مثل : وفى ، وهى ٠٠

٥ ـ **باب الرباعي** : وهو ما كان على أربعة أصول ، مثل : عبقر ، عجرف ، عسكر ٠٠ ويذكر الخليل مع كل أصل تقاليبه المستعملة في الكلام ، ويضرب صفحاً عن المهمل ٠

٦ ـ **باب الخماسي** : وهو ما كان على خمسة أصول ، مثل : فرزدق ، سفرجل ٠٠٠ ويورد كذلك ما يستعمل من تقاليب كل مادة ٠ وقد يسوق الخليل أبواب الرباعي والخماسي معاً ، في بعض الأحيان ، ولا يفرق بينهما ٠

أما كيفية الرجوع الى معجم « العين » واستخراج الكلمات فيه ، فيكون أولا برد الكلمة الى أصلها المجرد ، ثم بالبحث عنها بحسب الحرف الذي يسبق سائر حروفها على الترتيب الصوتي أو المخرجي ، وبحسب الباب الذي تنتسب اليه الكلمة ٠ **مثال ذلك** :

أجعد : مجرده « جعد » ، نجده في باب الثلاثي الصحيح من حرف العين ٠

خسران : مجرده « خسر » ، نجده في باب الثلاثي الصحيح من حرف الخاء ٠

هبة : مجرده « وهب » بعد رد الحرف المحذوف ٠ ونجده في باب الثلاثي المعتل من حرف الهاء ٠

سفرجل : نجده في باب الخماسي **من** حرف الجيم ٠ **لأن الجيم** تسبق سائر حروف هذه الكلمة في الترتيب المخرجي ٠

هذا ، وقد جمع الخليل في معجمه بين الواضح المشهور ، والوحشي الغريب من الألفاظ ، على السواء ، لأن ذلك أحفظ للغة وأصون لها ، ثم ان الوضوح والغرابة أمران نسبيان ، لا يتفق على كل منهما الاجماع والرضا ٠ كما دعم الخليل شروحه اللغوية بموفور من الشواهد الشعرية ، والقرآنية ، ومن الحديث النبوي ، وأمثال العرب ومأثور الأدب وفصيح الكلام ٠ وهو يعنى عناية كبيرة بلغات العرب ، كعنعنة تميم ، وكشكشة ربيعة(١) ، وغيرهما من لغات هذيل واليمن ، كما لا يفوته أن يشير الى لغة المعاصرين له في العراق عامة ، وبلدته البصرة خاصة ٠

---

(١) العنعنة : لفظ الهمزة عيناً ، فيقولون في « أن » : « عن » ٠ والكشكشة : جعل الشين مكان الكاف في خطاب المؤنث ، فيقولون في « عليكِ » و « منكِ » : « عليشِ » و « منشِ » ٠

ولا شك أن **معجم « العين »** دليل على النبوغ العربي ، وقدرة هذا النبوغ على الابداع والابتكار ، ولكن ، على الرغم من ذلك ، وردت فيه هنات كثيرة : من اضطراب في جمع بعض المواد ، واهمال لبعض الأبنية المستعملة في كلام العرب ، اضافة الى ما فيه من تصحيف وتحريف ، وأخطاء صرفية ، ووجود أشعار لشعراء جاءوا بعد عصر الخليل ، فضلا عن صعوبة استخراج الكلمات فيه على طريقته المخرجية · كل ذلك لا يمكن أن يقع فيه عالم كبير كالخليل ، وهذا ما جعل بعض العلماء يستبعد أن يكون الكتاب من وضع الخليل ، في محتواه الذي وصل الينا · وكان هذا الموضوع ـ ولا يزال ـ مثار نقاش وجدال ، ونفي واثبات · والثابت أن الخليل هو الذي قام أصلا بتأليف الكتاب أو معظمه ، ثم شوهت أيدي النساخ ، على مر السنين ، نصوصه ومواده، فلم يبق على صورته الأصلية التي وضعه عليها الخليل ·

ويبقى « العين » رائد المعاجم العربية ، والمنهل الثر الذي نهلت منه المعاجم التي ألفت بعده ، وأفادت منه أعظم الفوائد ، كما **اختصره أو نقحه أو هذبه عدد من اللغويين فيما بعد** : كالنضر بن شميل (ـ ٢٠٣ هـ) صاحب « المدخل الى كتاب العين » والمفضل بن سلمة (ـ ٢٥٠) في « الاستدراك على العين » وأبي بكر الزبيدي (ـ ٣٧٩) في « مختصر العين » الذي حذف ما في الأصل من شواهد ، وصحح ما وجده مصحفاً ، حتى بدا في نظر العلماء أحسن من الأصل ·

أما طباعة كتاب « العين » فقد سارت متعثرة الخطوات خلال سنوات مضت ، اذ جرت أول محاولة لذلك على يد انستاس الكرملي الذي نشر في بغداد سنة ١٩١٤ م جزءاً من الكتاب عدد صفحاته ١٤٤ ثم نُشر الجزء الأول منه سنة ١٩٦٧ بتحقيق عبد الله الدرويش ، في ٣٧٦ صفحة · وأخيراً أعاد تحقيقه مجددا : مهدي المخزومي وابراهيم السامرائي ، وصدر منه في بغداد أيضاً بضعة أجزاء متوالية ·



هذا ، وسار على طريقة الخليل في معجمه ـ من حيث الترتيب الصوتي مع مراعاة التقاليب والأبنية ـ عدد من اللغويين القدامى ، فألفوا معاجم تحذو حذوه ، وهي :

١ ـ **البارع في اللغة** : لأبي علي القالي (ـ ٣٥٦ هـ) · بقيت منه قطع طبعت مجموعة في مجلد واحد حققه هاشم طعان وطبع في بيروت سنة ١٩٧٥ م ·

٢ ــ **تهذيب اللغة** : للأزهري (ــ ٣٧٠ هـ) ٠ طبع كاملا في ١٥ جزءاً بين سنتي (١٩٦٤ ــ ١٩٦٧ م) ثم أضاف اليها عبد السلام هارون جزءاً سادس عشر للفهارس ، كما نشر رشيد العبيدي مستدركاً على بعض الأجزاء وطبع هذا المستدرك في جزء متوسط بالقاهرة ١٩٧٥ م ٠

٣ ــ **المحيط في اللغة** : للصاحب بن عباد (ــ ٣٨٥ هـ) ٠ طبع منه بعض الأجزاء في العراق بتحقيق محمد حسن آل ياسين ٠

٤ ــ **المحكم والمحيط الأعظم** : لابن سيده الأندلسي (ــ ٤٥٨ هـ) ٠ صدر منه سبعة أجزاء ٠ وهي تزيد على نصف الكتاب قليلا ٠



طريقة الترتيب الهجائي
أو «الألفبائي»

يقوم الترتيب الهجائي – كما أشرنا سابقاً – على ما نعهده اليوم ، من مراعاة التشابه الكتابي في رسم الحروف « أ ، ب ، ت ، ث ، ج ، ح ٠٠ الخ » ، وعليه يجري العمل والعرف في الفهارس الفنية للكتب المحققة ، وفي سجلات المدارس والدوائر الرسمية وترتيب أسماء الطلاب في الامتحانات والمسابقات، وفي دليل الهاتف ، والموسوعات الهجائية المختلفة ٠٠٠٠ وغير ذلك مما لا سبيل الى حصره ٠

وقد شاع هذا الترتيب الهجائي في المناجم اللغوية منذ القرن الرابع للهجرة ، **الا أن مؤلفي المعاجم سلكوا احدى طريقتين اثنتين في سرد مواد كتبهم:**

الأولى : ترتيب أصول تلك المواد بحسب الأواخر ، مع التزام الترتيب الهجائي فيها ، بالنظر الى آخرها ٠ فكلمة « سخر » توضع في باب الراء ، و « عجب » في باب الباء ٠٠٠

والثانية : ترتيب أصول المواد بحسب الأوائل ، مع التزام الترتيب الهجائي فيها ، بالنظر الى أولها ٠ فكلمة « سخر » توضع في باب السين ، و « عجب » في باب العين ٠٠

ونتكلم فيما يلي على كل من هاتين الطريقتين ، وأشهر المعاجم التي سارت عليها :

الترتيب بحسب أواخر الأصول

هذا النوع من المعاجم مقسم الى أبواب رئيسية بعدد حروف الهجاء ، وهي ٢٨ حرفاً ، الا أن المؤلفين يدمجون بابي الواو والياء معاً ، ويجعلونهما باباً واحداً عنوانه « **باب الواو والياء** » وهو يضم كل ما اعتل آخره من الأصول ، بلا تمييز بين الواوي واليائي ٠ وبذلك **يصبح عدد أبواب المعجم** ٢٧ باباً ، منسوقة على النحو التالي :

– **باب الهمزة** : ويضم المواد الآتية : بدأ ، خبأ ، ربأ ، سبأ ، صبأ ، عبأ ، قرأ ، ملأ ٠٠٠ الخ ٠

ـ **باب الباء** ، وفيه من المواد : حسب ، خرب ، سحب ، شرب ، ضرب ، طرب ، عرب ، نهب ٠٠٠

وهكذا الى **باب الواو والياء** ، ومن مواده : أبى ، أسا ، بدا ، برى ، بقي ، خبا ، دلو ، طلى ، فدى ، كفى ٠٠٠ الخ ٠

وفي كل باب من هذه الأبواب الهجائية السبعة والعشرين رتبت الأصول أيضا ترتيباً هجائيا دقيقا فيما بينها بحسب الحـرف الأول فما بعـده ، لتيسير العثور على الكلمة المطلوبة ، وأطلق على أول المادة ضمن الباب الواحد اسم « **فصل** » ، بحيث يشتمل كل باب ، **في الأغلب** ، على ثمانية وعشرين فصلا بعدد حروف الهجاء أيضاً ٠ الا أن مؤلفي هذه المعاجم يقدمون عادة فصل الواو على فصل الهاء بحيث يكون الترتيب في الفصول هكذا : « ٠٠٠ ك ، ل ، م ، ن ، **و** ، **هـ** ، ي » ٠

وعلى هذا نجد ، مثلا :

قرأ : في باب الهمزة ، فصل القاف (أو نقول : فصل القاف من باب الهمزة) ٠

رغب : في باب الباء ، فصل الراء (أو نقول : فصل الراء من باب البـاء) ٠

عجل : في باب اللام ، فصل العين (أو نقول : فصل العين من باب اللام) ٠

دلو : في باب الواو والياء ، فصل الدال (أو نقول : فصل الدال من باب الواو والياء) ٠

ظبي : في باب الواو والياء ، فصل الظاء (أو نقول : فصل الظاء من باب الواو والياء) ٠

فالباب : للحرف الأخير من الأصل المجرد ، وهو أول ما نبحث عنه ، ثم نبحث بعده عن الحرف الأول من ذلك الأصل في « الفصل » الذي يحمل اسمه ٠

وقد ألحق مؤلفو هذا النوع من المعاجم كتبهم بباب خاص سموه « باب الألف اللينة » وهو يشتمل على شرح بعض الحروف ، والأدوات والأسماء المبنية وما اليها ، حيث تذكر سرداً بلا تقسيم الى فصول ، وان كان ذلك ملحوظاً ، وتجري على هذا النسق : (أ ، اذا ، الى ، أولو ، الا ، ألا ، أنّى ، أيا ، الباء ، التاء ، الحاء ، ذا ، ذو ، الفاء ، كذا ، كلا ، لا ، لو ، ما ، مهما ، متى ٠٠٠ هلا ، هيا ، يا) ٠

والطريقة العامة في استخراج الكلمة في هذا النوع من المعاجم هي :

١ ــ أن نجرد الكلمة من أحرف الزيادة اذا كانت مزيدة ، مثل « استغفر » مجردها « غفر » ٠

٢ ــ ونفك التضعيف اذا كان ٠ مثل « شدّ » يصبح « شدد » ٠

٣ ــ ونرد حرف العلة الى أصله ، اذا وجد هذا الحرف وكان منقلباً عن حرف علة آخر ، مثل « قال » : أصله « قول » ، و « باع » أصله « بيع » ٠

٤ ــ ونرد الى الكلمة ما حُذف منها ، مثل « ثقة » أصلها « وثق » ، و « أب » أصلها « أبو » ، و « دُم » أصلها « دوم » ٠

وقد يجتمع في الكلمة الواحدة أكثر من حالة ٠ مثل « ميزان » : فيها حرفان زائدان هما الميم والألف ، وحرف علة وهو الياء منقلب عن واو ، فالأصل الثلاثي لكلمة « ميزان » هو « وزن » ٠

وبعد ذلك نستخرج الكلمة في باب الحرف الأخير منها ، وفي هذا الباب نبحث عنها في فصل حرفها الأول ، كما سبق ٠

وأشهر المعاجم التي تسير على هذه الطريقة ثلاثة :

١ ــ **الصحاح :** للجوهري (ــ ٣٩٣ هـ) ٠
٢ ــ **لسان العرب :** لابن منظور (ــ ٧١١ هـ) ٠
٣ ــ **القاموس المحيط :** للفيروزابادي (ــ ٨١٧ هـ) ٠

الصحــاح : للجوهــري

الجوهري : اسماعيل بن حماد ، من أئمة اللغة المشهورين ، وأحد أعاجيب الزمان ذكاء وفطنة وعلماً ٠ نشأ في العراق ، ورحل في طلب العلم ، وسافر الى الحجاز ، فطاف البادية ، وشافه الأعراب ، ثم أقام في نيسابور بخراسان ، وعكف فيها على التدريس والتأليف حتى توفي سنة ٣٩٣ هـ أو بعدها بقليل ٠

وكتابه « الصحاح » اشتهر بكسر الصاد ، جمع « صحيح » ٠ ويجوز فتحها فيكون مصدراً بمعنى الصحيح ، مثل براء بمعنى بريء ٠ واسمه الكامل « تاج اللغة وصحاح العربية » ٠ وهو من أوائل المعاجم التي تأخذ بأواخر الكلمات ٠ وقد حظي بعناية اللغويين والمصنفين فأثنوا عليه وفضلوه على غيره ، وفيه يقول ابن عبدوس النيسابوري :

هــذا كتــاب الصحــاح سيــدُ مــا صُنــف قبــل الصحــاحِ في الأدب
تشمــلُ أبوابــه ، وتجمــع مــا فُــرّق في غيــره مــن الـكتب

ومع أن هناك محاولات سبقت الجوهري الى الأخذ بالحرف الأخير في ترتيب المواد ، فانه لم يطلع عليها فيما يبدو ، وابتدع تلك الطريقة لنفسه ، لأنه يصرح بذلك في مقدمة « الصحاح » قائلا : « أودعت هذا الكتاب ما صح عندي من هذه اللغة ••• على ترتيب لم أسبق اليه ، وتهذيب لم أغلب عليه » •

وهذه الطريقة تقدم للشعراء والناظمين مادة لغوية وفيرة لاختيار قوافيهم ، وتسهل عليهم أمر هذا الاختيار ، كما تقدم لهواة الألفاظ المسجوعة، من الكتاب والناثرين قدراً صالحاً من تلك الألفاظ •

وهذه أهم خصائص معجم « الصحاح » :

١ ــ أودعه الجوهري ما صح عنده من اللغة ــ كما صرح بذلك في المقدمة ــ وطرح الألفاظ غير الصحيحة • وتعني الصحة لديه : التزام الصواب في النقل ، وتحري الضبط في التدوين ، وأن تكون الألفاظ موثوقة الرواية عند العرب • ولذلك سماه : الصحاح •

٢ ــ استمد مادته من الكتب اللغوية والمعاجم التي سبقته ، ومن السماع والرواية عن العلماء مباشرة ، ومشافهة العرب في البادية ، وبخاصة الحجاز •

٣ ــ هو من المعاجم المختصرة ، بالقياس الى غيره ، وهو يكتفي بالشرح اللغوي لمواد كتابه ولا يهتم بذكر الآراء والأقوال المختلفة ، الا أنه يكثر من شواهد القرآن والحديث والشعر ، ويشرح مضمونها في كثير من الأحيان •

وعلى الرغم من منزلة « الصحاح » ومزاياه ، فان القدماء أخذوا عليه عدة هنات ، منها وقوع الغلط في مواضع كثيرة منه ، وشيوع التصحيف والتحريف في عدد من ألفاظه • ويعود ذلك اما الى سهو وقع فيه الجوهري ، واما الى أن الجوهري مات والكتاب لا يزال مسوداً ، ولم يتح له تنقيحه وتبييضه ، فبيضه أحد تلاميذه الذين صحبوه ــ وهو أبو اسحق ، محمد بن صالح الوراق النيسابوري ــ وغلط فيه في مواضع كثيرة تتبعها عليه المحققون •

ويقول فيه الفيروزابادي ، صاحب القاموس المحيط : « غير أنه فاته نصف اللغة أو أكثر ، اما باهمال المادّة ، أو بترك المعاني الغريبة النادّة » •

طبع « الصحاح » في مصر مرتين ، الأولى سنة ١٢٨٢ هـ = ١٨٦٥ م

في مجلدين · والثانية سنة ١٩٥٧ م في ستة مجلدات محققة تحقيقاً جيداً ، بعناية أحمد عبد الغفور عطار(١) ·

★

هذا وقد كان الصحاح موضع عناية علماء اللغة ، ولم يُخدم معجم عربي كما خُدم الصحاح ، تهذيبا وتنقيحاً واستدراكا عليه ، وتنبيها على أوهامه · كما ترجم الى اللغتين : الفارسية والتركية · وقام بعضهم باختصاره · **وأشهر مختصراتـه :**

١ ـ تهذيب الصحاح : لمحمود بن احمد الزنجاني (ـ ٦٥٦ هـ) طبع في ثلاثة اجزاء بالقاهرة سنة ١٩٥٢ بتحقيق عبد السلام هارون ، وأحمد عبد الغفور عطار · وهو يعادل عُشر الصحاح ، ورُتب مثله على أواخر الكلمات ·

٢ ـ مختار الصحاح : لمحمد بن أبي بكر الرازي (ـ ٦٦٦ هـ) · وهو مرتب على أواخر الكلمات أيضاً ، كالصحاح · وطبع كذلك مراراً في القرن الماضي · وفي أوائل القرن العشرين قام محمود خاطر ، أحد موظفي مطبعة بولاق في مصر . باعادة ترتيب مختار الصحاح على أوائل الكلمات تيسيراً على طلاب المدارس ، وظهرت طبعته الأولى هذه سنة ١٩٠٥ م وتوالت طبعاتـــه الكثيرة بعد ذلك الى يومنا هذا بحسب الأوائل أيضاً · وندرت جداً طبعته المرتبة على الأواخر ، بل فقدت من الأسواق ، حتى ان الناس يظنون أن مختار الصحاح مرتب في أصله على الأوائل ، وهذا خلاف الحقيقة ·

لسان العرب : لابن منظور

ابن منظور : محمد بن مكرم ، الأنصاري الافريقي ، ثم المصري · امام لغوي حجة · ولد في مصر ـ وقيل في طرابلس الغرب ـ وخدم في ديوان الانشاء في القاهرة ، ثم ولي القضاء في طرابلس ، وعاد الى مصر فتوفي فيها سنة ٧١١ هـ ·

---

(١) قام نديم مرعشلي وابنه أسامة بتهذيب الصحاح واختصاره واعادة ترتيبه على الأوائل ، مع اضافة بعض المصطلحات العلمية والألفاظ الحديثة ، وسميا كتابهما « الصحاح في اللغة والعلوم » · وطبع في مجلدين كبيرين سنة ١٩٧٤ م في بيروت · ثم اختصراه أيضا بالعنوان نفسه في « معجم وسيط » طبع سنة ١٩٧٥ في مجلدين أيضا ·

طبع من كتبه : لسان العرب ، وأخبار أبي نواس ، ومختار الأغاني وهو مختصر الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني ٠

ومعجمه « **لسان العرب** » من أضخم المعاجم العربية وأغزرها مادة ، وقد حظي على مدى الأيام بتقدير العلماء وثقتهم ٠ وصدره ابن منظور بمقدمة تحدث فيها عن هدفه من تأليف هذا الكتاب ، واهتمامه بكتب السابقين من اللغويين ، وفصل آراء العلماء في الحروف المقطعة التي بدئت بها بعض السور القرآنية ، ثم تحدث عن ألقاب الحروف الهجائية وطبائعها وخواصها ومخارجها ٠

وقد جمع ابن منظور مادة كتابه من خمسة معاجم ألفت قبله ، وذكرها في مقدمته ، وهي : تهذيب اللغة : للأزهري (ـ ٣٧٠ هـ) ، والصحاح : للجوهري (ـ ٣٩٣) ، والمحكم : لابن سيده (ـ ٤٥٨) وحواشي ابن بري على الصحاح (ـ ٥٧٦) والنهاية في غريب الحديث : لابن الأثير (ـ ٦٠٩) ٠

ومما قاله في مقدمته : « فانتظم شمل تلك الأصول كلها في هذا المجموع ، وصار هذا بمنزلة الأصل ، وأولئك بمنزلة الفروع ٠٠ »٠ ويوضح غايته من تأليف كتابه فيقول : « فانني لم أقصد سوى حفظ أصول هذه اللغة النبوية وضبط فضلها ، اذ عليها مدار أحكام الكتاب العزيز والسنة النبوية ، ولأن العالم بغوامضها يعلم ما توافق فيه النية اللسان ، ويخالف فيه اللسان النية ، وذلك لما رأيته قد غلب ، في هذا الأوان ، من اختلاف الألسنة والألوان، حتى لقد أصبح اللحن في الكلام يعد لحناً مردوداً ، وصار النطق بالعربية من المعايب معدوداً ٠ وتنافس الناس في تصانيف الترجمانات في اللغة الأعجمية ، وتفاصحوا في غير اللغة العربية ، فجمعت هذا الكتاب في زمن أهله بغير لغته يفخرون ، وصنعته كما صنع نوح الفلك وقومه منه يسخرون ، وسميته : لسان العرب » ٠

وتلك هي أهم خصائص هذا المعجم :

١ ـ هو موسوعة شاملة ، لا تقتصر على المواد اللغوية وشروحها ، بل تضم فوائد واستطرادات ونقولا كثيرة ومتنوعة ، يفيد منها الأديب والفقيه والمحدث واللغوي والصرفي والنحوي والأخباري وعالم التفسير ٠

٢ ـ كثرة الشواهد الشعرية والنثرية التي يحتج بها ، من قرآن ، وحديث ، وحكم وأمثال ، ومأثور كلام العرب وأشعارهم ٠

٣ ـ وشغف المؤلف بالاسهاب والتفصيل ، يدفعه الى ايراد الآراء المختلفة في الشرح ، على ما فيها من تناقض واختلاف ، وينسب كل قول الى صاحبه ٠ وفي بعض الأحيان يذكر رأيه الخاص ، أو يبادر الى ذكر بعض

التفسيرات والاضافات ، أو يخالف عن آراء من التزم مناهجهم ، مع وجاهتهـا ٠

٤ ـ يستوعب معظم مفردات اللغة العربية ، في تفصيل للوجوه واللغات والروايات المختلفة ، بما يسعف الباحث المتعمق ، والدارس المتخصص في علوم العربية ٠

٥ ـ وفي مبدأ كل باب يتحدث ابن منظور عن الحرف المعقود له الباب ، حديثاً يطول أو يقصر ، بحسب الاقتضاء ، ويشير الى بعض أحوال هذا الحرف وما يطرأ عليه ، وقد يورد بعض الفوائد الهامة ، مؤيدة بشواهد غنية ٠

ويؤخذ على « لسان العرب » ـ برغم قيمته الكبيرة ـ كثرة تكرار الشروح اللغوية ، وأنه لا يلتزم أحياناً التزاماً تاماً بما ينقله من مصادره الخمسة التي سبق ذكرها ، وأنه لا يذكر صراحة مصادره تلك دائماً ، وفي كل خطوة ٠ ولو أنه فعل ذلك لعرفنا بتطور معاني الألفاظ ونشوء الكلمات وما رافقها من ملابسات ، حين نعرف أول من سبق الى الحديث عن معنى دون الآخر ٠ ومن هنا فان « اللسان » يفتقر الى الترتيب والتنظيم ، ضمن كل مادة على حدة ، وهذا ما لم يفعله ابن منظور الذي حشد الألفاظ حشداً لا يقوم على منهج واضح ، ولا تنسيق علمي ٠

*

طبع « لسان العرب » وصور عدة مرات ، وأصل طبعاته الكاملة اثنتان :

١ ـ **طبعة بولاق** في القاهرة سنة (١٣٠٠ ـ ١٣٠٨ هـ) وتقع في عشرين مجلداً ٠ ثم صورت هذه الطبعة في مصر في عشر الستينات من هذا القرن ٠

٢ ـ **طبعة دار صادر** في بيروت (١٩٥٥ ـ ١٩٥٦ م) ٠ وقد ظهرت منجمة في ٦٥ عدداً ٠ ثم جمعت في ١٥ مجلداً ضخماً ، وصورت مراراً في بيروت(١) ٠ وكانت دار الفكر في بيروت قد بدأت سنة ١٩٥٤ بنشر لسان العرب تباعاً في حجم كبير ، ثم توقفت عن متابعة طباعته بعد أن أصدرت منه ١٢٩ عدداً تنتظمها بضعة مجلدات تنتهي بمادة « صرف » ، وهي تعادل نصف حجم اللسان أو تزيد قليلا ٠

---

(١) نشرت طبعتان كاملتان أخريان للسان ، قلب فيهما ترتيب مواده على الأوائل ، بلا تغيير في المواد وشروحها ، أولاهما أعدها يوسف الخياط ونديم المرعشلي وطبعت في بيروت سنة ١٩٧٠ م بعنوان « لسان العرب المحيط » وذيلت بالمصطلحات ←

القاموس المحيط : للفيروزابادي

مؤلفه : مجد الدين الفيروزابادي (ـ ٨١٧ هـ) الذي أسهم اسهاما بالغا في الدراسات العربية ، وخلف كنوزاً ضخمة تزيد على العشرين كتاباً • ولكن شهرته كادت تقوم على « القاموس المحيط » وحده دون سائر مؤلفاته الأخرى ، بل ان اسمه « **القاموس** » صار يُطلق ـ كما أسلفنا ـ على كل معجم لغوي ، مهما كان نوعه ، مع أن هذه الكلمة تعني في اللغة : البحر ،أو وسطه ، أو معظم مائه ، وقد صرح الفيروزابادي في المقدمة بسبب تلك التسمية فقال : « **وأسميته القاموس المحيط لأنه البحر الأعظم** » •

واثنى أيضا على كتابه فقال : « وألفت هذا الكتاب محذوف الشواهد ، مطروح الزوائد ، مُعربا عن الفُصَح والشوارد ••• مشتملا على فرائد أثيرة ، وفوائد كثيرة ، من حسن الاختصار ، وتقريب العبارة ، وتهذيب الكلام ، وايراد المعاني الكثيرة في الألفاظ اليسيرة ••• » •

وقبل أن نفصل القول في خصائصه نورد منه النص الآتي الذي يضم جملة منها • قال في مادة (حدد) :

« الحدُّ : الحاجز بين شيئين ، ومنتهى الشيء ، ومن كل شيء : حدته ، ومنك : بأسك ، ومن الشراب : سورته ، والدفع ، والمنع ـ كالحدد ـ وتاديب المذنب بما يمنعه وغيره عن الذنب ••

← الفنية والعلمية الحديثة • والثانية بعنوان « لسان العرب » نشرت أولا منجمة في مصر ، وصدرت عن دار المعارف في (٥٥ عددا) ، ثم جعلت في ستة مجلدات وأشرف على تحقيقها : عبدالله علي الكبير ، ومحمد أحمد حسب الله ، وهاشم محمد الشاذلي •

ولا تزال طبعات اللسان ، على اختلافها ، حتى اليوم (١٩٨٨) خالية من فهارس فنية تشبه تلك التي صنعها عبد السلام هارون لمعجم « تهذيب اللغة » للأزهري ، وتيسر الاستفادة من تلك الموسوعة الضخمة • وقد كانت هناك مشروعات ووعود ، تحقق منها محاولتان :

الأولى : كتيب بعنوان « شواهد لسان العرب ، مرتبة على حروف المعجم » : لعبد الفتاح قتلان ، نشر في مصر سنة ١٩١٧ م ويشتمل على حرف الهمزة فحسب ، في ٥٤ صفحة • ثم توقف العمل •

والثانية : كتاب « معجم الشعراء في لسان العرب » صنعه د• ياسين الأيوبي ، وطبع في بيروت سنة ١٩٨٠ م ، في مجلد واحد يضم ٥٥٠ صفحة •

والحديد م ج حدائد وحديدات ، والحداد : مُعالِجه ، والسجان ، والبواب ، ٠٠ وحد السكين وأحدها وحددها : مسحها بحجر أو مبرد فحدت تحد حدة ٠٠ وحُداد ، كغُراب ورمان ، ج حديدات وحدائد وحداد ٠٠٠

وحُدّ ، بالضم ع ٠٠ وبنو حدان بن قُريع ، ككتان ، بطن من تميم ، منهم أوس الحداني الشاعر ، وبالضم : الحسن بن حدان المحدث ، ٠٠٠ والحدادية : ة بواسط ٠ وحددم محركة : جبل بتيماء وأرض لكلب ٠٠٠ » ٠

ونذكر ، بعد هذا ، أبرز الخصائص والمزايا التي يتصف بها القاموس المحيط :

١ ـ استيعابه لمعظم مفردات اللغة العربية ، حتى الغريب النادر منها ، ولكي لا يتعاظم حجم الكتاب ، حاول الفيروزابادي أن يُفرغ عمله في قالب محكم من الايجاز والاحكام ، مع التزام اتمام المعاني . وابرام المباني ـ كما يقول في مقدمته ـ فاضطر من أجل ذلك الى تكثيف مادته ، وايجاز عبارته ، وتركيزها ٠ وهذا ما جعل الغموض أو الاخلال بالمعنى يتسربان اليه في كثير من الأحيان ، وأصبحت عبارته تحتاج الى امعان وتأمل ٠

٢ ـ حرص المؤلف على ضبط الكلمات بدقة ، والتعويل في هذا الضبط على التمثيل بكلمات شائعة ، أو بالنص على ذلك كتابة وعدم الاكتفاء بضبط القلم ، كما رأيت في قوله : « وحُداد ، كغُراب ورمان » أي على وزن كلمتي (غراب ، ورمان) معاً ٠ وقوله أيضاً : « وحَدَد ، محركة » أي بفتح الحاء والدال ٠

٣ ـ العناية بذكر المشهور من أعلام الأمكنة والأشخاص والقبائل ، وضبطها ٠ وهو يجعل ذلك في آخر كل مادة من مواد القاموس غالباً ٠ كما رأيت في : « حُد » و « بني حدان » و « الحسن بن حُدان » ٠٠٠

٤ ـ وعني الفيروزابادي بايراد المولد ، والأعجمي ، والغريب من الألفاظ وبيان أصلها ٠

٥ ـ وقد لجأ الفيروزابادي الى اتخاذ بعض الاصطلاحات الخاصة ، والرموز المختصرة سعياً وراء الايجاز والتكثيف ، ومن ذلك :

م = معروف
ع = موضع
د = بلد

ة = قرية
ج = جمع
جج = جمع الجمع

٦ ــ ولم يهتم كثيراً بالشواهد على اختلاف أنواعها • ولا تزيد الشواهد الشعرية لديه على ٢٥٠ بيتاً •

هذا وقد أوتي « القاموس المحيط » شهرة واسعة ، واهتم به الباحثون واللغويون قديماً وحديثاً ، وجعلوه عمدة بين معاجم الألفاظ ، يثقون به ويؤثرونه على غيره ، لا يكاد ينافسه اليوم في هذه المنزلة الا « لسان العرب » لابن منظور ، بعد أن كان « الصحاح » في القديم هو الذي يزاحمه في الشهرة والمنزلة حتى **انقلب الأمر الى خصومة بين اللغويين والأدباء ، أنفسهم ، ما بين منتصر لأحد الكتابين أو متعصب عليه** ، وألفت في ذلك كتب ، كما قيلت أشعار طريفة ، من ذلك قول الأديب نور الدين المكي منتصراً للقاموس المحيط :

مُذ مدّ مجد الدين في أيامه ... من بعض أبحر علمه « القاموسا »
ذهبت « صحاح » الجوهري كأنها ... سِحر المدائن حين ألقى موسى

وقد رد عليه عالم الشام في وقته ، عبدِ الغني النابلسي ، بهذين البيتين :

مَن قال قد بطلت صحاح الجوهري ، ... لما اتى القاموس ، فهو المفتري
قلتُ : اسمه القاموس ، وهو البحر ، ان ... يفخر فمعظمُ فخرهِ بالجوهر « ي »

وممن تعقب أغلاط القاموس المحيط وأوهامه ، وبين كثيراً من مزالقه ، وعلق على بعض محتوياته : أحمد فارس الشدياق (ــ ١٨٨٧ م) في كتابه « **الجاسوس على القاموس** » •

ومما أُخذ على القاموس المحيط أنه لا يطرد على نسق معين في ترتيب ألفاظ كل مادة ، واقتصاره على متن اللغة دون شروح كافية ، وغموض عبارته أحياناً وتداخل الضمائر بسبب حرصه على الايجاز والتكثيف واللغة الرمزية • وهذا ما جعل العلامة **المرتضى الزبيدي** يقوم بشرح القاموس المحيط ، واغنائه بالشواهد الكثيرة ، شعرية ونثرية ، والتعقيب على كل مادة بزيادة ما يستدركه منها على القاموس نفسه ، فضلا عما قد يصوّبه خلال المادة نفسها ، وسمى الزبيدي شرحه هذا : « **تاج العروس من جواهر القاموس** » ، وأصبح بذلك معجماً مستقلا يضم عشرة مجلدات كبيرة طبعت كاملة أول مرة سنة ١٣٠٦ هـ ، ثم طبعت ثانية بطريقة التصوير •

ويعاد طبع « التاج » مشكولا محققا في الكويت منذ سنة ١٩٦٥ م في تجزئة جديدة • وقد ظهر منه حتى اليوم (١٩٨٨ م) اربعة وعشرون جزءا • وهذه الأجزاء الاربعة والعشرون تقارب في محتواها ثلثي الكتاب في طبعته الكاملة •

أما القاموس المحيط فقد طبع وصور مرارا في مصر ولبنان ، منذ سنة ١٨٧٢ م في أربعة مجلدات(١) • وآخر طبعاته ، واجودها عناية وتحقيقا ، ظهرت في مجلد واحد انيق ، وصدرت عن « مؤسسة الرسالة » في بيروت سنة ١٩٨٦ م •

الترتيب بحسب أوائل الأصول

تقوم هذه الطريقة ـ كما أسلفنا ـ على ترتيب الأصول المجردة للكلمات ، في المعجم ، ترتيبا هجائيا على النسق المعروف حتى اليوم ، مع مراعاة أوائل تلك الأصول من جهة ، وما بعد هذه الأوائل ، على الترتيب ، من جهة أخرى •

وعلى هذا فان كلا من الأصلين « غرق » و « غضب » يذكر في باب الغين ، ولكن « غرق » يأتي قبل « غضب » لأن الراء قبل الضاد • كما أن « عبث » يذكر قبل « عبر » لأن الثاء تأتي قبل الراء في الترتيب الهجائي • فمن الواضح اذن أنه اذا اتفق الأصلان في الحرف الأول ، روعي الحرف الثاني منهما في الترتيب ، واذا اتفقا في الحرفين الأول والثاني ، روعي الثالث •

وهذا النوع من المعاجم مقسم الى ثمانية وعشرين بابا بعدد حروف الهجاء، من الهمزة الى الياء • ولا مكان للفصول هنا •

ويعد معجم « أساس البلاغة » للزمخشري (ـ ٥٣٨ هـ) أول معجم قديم تحققت فيه تلك الطريقة بأجلى مظاهرها على الوجه المكتمل الذي شرحناه آنفا • وقد سبقته أربعة معاجم مطبوعة رتبت موادها على الأوائل أيضا ،

---

(١) وفي عصرنا الحديث قام الطاهر أحمد الزاوي ، مفتي ليبيا ، باعادة ترتيب مواد القاموس المحيط على الأوائل بدلا من الأواخر ، وجعل عنوانه « ترتيب القاموس المحيط » وطبع أول مرة في مصر سنة ١٩٥٩ م ، كما طبع ثانية سنة ١٩٧٠ وصورت هذه الطبعة غير مرة ، ثم ان الزاوي نفسه اختصره في « مختار القاموس المحيط » •

ولكنها لم تلتزم بتلك الطريقة على الوجه الأمثل التزاماً كاملا ، مما جعل الرجوع اليها محفوفا بالمتاعب والعقبات ، على تفاوت في مداها بين معجم وآخر ، وهي(1) :

١ ــ كتاب الجيم : لأبي عمرو الشيباني (ــ ٢٠٦ هـ) وهو معاصر للخليل بن أحمد ، ومات بعده • وسمى معجمه « الجيم » ومعناه الديباج ، تشبيها لعمله بالديباج لحسنه • وهذا المعجم يسير على الترتيب الهجائي المعروف بحسب أوائل الكلمات بعد تجريدها من الزوائد ، ولكنه لا يراعي ثواني الأصول وثوالثها ، ولهذا نجد مواد حرف الهمزة تتوالى هكذا : « أوق ، ألب ، أفق ، أزح ، أنف ، أرب ، أخذ •• الخ » والصواب أن تكون على الشكل التالي : « أخذ ، أرب ، أزح ، أفق ، ألب ، أنف ، أوق » وهذا المعجم يقتصر على اثبات الألفاظ التي وردت في شعر شعراء حوالي ثمانين قبيلة عربية يكاد جل شعرهم يكون مجهولا ، ويعز تتبعه في المصادر التي بين أيدينا • كما أن هذه الكلمات تحمل شروحاً لا تنطوي عليها معاجمنا ، وتكاد تكون غريبة عليها • ولهذا فان كتاب الجيم يمكن تسميته معجما على سبيل التجوز والتوسع ، لأنه يهتم بالألفاظ الغريبة التي لا يكاد يعرفها غيره ، والتي تنسب الى قبائل معينة قديمة •

وقد طبع كتاب الجيم سنة ١٩٧٤ ــ ١٩٧٥ م في ثلاثة أجزاء ، ضمن منشورات مجمع اللغة العربية في القاهرة ، بتحقيق : ابراهيم الأبياري ، وعبد العليم الطحاوي ، وعبد الكريم العزباوي •

٢ ــ جمهرة اللغة : لابن دريد (ــ ٣٢١ هـ) : رتب مواده على الحروف الهجائية بحسب أوائل الأصول ، من حيث المبدأ • ولكن ابن دريد عني في الوقت نفسه بايراد تقاليب المادة في أول موضع تذكر فيه ، متأثراً في هذا الجانب وحده بطريقة الخليل صاحب « العين » ، مع تعديلات أخرى جعلت الرجوع الى الجمهرة لا يخلو من صعوبات • فهو اذا ذكر مادة « برح » في باب الباء وشرحها ، أورد بعدها مباشرة سائر تقاليبها وشرح مفرداتها أيضاً : « بحر ، ربح ، رحب ، حبر ، حرب » • فاذا وصل الى باب الحاء لم يذكر فيه مادتي « حبر » و « حرب » لأنه أوردهما في باب الباء مع مادة « بحر » • وفي باب الراء لا يذكر مادتي « ربح » و « رحب » لأن ذكرهما سبق في باب الباء أيضاً •

---

(1) اقتصرنا في التعريف بهذه المعاجم الأربعة على كلمة موجزة توضح طريقة كل منها بشكل عام ، دون الدخول في التفصيلات •

ثم ان ابن دريد قسم كل باب من أبواب معجمه الى فئات وأبواب أخرى جزئية ، مثل : باب الثنائي ، والثلاثي ، والنوادر ، واللفيف ، والرباعي ، والخماسي ، وما جاء على اوزان معينة ... الخ · وربما كان فقدان المنهجية في كتابه عائداً الى آن ابن دريد أملاه من حفظه · وفي هذه الطريقة من التأليف مزالق وعيوب كثيرة ·

طبع كتاب الجمهرة في حيدر آباد سنة ١٣٤٤ هـ في ثلاثة مجلدات ، وضم اليها مجلد رابع للفهارس أعده محمد السورتي والمستشرق كرنكو · ثم طبع الكتاب ثانية بطريقة التصوير ·

٣ ـ **مقاييس اللغة : لأحمد بن فارس** (ـ ٣٩٥ هـ) وهو مرتب على الأوائل · لكنه التزم بامرين اثنين يخرجانه عما ألفناه : فقد قسم كل باب من أبواب حروفه الى ثلاثة أقسام : ثنائي ، وثلاثي ، وما زاد على الثلاثي · ثم ان الحرف الثاني في كل مادة أصلية لم يكن يبدأ عنده من أول الحروف الهجائية ، بل من الحرف التالي لأول الكلمة حتى ينتهي الى آخر الحروف الهجائية ، ثم يرجع ثانية لاستيفاء الحروف السابقة للحرف الذي عقدت له المادة المطلوبة ·

طبع « مقاييس اللغة » في القاهرة في ستة أجزاء بتحقيق عبد السلام هارون سنة ١٣٦٦ هـ · ثم طبع ثانية سنة ١٣٨٩ هـ = ١٩٦٩ م · وأعيدت طباعته بعد ذلك أيضاً ، بطريقة التصوير ، في كل من مصر وايران ·

٤ ـ **مجمل اللغة : لأحمد بن فارس ، أيضاً** · وهو معجم موجز ، يهتم بايراد الألفاظ المأنوسة وينأى عن الوحشي المستنكر منها · وقد رتبه ابن فارس على الأوائل · وقد قسم الباب الى ثلاثة أقسام : ثنائي ، وثلاثي ، وما زاد على الثلاثي ، كما فعل في « المقاييس » ، وسرد ألفاظ المادة الواحدة تباعاً · كما أنه التزم هنا بالأمر الثاني الذي أوردناه في كلامنا على مقاييس اللغة ·

طبع « مجمل اللغة » طبعتين ظهرتا في زمن واحد تقريباً :

الأولى : حققها زهير عبد المحسن سلطان ، وطبعت في بيروت سنة ١٩٨٤ م في مجلدين كبيرين ·

والثانية : حققها هادي حسن حمودي ، ونشرها معهد المخطوطات العربية في الكويت سنة ١٩٨٥ م في خمسة أجزاء متوسطة الحجم ·



وامتدت السنوات بعد ابن فارس قرنا ونصف القرن ، ومؤلفو المعاجم المرتبة على الأوائل يطورون هذه الطريقة خطوة خطوة ، ويمهدون لنضجها واكتمالها في معاجم عامة أو متخصصة : كأحمد الهروي (ـ ٤٠١ هـ) وأبي المعالي البرمكي (ـ ٤١١) ، ومحمد بن أبي بكر الأصفهاني (ـ ٤٨١) والراغب الأصفهاني (ـ ٥٠٢) حتى جاء **الزمخشري** (ـ ٥٣٨) فكان معجمه « **أساس البلاغة** » أول معجم قديم تمثلت فيه تلك الطريقة المنطقية الواضحة ، والخالية من التعقيد والالتواء • وسار على خطاه مؤلفو المعاجم من بعده حتى يومنا هذا • وأصبحت هذه الطريقة ـ كما أسلفنا ـ هي المعوّل عليها في مختلف الميادين اللغوية وغير اللغوية •

وهذه أشهر المعاجم القديمة التي التزمت طريقة الترتيب الهجائي على الأوائل في صورتها المكتملة الناضجة :

١ ـ أساس البلاغة : للزمخشري (ـ ٥٣٨ هـ)
٢ ـ النهاية في غريب الحديث والأثر : لمجد الدين بن الأثير (ـ ٦٠٦هـ)
٣ ـ المغرب في ترتيب المعرب : لناصر الدين المطرزي (ـ ٦١٠ هـ)
٤ ـ المصباح المنير : للفيومي (ـ ٧٧٠ هـ) •

والطريقة العامة في استخراج الكلمة في هذا النوع من المعاجم هي نفسها التي ذكرناها سابقاً ، من حيث تجريد الكلمة من الزوائد ، وفك التضعيف ، ورد حرف العلة الى أصله ، ورد ما حُذف من الكلمة اليها •

ونتكلم الآن على اثنين من هذه المعاجم ، هما : أساس البلاغة للزمخشري ، والمُغرب للمطرزي •

أساس البلاغة : للزمخشري

ألفه العلامة **الزمخشري** ، محمود بن عمر « ـ ٥٣٨ هـ » صاحب المؤلفات القيمة في النحو ، واللغة ، والتفسير ، والحديث • أصله من « زمخشر » احدى قرى خوارزم • وتتلمذ لأفاضل العلماء ، وتقلّب في البلاد ، ولا سيما بغداد ومكة • وكان من أئمة الفكر العربي ، واسع العلم ، معتزلي الاتجاه • ومن كتبه : تفسير الكشاف ، والمفصّل في النحو ، والمستقصى في الأمثال •

• وكتابه « **أساس البلاغة** » من أقدم معاجم الألفاظ التي تمثلت فيها تلك الطريقة الهجائية السهلة • وقد قسمه الى ثمانية وعشرين باباً ، بعدد حروف الهجاء ، بدءاً من الهمزة الى الياء • ونال هذا المعجم حظوة بالغة لدى اللغويين ، كما عرف الباحثون والدارسون فضله الكبير ، وأهميته القصوى ، لما يتحلى به من مزايا وخصائص لا تتوافر في نظائره من المعاجم الأخرى •

وهذه الخصائص نجملها فيما يلي :

١ ـ انه يميز بين الحقيقة والمجاز في شرح معاني الألفاظ : فيذكر المعاني الحقيقيه لألفاظ المادة أولا ، ثم ينتقل الى ذكر المعاني المجازية • ومثال ذلك قوله في مادة « حلو » :

« حلا الشيءُ ، واحلولى ، واستحلاه ، واحلولاه • قال :

فلو كنت تُعطي حين تُسأل سامحت

لــك النفسُ واحلــولاك كلُّ خليـــل

وحلُوَت الفاكهةُ : نضجت •• وهو يحب الحلاويَّ •••

ومن المجاز : حَلِيَ فلان في صدري ، وفي عيني • قال :

فلم يحل في العينين بعدكِ منظر •••

وهو حلو اللقاء ، وحلو الكلام ، •• وجارية حلوة المنظر ، وحــلوة العينين » •

٢ ـ ويلاحظ في المثال السابق من مادة « حَلو » وغيرها أن الزمخشري لا يشرح معانيَ **الألفاظ** الا عند الضرورة ، كقوله : « حَلُوت الفاكهة : نضجت » • ولكنه يستعيض عن الشرح بايراد تلك **الألفاظ** في تراكيب مؤلفة ، وأمثلة فصيحة من الشعر والنثر تجعل معنى اللفظة واضحاً ، كما رأيت في قوله : « وهو حلو اللقاء ، وجارية حلوة المنظر » •

وهذه الطريقة بارعة ناجعة ، لأنها تيسر للقارىء الوصول الى معنى الكلمة وطريقة استعمالها في آن واحد ، وتجعل ذلك منه على حبل الذراع وتمنح اللفظ حياة وايحاء وظلا معبراً من خلال الجملة المركبة ، والفصيح المأثور من الكلام •

٣ ـ وهذا ما جعل الزمخشري يكثر من الشواهد الشعرية ، والأمثال والحكم ، والجمل الفصيحة التي يتخيرها من القرآن الكريم ، والحديث النبوي ، وعيون كلام الأدباء وعبارات المبدعين الذين يُقتدى بأساليبهم ويُحتذى على مثالهم ٠

وهذه الخصائص تجعل من « أساس البلاغة » معجماً فنياً أدبيا بلاغيا ، يغري بالمطالعة والاقتباس ويشد القارىء شداً ، لما فيه من متعة وفائدة ، الى جانب فائدته اللغوية ٠

غير أنه ـ على جلالة قدره ـ لم يستوعب جميع مفردات اللغة العربية ، ولا حاول مؤلفه ذلك ، لأنه ألف كتابه هذا لغرض بلاغي أسلوبي ، وهو التمييز بين المعاني الحقيقية والمعاني المجازية للألفاظ ، وبيان أوجه استعمالها ٠ وهذا ما جعله ضمن ذلك الاطار ، لا يكاد يتعداه ٠

يضاف الى ذلك أنه أهمل الألفاظ الغريبة أو النادرة ، وصب اهتمامه على ما هو مألوف من الألفاظ الثلاثية وما زيد عليها ، ومن ثمّ كان نصيب الأصول الرباعية فما فوقها قليلا عنده أو ضئيلا ٠

طبع « أساس البلاغة » مراراً ، وأجود طبعاته تلك التي نشرتها دار الكتب المصرية في مجلدين سنة ١٣٤١ هـ ٠ كما طبع في بيروت في مجلد واحد ضخم سنة ١٩٦٥ م ٠ ثم صدرت طبعات أخرى مصورة عن طبعتي مصر وبيروت أيضاً ٠

* ★ * ★ *

المُغرب : للمطرّزي

المطرزي : هو أبو الفتح ، ناصر الدين بن عبد السيد ، الخوارزمي الحنفي ، الشهير بالمطرّزي ، نسبة الى مّن يطرز الثياب ويرقمها ٠ وربما كان أحد أجداده يتعاطى ذلك ٠ وقد نشأ المطرزي في « الجرجانية » قصبة اقليم خوارزم ، وفيها تعلم ودرس على علمائها . طاف الأمصار ونال شهرة واسعة وانتفع به الناس انتفاعاً بعد أن وجدوا فيه اماماً حاذقا في الفقه والحديث ،

جامعاً لشتات العربية وعلومها وآدابها ، وتوفي بخوارزم سنة ٦١٠ هـ ٠

ومن مؤلفاته : المُغرب ، والمصباح في النحو ، وشرح مقامات الحريري ، والمُعرب في اللغة ٠

وكتابه « المُغرب » معجم لغوي متوسط يعنى بشرح غريب الألفاظ والمفردات في اللغة العربية ، كما يعنى بضبط أعلام الرجال والبلدان ، وقد وجه المطرزي عنايته في الشرح الى تلك الألفاظ اللغوية الواردة في كتب الفقه الحنفي ٠ وهو من هذه الناحية بمنزلة « المصباح المنير » للفيومي في عنايته بالألفاظ اللغوية الواردة في الفقه الشافعي ٠ فهذان الكتابان معجما لغة قبل كل شيء ، وليس موضوعهما تفسير اصطلاحات الفقه ٠

والمطرزي يحتج في كتابه بالآيات القرآنية ، والأحاديث النبوية ، وأقوال أئمة العربية ، حتى غدا كتاب « المغرب » أشبه بموسوعة ثقافية موجزة متنوعة الألوان ٠ وهو ـ على اختصاره واختصاصه ـ يدل على فضل المطرزي ، وسعة باعه في اللغة ، وقوة تحقيقه ٠ هذا الى أنه يضم مواد لا تجدها في لسان العرب ، ولا في تاج العروس ، وهما الموسوعتان العظيمتان في لغة العرب ٠

وقد استمد المطرزي مادة كتابه وشواهده من مصادر مختلفة ، فقهية ، ولغوية مثل « العين » و « جمهرة اللغة » و « تهذيب اللغة » و « الصحاح » و « أساس البلاغة » و « مقاييس اللغة » ، ومن كتب أخرى مثل : أدب الكاتب لابن قتيبة ، وحماسة أبي تمام ، وكتاب سيبويه ، وغيرها ٠

وقد كان « المغرب » نفسه مرجعاً لكثير مما ألف بعد المطرزي ، فنجد نقولا منه في المصباح المنير ، ومختار الصحاح للرازي ، وتاج العروس ٠٠

وكان المطرزي قد ألف قبله كتاب « **المُعرب في اللغة** » وهو كبير الحجم جداً ، ثم اختصره وهذبه ورتبه على حروف المعجم في كتابه الذي نتكلم عليه هنا ، واسمه الكامل : « **المُغرب في ترتيب المُعرب** » مضيفاً اليه زيادات استقاها من مصادر مختلفة ٠ وأوضح في مقدمة « المغرب » سبب تلك التسمية فقال :

« وترجمته بكتاب : المُغرب في ترتيب المُعرب ، لغرابة تصنيفه ، ورصانة ترصيفه ، ولقرابة بين الفرع والمنمى ، والنتيجة والمُنتمى » ٠

أما طريقة **المطرزي في** « **المُغرب** » فقد رتبه مجائياً على حسب أوائل الكلمات كأساس البلاغة • بعد تجريدها من الزوائد ، واعادتها الى أصولها المجردة • وجعل لمعجمه ذيلا يحوي كثيراً من ضوابط اللغة ، ومسائل النحو والصرف ، وحروف المعاني •

طبع كتاب « **المغرب** » أول مرة في حيدر آباد سنة ١٣٢٨ هـ في جزأين • ثم صدرت له طبعة جديدة بتحقيق : محمود فاخوري ، وعبد الحميد مختار ، وطبعت في حلب سنة ١٩٧٩ ـ ١٩٨٢ م في جزأين •

★ ★

وهذه أمثلة نجتزئها من كتاب المغرب تبين شيئاً من محتواه وطريقته في الشرح اللغوي :

(**جلد**) : « التجليد : من الأضداد ، بمعنى ازالة الجلد • ومنه : جلّد البعير ، اذا كشطه • وبمعنى وضعه • ومنه : جَورب مجلّد : وُضع الجلد على أعلاه وأسفله •

والجَلد : ضرب الجلد • ومنه : جلَده الجلاد • ورجل جَلد وجليد : غير بليد • والجلمد ، والجُلمود : الحجر المستدير • وميمه للالحاق » •

(**جلز**) : « الجِلواز ، عند الفقهاء : أمين القاضي ، أو الذي يسمى صاحب المجلس • وفي اللّغة : الشرطي ، والجمع جلاويز ، وجلاوزة » •

(**جنس**) : « الجنس : عن أئمة اللغة : الضرب من كل شيء ، والجمع أجناس • وهو أعم من النوع • يقال : « الحيوان جنس والانسان نوع » ، لأنه أخص من قولنا : حيوان ، وان كان جنساً بالنسبة الى ما تحته • والمتكلمون على العكس يقولون : الألوان نوع ، والسواد جنس •

ويقال : فلان يجانس هذا ، أي يُشاكله • وفلان يجانس البهائم ، ولا يجانس الناس ، اذا لم يكن له تمييز ولا عقل • قاله الخليل •

وعن الأصمعي أن هذا الاستعمال مولد • والذي أفاد أهلُ اللغة بالجنس أن ما شاركه فيما لأجله يستحق الاسمَ كان هو مع ذاك ضرباً واحداً • والأول مذهب الفقهاء ••• » •

معاجم الألفاظ « الحديثة »

تمهيـــــــد

فاذا وصلنا الى العصر الحديث لاحظنا ازدهار التأليف المعجمي ، وكثرة عدد معاجم **الألفاظ** ، وافتنان أصحابها في محاولات التلاؤم وطبيعة هذا العصر وجوانبه العلمية والفنية والحضارية ، ومحاولتهم تجنب المزالق والعثرات التي أخذت على المعاجم القديمة ، ولا سيما فقدان الترتيب المحكم فيما بـــين مفردات كل مادة ، وترك بعض الكلمات بلا شرح ، اكتفاء بشهرتها لدى الناس ، وايراد ألفاظ غير معجمية ، كأسماء البلدان ، وأعلام الأشخاص ، وما الى ذلك ٠

وكان اللغويون اللبنانيون سباقين الى تأليف المعاجم الحديثة منذ أواسط القرن التاسع عشر للميلاد ، واستمرت معاجمهم آخذة طريقها الى حسن التنظيم ، وجودة التنسيق ، ويسر التناول ، وتدوين جملة صالحة من الكلمات المستحدثة ، والمصطلحات الجديدة في مختلف الميادين ، على تفاوت في مدى الاستيعاب والشمول ٠ ولكن هذه المعاجم لا يخلو بعضها من عثرات لغوية وفنية وعلمية ، ومآخذ تتصل بالتاريخ والتراث ٠ الا أنه يمكن القول : ان تلك العثرات والمآخذ بدأت تتلاشى وتختفي تدريجيا ، سواء أكان ذلك فيما يؤلف حديثاً أم كان فيما يعاد فيه النظر مما ألف قبلا ٠

وقد هجر أصحاب هذه المعاجم الحديثة طرائق الخليل ، والجوهري ، وابن دريد ، وابن فارس ، ووجدوا في طريقة « أساس البلاغة » للزمخشري ، والمغرب ، والمصباح المنير ، سبيلا ممهداً لا عُسر فيه ، فالتزموا تلك الطريقة ٠

وكان **بطرس البستاني** « ــ ١٨٨٣م » أسبق اللغويين المعاصرين الى تأليف معجم حديث سماه « **محيط المحيط** » ثم اختصره في معجم آخر سماه « **قطر المحيط** » ٠

وتبعه **سعيد الشرتوني** « ــ ١٩١٢ » في معجمه « **أقرب الموارد** » الذي يقع في ثلاثة مجلدات ٠ وتوالت بعد البستاني والشرتوني معاجم عديدة مثل : **معجم الطالب : لجرجس همام الشويري** « ــ ١٩٢١ م » **والمعتمد : لجرجي شاهين عطية** « ــ ١٩٤٦ م » وقد طبع معجمه هذا سنة ١٩٢٧ م ٠ و « **البستان** »

ومختصره « **فاكهة البستان** » وهما **لعبد الله البستاني** « ـ ١٩٣٠ م » و «**المنجد**» الذي ألفه **لويس معلوف** « ـ ١٩٤٦ م » واختصروه بعد ذلك في « **منجد الطلاب** » • وأخيراً ظهر معجم « **متن اللغة** » بمجلداته الخمسة « **لأحمد رضا العاملي** « ـ ١٩٥٣ م » • وكان قد سبقه الى الظهور جزء من « **المعجم** » **لعبد الله العلايلي** الذي طبع سنة ١٩٥٤ م ويضم مواد من حرف الهمزة فقط : « أ ـ أيس » • ثم توقف بعد ذلك • ولو قدر له أن يكتمل لكان أفضل معجم مطول حديث يمكن الركون اليه ، والوثوق به •

وفي سورية صدر معجم مختصر سنة ١٩٤٧ م باسم « **المعجم المدرسي** » **لزين العابدين التونسي الدمشقي** ، وهو لطيف الحجم ، سهل المأخذ ، خال من الحشو • كما صدر أخيراً معجم ثان يحمل الاسم نفسه « **المعجم المدرسي** » في مجلد واحد بلغت صفحاته ١١٨٣ ، ونشرته وزارة التربية ، وطبع في دمشق ١٤٠٦ هـ ـ ١٩٨٥ م • وقد ألفه **محمد خير أبو حرب** ، وشاركه آخرون في التأليف ، والمراجعة ، والتدقيق اللغوي(١) ••• « وقد روعي في هذا المعجم أن يكون واضح الأسلوب ، محكم التبويب ، ملتزماً اللغة الفصيحة في عبارته ، مؤثراً الدقة والوضوح في شرح ألفاظه أو تعريفها •• موسعاً صدره للجديد من لغة العلم والأدب وألفاظ الحضارة »(٢) •

أما في مصر فقد قام مجمع اللغة العربية بشيء من النشاط اللغوي والمسعى الحميد ، فأخرج للناس سنة ١٩٦٠ المعجم الوسيط ، ثم شرع أعضاء ذلك المجمع في اعداد معجم ضخم سموه « المعجم الكبير » الذي نشر منه المجلد الأول ، في صورته النهائية ، سنة ١٩٧٠ م ويضم حرف الهمزة ، وأعقبه المجلد الثاني سنة ١٩٨٢ ويشتمل على المواد المبدوءة بحرف الباء • وهم يزمعون تخصيص كل مجلد بحرف • واذا سار الامر على ما ترى ، فسوف تطول قصته جداً ، اذا لاحظنا قضية تأليفه واعداد مواده •

وفي العراق بدىء بنشر معجم « المساعد » لأنستانس الكرملي «ـ١٩٤٧م»،

«١» ذكرت أسماؤهم في الصفحة الأخيرة من « المعجم المدرسي » الذي امتد العمل فيه بضعة عشر عاما •

(٢) تجدر الاشارة هنا الى أن ثمة معجما أخرجه أحمد قبش في دمشق سنة ١٩٨٥ في مجلد واحد باسم « المعجم القيصل » الا أنه حذا فيه حذو « القاموس المحيط » في مراعاة أواخر الأصول ، وترتيبها بحسب الباب والفصل •

وقد طبع جزؤه الأول بحجم كبير سنة ١٩٧٢ ويضم « أ ـ اليوس » بتحقيق كوركيس عواد ، وعبد الحميد العلوجي • ثم تبعه الجزء الثاني سنة ١٩٧٦م وتبدأ مواده بـ « أم » وتنتهي بـ « بشيزج » • وهذا المعجم يوجه عنايته الى استدراك ما فات المعاجم العربية القديمة •

* * * *

ونتكلم ، فيما يلي ، على معجمين اثنين من المعاجم الحديثة ، هما : المنجد، والمعجم الوسيط •



الفه أول مرة **لويس المعلوف** المتوفى سنة ١٩٤٦ م ، وصدرت طبعتـه الأولى سنة ١٩٠٨ م في بيروت ••

وهو معجم حديث متوسط الحجم ، كان الهدف من تأليفه تلبية الحاجة الى معجم مدرسي موسع يفيد الطلاب ، ويعين المتأدب الناشيء ، ويكون قريب المأخذ ، ليس بالمخل المعوز ، ولا بالطويل الممل •

وقد اعتمد فيـه المؤلف على أمهـات الكتب اللغوية ، قديمها وحديثها : كالأساس ، والمصباح ، ومختار الصحاح ، واللسان ، والقاموس المحيط ، ومحيط المحيط ، وأقرب الموارد •• فجاء معجمه خالياً من فضول القول ، والاستطرادات ، مكثف المادة ، غزيرها ••

وقد توالت طبعات « المنجد » في حياة مؤلفه وبعد مماته • وكـان المشرفون عليه قد ألحقوا بطبعته الخامسة عشرة ١٩٥٦ م **معجماً آخر للأدب والعلوم ، والمعارف المختلفة ، قام باعداده فرديناند توتل(١)** ، وكان أكثر اعتماده فيه على ما ضمته الموسوعات الأجنبية ، وهذا ما جعل قلمه يزل في مواضع لا يحصيها العد ، بعضها يتصل بالأعلام ضبطاً ورسماً ، وبعضها يتعلق بالمواد المدونة نفسها •

---

(١) طبع هذا المعجم مع « المنجد » في مجلد واحد • كما طبع في بعض السنين وحده منفصلا ، لسهولة التناول •

وخلال السنوات التي تعاقبت على طبع « المنجد » بقسميه ، **تناوله عدد من الباحثين العرب بالنقد** ، وكشفوا ما فيه من مآخذ ، منها تأثره بآراء بعض المستشرقين وغيرهم ممن يفتقرون الى سلامة الطوية ، في أمور تتصل باللغة والتراث معاً ، وانطواؤه على كثير من الكلمات العامية والمولدة ٠

وقد اهتم القائمون على « المنجد » بتلك الملاحظات والنقود ، وسعوا الى تداركها وتلافيها حتى يكون خالياً من أي وهم أو مأخذ وذلك باشراك العشرات من ذوي الاختصاص اللغوي والفكري والفني ، الذين صححوه وأدخلوا عليه تحسينات كبيرة خلال تلك السنوات ، كما زادوا فيه كثيراً من الألفاظ الدخيلة ، والاصطلاحات العلمية والفنية ، والمفردات المستحدثة في مختلف ميادين المعرفة ، واتسع انتشاره ، وتعددت طبعاته ، حتى ظهرت طبعته الرابعة والعشرون سنة ١٩٨٠ م في حلة جديدة ، ليس لها من ماضيها الا الاسم وبعض الوشم ، أما النسيج بلحمته وسداه فقد تعاورته أيد كثيرة ، بعضها معروف ، وبعضها الآخر مجهول ، حتى فقد « المنجد » طابعه السابق المألوف ، ولو رآه صاحبه نفسه لأنكره ، ولظن أنه لمؤلف آخر ٠ بل ان ناشريه أيقنوا ذلك ، فأسقطوا اسم مؤلفه ، وتركوا العنوان مغفلا منه(١) ٠

ويمتاز « المنجد » اللغوي ، في طبعته الأخيرة ، بالخصائص التالية ، ومعظمها متوافر في الطبعات السابقة أيضاً :

١ ــ رُتبت فيه مفردات كل مادة ترتيباً محكماً يسهل العثور على الكلمة المنشودة ، بلا عناء ، من حيث البدء بالفعل المجرد ، فالمزيد ، فبقية ألفاظ المادة من الأسماء الجامدة والمشتقة ٠ وجعلت كل « كلمة أم » باللون الاحمر ، أصلية كانت أو مشتقة ، تسهيلا لاستعمال الكتاب ، وضناً بوقت القارىء ٠

٢ ــ ولاحظ القائمون على أمر « المنجد » أن للأصل الثلاثي والرباعي معاني متعددة ، منها ما يتفرع بعضه على بعض ، ومنها ما يختلف بعضه عن

---

(١) ذكرنا هذا كله لنعرف القارىء بما طرأ على « المنجد » من تغيير وتبديل بعد موت مؤلفه من جهة ، ولكثرة ما في أيدي الناس من طبعاته المختلفة من جهة أخرى ، حتى يكون مقتنوه على بينة من أمر ذلك الاختلاف بين الطبعات المتداولة التي قاربت الثلاثين حتى اليوم (١٩٨٨) ما بين طبع وتصوير ٠

بعض ، فرتبوا الكتاب ـ في طبعته الجديدة ـ وفقاً للمعاني ضمن المواد نفسها ، بحيث قسمت كل مادة الى فصائل مختلفة ، ومجموعات متجانسة · واصطلحوا على أن وجود نجم صغير (★) بعد الكلمة يشير الى أن هذه الكلمة لها ـ في فصيلة أخرى من المادة نفسها ـ معنى آخر مختلف ·

٣ ـ واتخذت في المنجد رموز واصطلاحات خاصة ، توخياً للاختصار وتجنباً للتكرار ، نذكر هنا بعضها :

فا : تعني اسم الفاعل

مفع : تعني اسم المفعول

ج : تعني الجمع

جج : تعني جمع الجمع

مص : تعني المصدر

م : تعني المؤنث

ه : تعني المفعول به

ز : تعني زراعة

فلك : تعني علم الفلك

ن : تعني علم النبات

فـج : تعني الفنون الجميلة

|| : هذه العلامة تقوم مقام الكلمة المفسَّرة ، عند تعدد معانيها ، فتغني عن ذكرها ثانية وثالثة ·· مثل : (العين : الباصرة || الاصابة في العين || الانسان || السيد ··)

ـ : هذا الخُطيط يقوم مقام الكلمة المفسَّرة اذا كانت فعلا ، فهو يغني عن اعادتها ، مثل : (أشكل الأمر : التبس || و ـ الكتاب : قيده بالحركات) ·

ـ : لبيان أن عين المضارع مفتوحة

ـِـ : لبيان أن عين المضارع مكسورة
ـُـ : لبيان أن عين المضارع مضمومة
ـُِـ :-لبيان أن عين المضارع يجوز فيها الضم والكسر •

٤ ـ حوى صوراً ورسوماً مختلفة يزيد عددها على الألف ، ولوحات ملونة تزيد على الأربعين ، غايتها التوضيح والتعريف ، وتثبيت المعاني والدلالات في الأذهان •

٥ ـ قدم له المؤلف ، منذ طبعته الأولى ، بذكر بعض الأحكام الصرفية القياسية ، يستعين بها القارىء : كمعاني صيغ الزيادة في الأفعال ، والمذكر والمؤنث ، والمثنى ، والجمع ، والنسبة ، والتصغير ، وصوغ المشتقات ، وبعض قواعد الاملاء ولا سيما كتابة الهمزة في وسط الكلمة وآخرها •

٦ ـ وفي آخره ملحق عنوانه « فرائد الأدب » كان المؤلف قد وضعه أيضا ، وهذا الباب يضم عدداً وافراً من الأمثال العربية والحكم السائرة ، مشروحة ومرتبة ترتيباً هجائياً بحسب الكلمة الأولى من المثل أو الحكمة • ويقع هذا الملحق في ست وأربعين صفحة •

٧ ـ ويأتي بعد ذلك « المنجد في الأعلام » الذي أعد فرديناند توتل طبعته الأولى سنة ١٩٥٦ • وهو أشبه بدائرة معارف مختصرة تضم معلومات غنية عن الشرق والعالم العربي والحضارة الاسلامية ، وأهم أحداث العالم ، وتراجم موجزة لأعلام الشرق والغرب وأهم المدن فيهما •• وهو يضم (١٠٦٠٠) مادة ، الى جانب مئات اللوحات الملونة ، والرسوم المختلفة ، والخرائط الجغرافية ، وما الى ذلك • وقد رتبت مواده على حروف الهجاء بحسب الأوائل •

المعجم الوسيط

قام بعبء نشر هذا المعجم : مجمع اللغة العربية في القاهرة ، الذي وكل وضعه الى لجنة من أعضائه ، واستمر العمل فيه عشرين عاما ١٩٤٠ ـ ١٩٦٠ حين ظهرت طبعته الأولى في مجلدين ضخمين ، وقام باخراجه وتولى أمر تنسيقه ومراجعته أربعة من أعضاء المجمع وهم : ابراهيم مصطفى ،

وأحمد حسن الزيات ، وحامد عبد القادر ، ومحمد علي النجار • وأشرف على طبعه عبد السلام هارون • وكان الهدف من هذا العمل « وضع معجم يقدم الى القارىء المثقف ما يحتاج اليه من مواد لغوية ، في أسلوب واضح ، قريب المأخذ ، سهل التناول » • وبذلك « تهيأ لهذا المعجم ما لم يتهيأ لغيره من وسائل التجديد ، واجتمع فيه ما لم يجتمع في غيره من خصائص ومزايا » وهو ــ بالقياس الى ما سبقه من معاجم حديثة ــ « أوضح ، وأدق ، وأضبط ، وأحكم منهجا ، وأحدث طريقة • وهو فوق كل هذا مجدد ومعاصر ، يضع ألفاظ القرن العشرين الى جانب ألفاظ الجاهلية وصدر الاسلام »(١) فجاء مشتملا على نحو ثلاثين ألف مادة ، ومليون كلمة ، وستمائة صورة •

ونذكر هنا اهم الخصائص والمزايا التي توافرت للمعجم الوسيط :

١ ــ أدخل في متنه « ما دعت الضرورة الى ادخاله من الألفاظ المولدة أو المحدثة ، أو المعربة ، أو الدخيلة ، التي أقرها مجمع اللغة العربية وارتضاها الأدباء فتحركت بها ألسنتهم ، وجرت بها أقلامهم » • فهو اذا يسجل مظاهر التطور الحضاري والعمراني ، ويضع بين أيدي الباحثين ثروة لغوية ثمينة ، بعد صقلها بالصقال العربي ، وتطويعها للتداول والاستعمال ، مثل :

ــ « العميد » : السيد المعتمد عليه في الأمور • ومدير الكلية في الجامعة • ورتبة من رتب الجيش والشرطة فوق العقيد ودون اللواء • ج عُمداء

ــ « بسطِرمة » : لحم فخذ يعالج بالثوم والتوابل ، ثم يُضغط ويقدّد •

ــ « بسكويت » : أقراص هشة تُتخذ من دقيق ، وبيض ، وسكر ، وقليل من الدهن •

٢ ــ وعنيت لجنة المعجم باثبات الحي المأنوس من الكلمات والصيغ ، وخصوصاً ما يشعر الطالب والمترجم بالحاجة اليه ، مع مراعاة الدقة والوضوح في شرح الألفاظ أو تعريفها •

٣ ــ وجاء في المقدمة أن اللجنة « أهملت كثيراً من الألفاظ الحوشية الجافية ، أو التي هجرها الاستعمال ، لعدم الحاجة اليها ، أو قلة الفائدة منها ،

---

(١) العبارات المحصورة بين الأهلة مأخوذة من مقدمة المعجم الوسيط •

كبعض أسماء الابل ، وصفاتها ، وأدوائها ، وطرق علاجها ، وأهملت كذلك الألفاظ التي أجمعت المعاجم على شرحها بعبارات تكاد تكون واحدة ، شرحا غامضاً مقتضبا ، لا يبين حقائقها ، ولا يقرب معانيها » ٠

ومع ذلك لم تلتزم اللجنة بهذا الشرط ، فذكرت كثيراً من الألفاظ الحوشية أو المهجورة ٠ ومن أمثلة ذلك :

ـ في مادة « هـ ل ع » : « ناقة هلواع : سريعة ، شديدة ، ٠٠ » الخ ٠

ـ في مادة « درص » : « درصت الناقة ونحوها : تكسرت أسنانها كبراً فهي درصاء » ٠

ـ في مادة « درف » : « درفس : ركب الدرفس من الابل ٠ والدرفاس : الضخم العظيم من الانسان والحيوان ٠٠ ، والدرفس : الدرفاس ، والناقة السهلة السير ، والكثيرة لحم الجَنْبين ٠ ج درافس » ٠

٤ ـ « واستعانت اللجنة في شرحها للألفاظ بالنصوص والمعاجم التي يعتمد عليها ، وعززته بالاستشهاد بالآيات القرآنية ، والأحاديث النبوية ، والأمثال العربية ، والتراكيب اللغوية المأثورة عن فصحاء الكتاب والشعراء » ٠

٥ ـ قد يكون للفعل الثلاثي الواحد عدة أبواب ومصادر متحدة المعاني ، مثل (نبع) ، اذ يقال :

ـ نبع الماء ينبُع (من الباب الأول) نبعاً ونُبوعاً ونبعانا ٠

ـ نبع الماء ينبِع (من الباب الثاني) نبعاً ونبوعا ونبعانا ٠

ـ نبع الماء ينبَع (من الباب الثالث) نبعاً ونبوعاً ونبعانا ٠

وفي هذه الحالة تلجأ اللجنة الى الاختصار في ذكر أبواب الفعل ، وتكتفي بذكر باب واحد ، وهو « الباب الأول » ، كما تهمل المصدر الاخير « النبعان » ، لقلة استعماله وعدم شهرته ٠

أما اذا اختلف معنى الفعل باختلاف الباب ، فتذكر الأبواب كلها ، كما في الفعل (قدم) ، وكذا اذا اختلف معنى المصدر باختلاف صيغه فانها تثبت الصيغ كلها ، مثل : « ثبات ، وثبوت » و « دعوة ، ودعاء ، ودعاية » ٠ وكذلك الحال في الجموع ٠٠ الخ ٠

٦ ــ وفي مجال التعريف بالأعلام المختلفة حاولت اللجنة تجنب ذلك والاقتصار على اللغة قديمها وحديثها ، ومع ذلك قد يذكر من الأعلام ما تدعو الضرورة الى التعريف به في اقتضاب وايجاز ، مثل : تأبط شراً ، والاخشيد ، والارماد ، والأناضول ، والقُلزُم ، وايلياء ••• الخ •

٧ ــ وفي كل مادة من مواد المعجم الوسيط قدمت الأفعال على الأسماء ، والمجرد على المزيد من الأفعال ، والفعل اللازم على الفعل المتعدي ، كما قُدم المعنى الحسي على المعنى العقلي ، والحقيقي على المجازي •

٧ ــ وهناك رموز استعملت في هذا المعجم ، طلباً للاختصار ، مثل :

« ج » : لبيان الجمع

« ـَـِـ » : لبيان ضبط عين المضارع بالحركة التي توضع فوق الخُطيط أو تحته •

« ~ » : للدلالة على تكرار الكلمة لمعنى جديد •

« مو » : للمولد ، وهو اللفظ الذي استعمله الناس قديماً بعد عصر الرواية ، مثل : العتال ، والعيار الناري ، وقِطاع الدائرة ، والقِطاع الصناعي •• (بكسر القاف وتخفيف الطاء) ، وكقولهم : (ترجمة فلان) بمعنى سيرته وحياته •

« مع » : للمعرب ، وهو اللفظ الأجنبي الذي غيره العرب بالنقص ، أو الزيادة ، أو القلب ، نحو : الطنجرة ، والفلسفة ، والفنجان ، والموسيقار ، والفولاذ ••••

« د » : للدخيل ، وهو اللفظ الأجنبي الذي دخل العربية دون تغيير ، كالأكسيجين ، والسيجارة ، والتليفون • وكذا ما يشتق منه كقولهم : بستر اللبن أي عقمه •••

« مج » : للفظ الذي أقره مجمع اللغة العربية ، مثل : الرأسمالية ، واللّغم (للعلبة المحشوة بمواد متفجرة) ، والتعريفة (للقائمة التي تحدد اثمان السلع ورسوم النقل) ••

« محدثة » : للكلمة التي استعملها المحدثون في العصر الحديث ، وشاعت

في لغة الحياة العامة ، مثل : المُشير (من بلغ أعلى رتبة في الجيش) ، والعبوّة (مقدار ما يملأ قارورة ونحوها) ، وعجلة القيادة (التي يوجه بها السائق السيارة ونحوها) ...

ظهرت الطبعة الأولى من المعجم الوسيط سنة ١٣٨٠ هـ = ١٩٦٠ م في جزأين كبيرين بلغ عدد صفحاتهما ١٠٨١ ثم **أعاد مجمع اللغة العربية طبعه ثانية** سنة ١٣٩٢ هـ = ١٩٧٢ م بعد أن راجعت طبعته الأولى لجنة جديدة ، فسدت ما فيه من ثغرات ، وعدلت بعض مواده وشروحه اللغوية ، وأضافت اليه طائفة من أمهات المصطلحات العلمية وألفاظ الحضارة . وبذلك فقدت الطبعة الأولى كثيراً من قيمتها العلمية . ومع ذلك ، فقد تسرعت دور النشر « التجارية » الى تصوير كلتا الطبعتين ، بلا تمييز بينهما . **ثم نشر مجمع اللغة الطبعة الثالثة للمعجم الوسيط** سنة ١٤٠٥ هـ = ١٩٨٥ م مع تعديلات وزيادات أخرى على الطبعتين السابقتين(١) .

*

ومنذ أوائل عشر الستين من هذا القرن بدأت تظهر في لبنان دعوة الى اهمال الأصول المجردة ، في تاليف المعاجم العربية ، والى ترتيب الكلمات والمفردات اللغوية ترتيباً هجائياً على حسب نطقها ، دون تجريدها من الزوائد، أو العودة الى أصولها . فتذكر مثلا كلمة « استرسال » في باب الهمزة ، وكلمة « تَراسل » في باب التاء ، و « رسول » في باب الراء ، و « مراسلة » في باب الميم — على طريقة المعاجم الأجنبية — مع أن هذه الكلمات الأربع : « استرسال ، تراسل ، رسول ، مراسلة » تعود جميعاً الى أصل ثلاثي واحد ، وهو « رسل » .

واخذت هذه الدعوة طريقها الى الظهور والانتشار ، على استحياء وترجح بين الاقدام والاحجام ، لأنها لم تلق ترحيباً كثيراً لدى جمهرة الأدباء وذوي الاختصاص ، من لغويين وغيرهم ، الذين رأوا في هذه الطريقة تمزيقاً لشمل الألفاظ العربية التي تنتمي كل أسرة منها الى أصل واحد ، أو مادة واحدة ، فتغدو أشلاء مبعثرة ، لا نسب بينها ولا ترابط ، وبذلك تفقد اللغة العربية ميزة من أهم ميزاتها ، وهي الاشتقاق .

---

(١) وكان مجمع اللغة العربية في مصر قد أصدر سنة ١٩٨٠ م معجما أصغر من المعجم الوسيط يلائم صغار الناشئين ، وسماه « المعجم الوجيز » في مجلد واحد . وسلك فيه السنة نفسها التي سلكها في اخراج المعجم الوسيط .

وهذه الطريقة اذا اقتضها طبيعة اللغات الأجنبية ـ التي لا تقوم على الاشتقاق ولا تُعنى به ـ فانها تجافي لغتنا العربية · ومع ذلك فقد لقيت تلك الدعوة صدى مقبولا يتجاوب واياها ، ووسعت صدور نفر من المعاصرين، ندبوا أنفسهم الى تصنيف معاجم رتبت كلماتها فرادى ، على حسب نُطقها · ولكن أولئك المصنفين لم يلتزموا بتلك الطريقة التزاماً تاماً ، بل بقوا مشدودين الى التراث بخيط دقيق ، وكأنهم أيقنوا انه لا غنى عن هذه الوصلة بين الماضي والحاضر ، ولا محيد عن شيء من القواعد الموروثة ·

من ذلك مثلاً انك تجد فعل « انتبه » في باب الهمزة ، كما هو منتظر ، ولكن اسم الفاعل « منتبه » لا يذكر في موضعه من باب الميم · والمصدر « انتباه » لا يذكر أيضا في موضعه من باب الهمزة ، اكتفاء بذكره مع الفعل نفسه ، أو ثقة بمعرفة القارىء له ·

ومن ذلك أيضا أن بعض مصنفي تلك المعاجم رغبوا في المحافظة على العلاقة بين الكلمة وأصلها ، فوضعوا أمام معظم الكلمات المزيدة ـ ولا سيما المعتلة ـ أصولها المجردة ، تسهيلا لمن يريد العودة الى الأصل المجرد في المعاجم القديمة ، أو في المعاجم التي تقوم على رد كل لفظ الى أصله المجرد ، مثل : الأجذم (ج ذ م) ، الاحصاء (ح ص ي) ، اصطف (ص ف ف) ، اصطفى (ص ف و) ·· وهي فكرة جيدة تحققت جلية في معجم « الرائد » ·

ونأتي الآن على ذكر ما وصل اليه علمنا ، واطلعنا عليه من تلك المعاجم ، بحسب تاريخ ظهورها ، وكلها لبنانية ما عدا واحداً ظهر في تونس :

أ ـ **المرجع** : معجم وسيط ، ألفه **عبد الله العلايلي** · وظهر جزؤه الأول في بيروت سنة ١٩٦٣ م · ويتضمن أبواب : (الهمزة ، والباء ، والتاء ، والثاء) وقسماً من (باب الجيم) حتى مادة « جخدل » · وكان المأمول أن يكتمل هذا المعجم في ثلاثة أجزاء ، الا أن طبعه توقف ·

٢ ـ **الرائد** : **لجبران مسعود** · طبع كاملا في بيروت أول مرة سنة ١٩٦٤ ـ ١٩٦٥ م في مجلد واحد بلغت صفحاته ١٦٣٧ صفحة · ثم توالت طبعاته بعد ذلك ، وجُعل في مجلدين اثنين · وأصدر مؤلفه مختصراً له سماه « رائد الطلاب » على الطريقة نفسها ·

٣ ـ **المنجد الأبجدي** : وركيزته التي قام عليها أصلا هي « المنجد » الذي ألفه لويس المعلوف ، وظهرت طبعته الأولى في بيروت عام ١٩٦٧ م ·

٤ ـ **المنجد الاعدادي** : مختصر من « المنجد الأبجدي » ، مع حذف الألفاظ القديمة أو القليلة الاستعمال · ظهرت طبعته الأولى في بيروت سنة ١٩٦٩ م ، ثم طبع طبعتين أخريين ·

٥ ـ **لاروس ، المعجم العربي الحديث** : ألفه **الدكتور خليل الجر** (اللبناني) ، بمعاونة اثنين من زملائه · ونشرته مكتبة لاروس في باريس سنة ١٩٧٣ م ، ويقع في ١٣٠٧ صفحات ، وله طبعتان : خاصة ، وشعبية ·

٦ ـ **القاموس الجديد للطلاب** : وهو معجم مدرسي ، ألفه ثلاثة من التونسيين ، وهم : **علي بن هادية ، وبلحسن البليش ، والجيلاني بن الحاج يحيى** · وظهرت طبعته الأولى سنة ١٩٧٩ م في ١٥٠٥ صفحات ·

*

ومن النّصفة في هذا المقام ـ ونحن نتحدث عن المعاجم الحديثة ـ أن ننوه بما بذله بعض المستشرقين من جهود خيرة في ميدان التأليف المعجمي ، وفطانتهم الى أمور فاتت المؤلفين العرب ، وان يكن أولئك المستشرقون قد مزجوا في معاجمهم بين العربية والانكليزية ، أو بينها وبين الفرنسية · وأشهر ما وصل الينا من تواليفهم :

١ ـ **مد القاموس** : وهو معجم ضخم يقع في ثمانية مجلدات ، رتبت مواده على طريقة الأساس والمصباح ، وشرحت باللغة الانكليزية التي يتخللها بعض المفردات والشواهد والنصوص باللغة العربية ·

وقد ألفه المستشرق الانكليزي « **ادوار لين** Edward. W. Lane » المتوفى سنة ١٨٧٦ م · واعتمد فيه على معاجم وكتب لغوية كثيرة ، مخطوطة ومطبوعة · وبدىء بطبعه سنة ١٨٦٣ م ، وتم طبع خمسة أجزاء منه في حياة مؤلفه ، ثم أكمله حفيد أخته « **ستانلي لين بول** Stanh Lane Poole » المتوفى سنة ١٩٤١ م في المجلدات الثلاثة الباقية معتمداً على مسودات مؤلفه · ثم صورت المجلدات الثمانية الأخرى في طبعة ثانية صدرت في بيروت سنة ١٩٦٨ م ·

٢ ـ **تكملة المعاجم العربية** : ألفه المستشرق الهولندي (**دوزي** Dozi) المتوفى سنة ١٨٨٣ م · ونشره بين سنتي ١٨٧٧ ـ ١٨٨١ م في مجلدين ضخمين ، وضمنه الألفاظ التي لم تذكرها المعاجم العربية غالباً ، مرتبة

بحسب أوائل أصولها المجردة ، ومشروحة باللغة الفرنسية • ويتخلل الشروح بعض المفردات والتعابير العربية محالة الى مصادرها •

٣ ـ **ذيل المعاجم العربية** : ألفه المستشرق الفرنسي « **فانيان** Fagnan » المتوفى سنة ١٩٣١ م • وهو في مجلد واحد مختصر • ويمكن أن يعد تكملة لمعجم دوزي •

٤ ـ **معجم فيشر : ومؤلفه** « **فيشر** » مستشرق ألماني أمضى في عمله هذا زهاء أربعين عاماً ، وحالت وفاته دون انجاز ذلك المعجم الذي يعنى بتحديد عصر كل لفظة وتطور معانيها خلال العصور المختلفة • وقد نشر مجمع اللغة العربية في القاهرة جزءاً من هذا المعجم سنة ١٩٦٧ م من أول حرف الهمزة الى « ابد » ويقال ان العمل توقف في هذا الكتاب بسبب فقدان قسم كبير من مواده ومسوداته خلال تنقل مؤلفه بين ألمانيا ومصر ، أو بعد وفاته في أعقاب الحرب العالمية الثانية ١٩٤٩ م •

* *

هذا ، وكنا قد لاحظنا خلال الكلام على المعاجم العربية القديمة المرتبة على الأواخر كالصحاح واللسان والقاموس **ظهور بدعة جديدة في العصر الحديث** في ميدان نشر تلك الكتب اللغوية وهي اللجوء الى قلب نظام بعض المعاجم التي رتبت موادها بحسب الأواخر ، وترتيبها ثانية بحسب الأوائل •

وقد بدأ هذه المحاولة في مصر سنة ١٩٠٥ م محمود خاطر ، فبدل ترتيب « مختار الصحاح » الى أوائل المواد • وتبعه الطاهر أحمد الزاوي الليبي في « ترتيب القاموس المحيط » الذي طبع أول مرة سنة ١٩٥٩ م ، ثم اختصره الزاوي نفسه في « مختار القاموس المحيط » وطبع سنة ١٩٦٤ م •

ثم قام نديم مرعشلي ويوسف الخياط باعادة ترتيب « لسان العرب » على الأوائل ، وسميا الكتاب « لسان العرب المحيط » (بيروت ١٩٧٠ م) والحقا به المصطلحات العلمية والفنية الحديثة • كما قام نديم مرعشلي وابنه أسامة بتهذيب معجم الصحاح واعادة ترتيبه على الأوائل أيضاً ، مع اضافة بعض المصطلحات والألفاظ الحديثة ، وسمياه « الصحاح في اللغة والعلوم » ، وطبع سنة ١٩٧٤ م في بيروت ، في مجلدين ضخمين • ثم اختصراه أيضاً في « معجم وسيط » يحمل العنوان نفسه ، طبع في بيروت سنة ١٩٧٥ م في مجلدين أصغر حجماً •

وأخيراً ظهرت في مصر طبعة جديدة « للسان العرب » ، مرتبة على الأوائل أيضاً ، في ستة مجلدات ، وقام بتحقيقها ثلاثة من الباحثين اللغويين ٠

* *

تلك جولة عامة مفصلة في ميدان التأليف المعجمي في اللغـة العربية ، لدى العرب وغيرهم ، على مر العصور ، منذ القديم حتى اليوم ، مع بيان طرائق تلك المعاجم ، ومناهجها في ترتيب موادها وتنظيم محتوياتها ٠ وقـد اقتصرنا على جمهرة ما ألف من تلك الكتب ، مما يرتبط بالعمل المعجمي بوشائج قوية ، وضربنا صفحاً عن الكتب اللغوية المتخصصة ، التي تقتصر على جانب لغوي محدود ، وتضيق مساحتها عن الدائرة المعجمية ، مثل الكليات وكتب المعربات ، وكذلك الكتب التي تمزج اللغة بمصطلحات العلوم والفنون المختلفة ، كالتعريفات للسيد الجرجاني ، وكشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي، ودستور العلماء للأحمدنكري ٠٠٠

وعلى كثرة ما ألف من المعاجم ، ولا سيما في العصر الحديث ، **فانها لا تزال حتى اليوم قاصرة عن بلوغ الغاية المرجوة ٠** فاللاحق يسير غالباً على خطا السابق ، مفصلا تارة ، أو موجزاً تارة أخرى ، مع اضافات يسيرة هنا وهناك أحياناً ٠ وكان يُنتظر لبعض هذه المعاجم أن تؤتي ثماراً يانعة وتسد فراغاً كبيراً ، وتلبي حاجات العصر الحديث ، وتساير ركب التطور ومسيرة الحضارة، ولكن حالت معوقات مختلفة دون انجاز هذه البدايات الرائعة ، على الرغم من مرور سنوات طويلة على الشروع في تأليف تلك المعاجم : كمعجمي العلايلي : المعجم (١٩٥٤) والمرجع (١٩٦٣) ، وكذلك المعجم الكبير (١٩٧٠) ٠

وهكذا تذهب الجهود سدى ، بدلا من تضافرها على تصنيف معجم عصري واف بالمقصود ، محقق للمراد ، يستوعب متن اللغة العربية في القديم والحديث، ويميز بين الحقيقة والمجاز ، ويبين تطور معاني الألفاظ ودلالاتها ، ويحيط بما قدمته العلوم والآداب والفنون ، وما وضع لها ــ أو يوضع ــ من مصطلحات وألفاظ أقرتها المجامع اللغوية ، ومكاتب التعريب ، مع تحري الدقة والصواب، وحسن الترتيب والتنسيق ، وتجنب مزالق التحريف والتصحيف ، والعودة الى كتب الأدب ، والتاريخ ، والجغرافية ، والفلسفة ، وعلـوم العربيـة ، والموسوعات القديمة من لغوية وغيرها ،ودواوين الشعر المختلفة ، لامداد المعجم المنشود ، واغنائه بما غفلت أو تغافلت عنه المعاجم التي أُلفت سابقاً ٠

وهذا عمل عظيم ، لا ينهض به فرد ، أو أفراد معدودون ، بل يحتاج إلى جمهرة كبيرة من ذوي الاختصاص والدأب ، يعكفون على هذا العمل ، ويتفرغون له في اعداد منظم ، ومثابرة راتبة ، وتنسيق علمي واضح .

* * * *

الباب الثالث

كتب الأدب
والثقافة العامة



الأدب بحر خضم ، وعباب زاخر ، في تراثنا الثقافي العربي . **وكلمة « الأدب » تقوم في الأصل على معنى التهذيب الخلقي ، والاستقامة المثلى ، وقد وردت بهذا المعنى في عدد من الأحاديث النبوية الصحيحة** ، منها قوله عليه السلام : « ما نحل والد ولده أفضل من أدب حسن » وقوله أيضاً : « أكرموا أولادكم وأحسنوا أدبهم »(1) . وفي كتب الحديث ، كصحيحي البخاري ومسلم ، وسنن الترمذي وابن ماجة باب خاص بعنوان « باب الأدب » . ولا يزال هذا المعنى معروفاً متداولا حتى عصرنا هذا .

ثم اكتسبت كلمة « الأدب » معنى تربويا وتعليميا ، حين أصبح أولاد الخلفاء يسلمون الى « مؤدّب » يقوم بتعليمهم وتثقيفهم وتحفيظهم الأشعار والأقوال البليغة . ومن هنا امتزج في الكلمة مدلولان اثنان ، أحدهما تربوي خلقي ، والآخر علمي ثقافي .

واتسع معنى « الأدب » في العصر العباسي وما بعده ، منذ أن ازدهرت حركة الترجمة وتدوين المعارف الانسانية ، وأصبح يقارب مدلول « الثقافة » في مفهومنا الحديث وهو الأخذ من كل علم بطرف ، أو أن يعرف المرء شيئا عن كل شيء . وبذلك أضحى الأدب ذا معنى ثقافي واسع ، يشمل الشعر والحكم والوصايا ، والرسائل ، والخطب ، والقصص ، وأيام العرب والأخبار والنوادر ، والنقد ، والتاريخ ، والجغرافية ، والتراجم ، والرحلات ، وغير ذلك من المعارف البشرية ، فكان يقال عن الكتاب انه كتاب أدب ، اذا حوى جوانب من ذلك كله أو معظمه ، كالبيان والتبيين للجاحظ ، والكامل للمبرد ، وعيون الأخبار لابن قتيبة . اضافة الى ما في أمثال هذه الكتب من اجادة في الأسلوب ، وفصاحة في اللغة ، وبلاغة في التعبير .

---

(1) الحديث الاول في سنن الترمذي « باب البر » ، ولثاني في سنن ابن ماجه « باب الأدب » . وأما الحديث الدائر على الألسنة : « أدبني ربي فأحسن تأديبي » فسنده ضعيف ، كما في « أسنى المطالب » ٢٥ و « تمييز الطيب من الخبيث » ٩ . وقال الشوكاني في « الفوائد المجموعة » ٣٢٧ : « لا يعرف له اسناد ثابت » .

وقد وضح ابن خلدون هذا المعنى الواسع للأدب في مقدمته المشهورة فقال وهو يتكلم على « علم الأدب » :

« هذا العلم لا موضوع له ينظر في اثبات عوارضه أو نفيها ، وانما المقصود منه عند أهل اللسان ثمرته وهي الاجادة في فني المنظوم والمنثور ، على أساليب العرب ومناحيهم ، فيجمعون لذلك من كلام العرب ما عساه تحصل به الملكة : من شعر عالي الطبقة ، وسجع متساو في الاجادة ، ومسائل من اللغة والنحو مبثوثة أثناء ذلك متفرقة ·· الخ · والمقصود بذلك كله ألا يخفى على الناظر فيه شيء من كلام العرب وأساليبهم ومناحي بلاغتهم اذا تصفحه ، لأنه لا تحصل الملكة من حفظه الا بعد فهمه ، فيحتاج الى تقديم جميع ما يتوقف عليه فهمه ·

ثم انهم اذا أرادوا حد هذا الفن قالوا : الأدب هو حفظ أشعار العرب و خبارها ، والأخذ من كل علم بطرف ··»(1) ·

وفي عصرنا الحديث ضاق مفهوم « الأدب » الذي أصبح فناً كغيره من الفنون ، ولكنه يقوم بحد ذاته على « فن القول » وهو ما تبدعه القريحة من تعبير جميل عن الأفكار والمشاعر ، نظماً ونثراً ، في أسلوب فصيح ، وعبارات بليغة ، وخيال مجنح ·

وتراثنا الأدبي ــ بمعناه الثقافي الواسع ــ وافر جداً ، لا يكاد يدانيه تراث أية أمة في العالم ، اتساعاً وضخامة وغنى · ولكن عوادي الزمن والحروب والكوائن المتوالية ذهبت بجانب كبير من هذا التراث الثمين الحافل · ومع ذلك فان ما بقي منه مخطوطاً ومطبوعاً يبعث على الفخار ، ويقف شامخاً كالطود الراسي في وجوه الأعاصير ·

وسوف نكتفي بعرض نماذج معدودة من كتب الأدب في تراثنا العربي ، ونتوخى فيها أن تكون صورة حية ، ومرآة صادقة لمفهوم « الأدب » بمعناه الثقافي الشامل عند العرب منذ القرن الثالث للهجرة حتى أواسط القرن الخامس ·

* * * *

(1) مقدمة ابن خلدون ، طبعة كتاب الشعب ، باشراف : علي عبد الواحد وافي ، ص ٥٢١ ·

البيـان والتبـيين

للجاحظ

نشا أبو عثمان ، عمرو بن بحر ، في البصرة ، وهي يومئذ ـ بمربدها وحلقاتها الدرسية ـ مهد العلم ومنتدى الأدب ، وعاش في ريعان العصر الذهبي للحضارة العربية ، أديباً موسوعياً ، وعالما متضلعا ، ومثقفا ممتازا • فقد اتصل بجهابذة اللغة والرواية ، وصاحب فئات من علماء العرب ومترجمي الفرس ، وشافَه علماء الكلام ، واشترك في مناظرات الفلاسفة والمناطقة • كما أغرم بالمطالعة غراماً شديداً ، اذ كان قارئاً لا يكل ولا يمل ، ويقال انه مات والكتاب على صدره ، بل قضت عليه مجلدات من الكتب سقطت عليه وهو قعيد المرض في فراشه •

فاذا أضفنا الى ذلك كله ما كان يمتاز به الجاحظ من حافظة واعية ، وفكر وقاد ، وذكاء غريب ، وفكاهة وظرف ، في حياته المديدة التي قاربت القـرن ، أدركنـا أبعـاد شخصيتـه النـادرة ، ومـدى الثقافـة التـي استوعبها ، من عربية وأجنبية ، والتي جعلته منقطع القرين ، ومنبعـاً ثراً لدارسيه والمترجمين له حتى اليوم •

وقد انعكست ثقافته تلك في كتبه الكثيرة ورسائله الوافرة ، وفي مقدمتها: البيان والتبيين ، والحيوان ، والبخلاء ، ورسالة التربيع والتدوير •• وهي في جملتها صورة حية للثقافة العربية من جهة ، ولعصر الجاحظ نفسه من جهة اخرى ، في أسلوب رشيق يدل على مقدرته الانشائية وامامته في الأدب ، حتى سمي امام النثر العربي •

توفي الجاحظ سنة ٢٥٥ هـ وقد ناهز السادسة والتسعين من عمره •

وكتابه « البيان والتبيين ».أحد أصول الأدب الشامخة في تراثنا العربي • وقد نوه بذلك ابن خلدون فقال[١] :

« وسمعنا من شيوخنا في مجالس التعليم أن أصول هذا الفن وأركانه ـ يعني الأدب ـ أربعة دواوين[٢] ، وهي : أدب الكاتب لابن قتيبة ، وكتاب

(١) مقدمة ابن خلدون ٢٢ ، ط كتاب الشعب •
(٢) الدواوين هنا بمعنى الكتب •

الكامل للمبرد ، وكتاب البيان والتبيين للجاحظ ، وكتاب النوادر لأبي علي القالي البغدادي • وما سوى هذه الأربعة فتبع لها ، وفروع عنها » •

وهذا القول يدل على منزلة كتاب « البيان والتبيين » وأهميته البالغة بين كتب الأدب ، حتى ان المؤرخ المسعودي صاحب « مروج الذهب » يقول فيه : « وللجاحظ كتب حسان ، منها كتاب البيان والتبيين ، وهو أشرفها ، لأنه جمع فيه من المنثور والمنظوم ، وغرر الأشعار ، ومستحسن الأخبار ، وبليغ الخطب ، مالو اقتصر عليه مقتصر لاكتفى به » •

وقد عرض الجاحظ في كتابه هذا لموضوع « البيان » والمقصود به أنواع الكلام العربي من شعر وكتابة وخطابة ، كما عرض لموضوع « التبيين » وهو كيفية التعبير عما في النفس بأسلوب مشرق جميل • ذلك هو منطلق الجاحظ في « البيان والتبيين » ، ومن هنا راح يبسط القول في هذا بسطاً وافياً ، موضحا أهم ما يعتمد عليه الشاعر والكاتب والخطيب ، ومفصلا الكلام في الفصاحة والبلاغة والألفاظ ومخارج الحروف ، وعيوب النطق المختلفة من لثغة أو لكنة أو حصر وعي ، كما عرض لموضوع اللحن في الأداء وذكر جانباً من أخبار بعض البلغاء الذين كانوا يلحنون في كلامهم • وخرج من ذلك كله الى الاشادة بفضل الفصاحة والبيان من خلال آيات قرآنية كثيرة وأشعار غزيرة •

كل ذلك جاء محلى بنصوص وافرة من الشعر والنثر ، والخطب ، والوصايا ، والحكم والأمثال ، والطرائف والأخبار ، أرسل الجاحظ فيها نفسه على سجيتها ، لا يتقيد بنظام يترسمه ، ولا بمنهج يلتزمه • فتراه يبدأ الكلام في قضية ، ثم يدعها ليدخل في قضية أخرى ، ثم يعود الى ما كان فيه ، وهذا الاستطراد كان يتعمده الجاحظ في كتبه عامة لينفي الملل عن القارىء ، وينتقل به من موضوع الى آخر ، ومن فكرة الى أخرى ، كما ينتقل المرء في البستان بين أشجار متنوعة ، وأزهار جميلة متباينة •

« ومن خلال هذه المادة الأدبية الغزيرة في الشعر والنثر ، كان الجاحظ ينطلق ــ كلما سنحت له الفرصة ــ الى الخوض في النزعة التي استفحلت في عصره ، وهي الشعوبية وما كان يردده غلاتها من الطعن على العرب والازراء

بهم • فكان الجاحظ يشيد بالعرب وفصاحتهم ، وبعاداتهم وتقاليدهم ويتصدى للرد على مزاعم أولئك الشعوبية وسمومهم »[1] :

ومما قاله في ذلك : « اعلم أنك لم تر قوماً قط أشقى من هؤلاء الشعوبية، ولا أعدى على دينه ، ولا أشد استهلاكاً لعرضه ، ولا أطول نَصَبَاً ، ولا أقل غُنماً من أهل هذه النحلة • وقد شفى الصدور منهم طول جُثوم الحسد على أكبادهم ، وتوقد نار الشنآن في قلوبهم ، وغليان تلك المراجل الفائرة ، وتسعر تلك النيران المضطرمة • ولو عرفوا أخلاق كل ملة ، وزي أهل كل لغة وعللهم ، على اختلاف شاراتهم وآلاتهم ، وشمائلهم وهيئاتهم ، وما علة كل شيء من ذلك ، ولِمَ اجتلبوه ولِمَ تكلفوه ، لأراحوا أنفسهم ، ولخفت مؤونتهم على من خالطهم[2] » •

وفي الكتاب أيضاً مادة موفورة لدراسة عادات المجتمع العربي وتقاليده في بغداد والبصرة أيام الجاحظ ، لأنه يغترف مما حوله ، وفيه أيضاً آراء ثاقبة ، وأحكام ناضجة تدور حول الشعر العربي والبلاغة ، وأصول الخطابة وما الى ذلك ، في أسلوب أدبي رفيع ، يأخذ بلب القارىء ، ويطوف به في عوالم من الجمال والفن والثقافة • ولكنه ــ والحق يقال ــ يتطلب أناة في القراءة ، ومعاودة لها ، حتى يستطيع القارىء الاحاطة بما فيه من أسرار ، والاستمتاع بما يحويه من فصول لطيفة ، وخطب رائعة ، وأخبار بارعة ، وأحكام عميقة ، **أفاد منها كل من جاء بعد الجاحظ ، ونقلوها في كتبهم** ، مثل المبرد في « الكامل » وابن عبد ربه في « العقد الفريد » وأبي اسحق الحصري في « زهر الآداب » •• وما زال كتاب البيان والتبيين نبعاً ثراً يغترف منه الباحثون والمثقفون في عصرنا الحديث ولا يرتوون •

طبع « البيان والتبيين » مراراً ، وأفضل طبعاته تلك التي نشرها عبد السلام هارون سنة ١٩٤٨ ، في أربعة أجزاء • محققة تحقيقاً علمياً ، ومذيلة بفهارس قيمة تيسر الانتفاع بالكتاب والاستفادة منه • ثم أعيد طبعها أو تصويرها غير مرة •

---

(١) مصادر التراث العربي ، د• عمر الدقاق ٨٦ •

(٢) البيان والتبيين ٣/٢٩ ــ ٣٠ • (ط• هارون) • الشنآن : البغض والكراهية • والشارات : مفردها شارة ، وهي الهيئة ، واللباس •

الحيوان
للجاحظ

يعد كتاب « الحيوان » أثراً كبيراً ونفيساً من آثار الأدب العربي القديم عامة ، وآثار الجاحظ خاصة ، لأنه أول كتاب عربي جامع في موضوع الحيوان. صحيح أن غير واحد من العلماء الذين سبقوا الجاحظ أو عاصروه قد ألفوا كتباً بل رسائل عن الابل والخيل والغنم والشاء وبعض أنواع من الطيور والحشرات ، لكن هذه الرسائل هي في حقيقتها ذات طابع لغوي صرف، لا تعرض فكراً علمياً عن الحيوان وخصائصه وأحواله ، ولا تكشف عن تحليل خاص في ذلك . أما كتاب الجاحظ فقد شمل كل الحيوانات التي كانت معروفة في عصر الجاحظ ، وكان صاحبه قادراً على عرض المعرفة الخاصة بكل نوع منها عرضاً فريداً ذا سمات خاصة .

والراجح أن كتاب « الحيوان » كان من آخر ما صنفه الجاحظ ، لأنه يذكر فيه معظم كتبه ، ولأنه قدمه الى محمد بن عبد الملك الزيات الذي صار وزيراً للمعتصم والواثق ، ثم قتله المتوكل سنة ٢٣٣ هـ ، وكانت جائزة الجاحظ عن الكتاب خمسة آلاف دينار .

وقد ذكر الجاحظ في عدة مواضع من هذا الكتاب أنه **وضعه** لبيان ما في الحيوان وعجائب الكون من الحجج على حكمة الله العجيبة وقدرته الباهرة . يضاف الى ذلك ــ على الصعيد العلمي ــ نظرة شاملة في علم الحيوان وفروعه ، وتقص شديد لهذا الجانب في مختلف الميادين .

وقد بدأ الجاحظ كتابه بمقدمة طويلة سرد فيها طائفة من كتبه ، ورد على خصومه الذين انتقدوا تلك الكتب ، وساقه ذلك الى ذكر فوائد الكتاب ، ووصفه وصفاً رائعاً ممتعاً يندر أن تجد له مثيلاً في آداب اللغات الأخرى . واستطرد الى مناظرة طويلة بين الديك والكلب أو بين صاحبيهما ، على طريقة المناطقة وعلماء الكلام ، متأثراً في ذلك بمذهبه الاعتزالي ، ثم انتقل الى الموضوع الأساسي للكتاب وهو الكلام على أنواع الحيوانات والطيور والحشرات وطبائعها وما الى ذلك ، وكان حديثه عنها مزيجاً من العلم والأدب ، والتحليل والفلسفة ، والحكايات الغريبة ، والأشعار والأخبار ، والنوادر والفكاهات والآيات والأحاديث ، والتاريخ والنقد ، هذا الى بحوث في الديانات السماوية

وفي المذاهب الأخرى من مانوية وزرادشتية ، ووثنية ، ودهرية ، وما فيها من شيع ونزعات مختلفة ٠٠

وبذلك شط الكتاب عن موضوعه الاصلي ، وأصبح موسوعة منوعة ، ومعلمة واسعة لثقافة العصر العباسي ، يتضمن معارف طبيعية ، وفلسفية ، وجدلا دينيا ، ومعلومات جغرافية ، وأخباراً تاريخية ٠ وفوائد طبية ، واشارات الى الأجناس البشرية وبعض أحوال العرب والأعراب ، الى جانب ما يضمه من صفحات أدبية ، وشعر مختار ، وأمثال عربية ، وحكم عملية ، جعلت منه كتاباً عظيم القيمة ، عديم النظير ٠ حتى المجون كان له حظ في هذا الكتاب ٠ وهذه الظاهرة كانت مالوفة لدى كثير من متأدبي عصر الجاحظ ، ولم يكن فيها حينئذ حرج ٠

أما طريقة الكتاب والمنهج الذي سار عليه صاحبه في سرد مضامينه فان الجاحظ لم يلتزم في ذلك تنسيقاً ولا تبويباً ، بل كان ينتقل من موضوع الى موضوع لأدنى مناسبة بين الموضوعين ، وقد لا يكون هناك مناسبة بينهما ٠ فهو اذا تحدث عن الظليم ــ وهو ذكر النعام ــ وابتلاعه للنار ، تداعى عنده هذا المعنى ، واستطرد الى نيران العجم والعرب ، والنيران المعبودة والمقدسة ، ثم تناول من يعبد هذه النار بالنقد ، وما قيل في سائر الديانات والمذاهب ، وتخلل ذلك أمشاج من الشعر والقصص والأدب والأمثال ٠

فالكتاب اذن يفتقر الى وحدة الموضوع ، والى مزيد من الترتيب المنطقي ، ولم يغب ذلك عن الجاحظ ، الا أنه تعمد الانتقال والاستطراد فيما يكتب ويؤلف ، لأنه يعد ذلك خير وسيلة لابعاد الملل عن القارىء ، وانفتاح القلوب وتفهم العقول ٠ وكأنه ــ في ابتعاده عن الوحدة التأليفية ــ يريد أن يراعي أهواء قارئيه على اختلاف أذواقهم وأمزجتهم ، فيسترضي عامة معاصريه بما يشيع في كتابه من دعابة وهزل وأخبار ، ويستميل خاصتهم بما يبثه من معارف عالية ، وسياسات رفيعة ، وثقافات عميقة ٠

وقد دافع الجاحظ نفسه عن هذا النمط من التاليف في كتابه فقال :

« متى خرج ــ القارىء ــ من أي القرآن صار الى الاثر ، ومتى خرج من أثر صار الى خبر ، ثم يخرج من الخبر الى الشعر ، ومن الشعر الى نوادر ، ومن النوادر الى حكم عقلية ومقاييس شداد ، ثم لا يترك هذا الباب ــ ولعله أن يكون أثقل والملال اليه أسرع ــ حتى يفضي الى مرح وفكاهة ، والى سخف وخرافة ، ولست أراه سخفاً » ٠

ويقول أيضا : « اني أوشح هذا الكتاب بنوادر من ضروب الشعر ، وضروب الأحاديث ، ليخرج قارئه من باب الى باب ، ومن شكل الى شكل • فاني رأيت الأسماع تمل الأصوات المطربة ، والأغاني الحسنة ، والأوتار الفصيحة، اذا طال ذلك عليها • واذا كانت الأوائل قد سارت في صغار الكتب هذه السيرة ، كان هذا التدبير لما طال وكثر أصلح ، وما غايتنا من ذلك كله الا أن تستفيدوا خيراً » •

وهذا الكتاب الضخم استمد الجاحظ مادته من مصادر شتى وكثيرة ، بعضها عربي : كالآيات القرآنية والأحاديث النبوية ، والشعر العربي ـ ولا سيما البدوي الذي تحدث عن الحيوان حديثاً مسهباً ـ والأمثال العربية ، والكتب المؤلفة قبله أو في عصره • **وبعضها أجنبي :** كمباحث أرسطو ـ وبخاصة كتابه في « الحيوان » الذي نقله ابن البطريق ، ولخصه آخرون ـ وجالينوس ، وديموقريطوس ، وغيرهم •

يضاف الى ذلك ما تلقفه الجاحظ من أفواه الأخباريين والرواة وأهل المعرفة ، في حلّه وترحاله ، وما يدور على ألسنة أهل الاعتزال من كلام على الحيوان في مجالسهم ، واتصاله المباشر بالملاحين والسماكين والصيادين والحُواة، ثم خبرته الشخصية وما يجريه بنفسه من تجارب على الحيوان والنبات ، ما استطاع الى ذلك سبيلا ، وهذه صفة العالم الأريب • فهو تارة يقطع اعضاء الحيوان ، أو يلقي عليه ضرباً من السم ، وتارة يقوم بذبح الحيوان ويفتش جوفه ، وقد يجمع أضداد الجيوان في وعاء كالعقارب والحيات والجعلان ليعرف تقاتلها وتصارعها • فهو اذن يستعين بالحواس لادراك الحقيقة • وربما وجد الحواس مخادعة في بعض الأحيان ، فيحترس في أحكامها ، ويرجع عندئذ الى العقل الذي هو قائد للحواس ، وهو الحجة والدليل ، عند التصحيح والتمييز • وهذا ما جعله يرفض كثيراً من الخرافات والأضاليل ويصفها بانها « من أحاديث الباعة والعجائز » ويمتحن ما يرد عليه من الأقوال والآراء ، حتى انه نال بنقده طائفة من العلماء ، ومنهم أرسطو نفسه ، ولم يصب الجاحظ أمامه بشلل الفكر ، أو بالتجرد من أية محاكمة عقلية •

وهذا كله لا يحجب عنا أن في الكتاب أغلاطا علمية لا يقرها العلم الحديث، لأن عصر الجاحظ لم يتح له فرصة استخدام أدوات التجريب ووسائله الدقيقة ، وهذا ما جعله يحترس أحياناً لدى سماع بعض الأخبار ، فيستعمل صيغ التمريض مثل : « زعموا ، يقال ، هكذا قيل ••• » • ثم ينبغي ألا ننسى أن بيننا وبين الجاحظ أكثر من أحد عشر قرناً •

ومع ذلك فان كتاب الحيوان يعد من مفاخر الجاحظ ومحاسنه ، وقد جمع فيه بين العلم والأدب ، والجد والهزل ، وعلى كثرة ما جاء فيه من علم ومعرفة بالحيوان وغيره ، يطلبه طالب الأدب أكثر مما يطلبه طالب العلم · وهو ـ الى ذلك ـ يمتاز بسلاسة الاسلوب ، ونصاعة البيان ، وثراء اللغة ، ودقة التعبير ، وتحديد الأسماء والتمييز بين الأوصاف والعبارات ، مما يدخل في باب المصطلحات العلمية ، وهذا ما يمد العلوم الحديثة ـ ولا سيما علم الطبيعة والحيوان ـ بعبارات وصفية بديعة ، وأسماء فصيحة ، يجد فيها المؤلفون والمترجمون عوناً كبيراً ، من تراث انساني ثمين ·

طبع كتاب الحيوان أول مرة بمصر في سبعة أجزاء سنة ١٣٢٣ ـ ١٣٢٤هـ ، وصححه بدر الدين النعساني الحلبي ، ثم تكرر طبعه مختلف الأجزاء باختلاف طبعاته ، الا أن أجودها تلك التي حققها عبد السلام هارون في ثمانية أجزاء ، مع الفهارس الفنية المفصلة ، وقد ظهرت في حلتها الأولى سنة ١٣٥٧ هـ ـ ١٩٣٨ م ، ثم جددت غير مرة ·

وقد عرض للكتاب قوم من القدماء بالاختصار والتلخيص ، ومنهم :

١ ـ الشاعر المصري **ابن سناء الملك** « ـ ٦٠٨ هـ » صاحب الموشحات ، وقد اختصر كتاب الجاحظ في مؤلف سماه « **روح الحيوان** » ·

٢ ـ العالم المؤرخ **عبد اللطيف البغدادي** « ـ ٦٢٩ هـ » الذي اختصره في كتاب سماه « **اختصار كتاب الحيوان** » ·

ومن المفيد هنا أن نذكر أن **اشهر كتب الحيوان القديمة التي ألفت بعد الجاحظ** كتاب « حياة الحيوان » لكمال الدين الدميري المصري « ـ ٨٠٨ هـ » في مجلدين ضخمين ، وقد رتب فيه أسماء الحيوانات على الحروف الهجائية ، فالأرنب في حرف الهمزة ، والبط في حرف الباء ، والثعلب في حرف الثاء ·· وهكذا ·

* * * *

عيون الأخبار

لابن قتيبة

ابن قتيبة : هو أبو محمد ، عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري · ولد في بغداد ، أو في الكوفة ، سنة ٢١٣ هـ ، وكان منذ نشأته ميالا الى الأخذ بمعارف عصره المتنوعة ، وأن يضرب في كل علم بسهم ، وهو القائل : « من أراد أن يكون عالماً فليطلب فناً واحداً ، ومن أراد أن يكون أديبا فليتسع في العلوم » · وهكذا كان ابن قتيبة عالما في اللغة والنحو ، وغريب القرآن ومعانيه ، والشعر ، والفقه ، والحديث · وهو يعد امام مدرسة بغداد النحوية ·

أمضى مدة من الزمن قاضياً لمدينة « دِينَور » في اقليم الجبال ، ثم سكن بغداد ، واشتغل بالتدريس والتاليف حتى مات سنة ٢٧٦ هـ ·

ومن مؤلفاته : أدب الكاتب ، وتأويل مشكل القرآن ، وتأويل مختلف الحديث ، والشعر والشعراء ، والمعارف ، وعيون الاخبار · وربما زادت مؤلفاته على ستين في أنواع العلوم والمعارف ·

وكتابه « عيون الأخبار » من الكتب المشهورة جداً في الأدب والثقافة العامة ، وهو يحوي روائع النصوص المختارة ، وزبدة الأخبار المنتقاة ، في عرض جميل ، وأسلوب ممتع ، وشخصية قوية فيما يكتب · ومنذ بداية الكتاب تطالمنا تلك الشخصية بما تتحلى به من استقلال في الفكر ، وصفاء في الذهن ، وجراءة في قول الحق ، **وذلك في المقدمة الطويلة التي أنشأها ابن قتيبة لكتابه ،** وتناول أموراً مختلفة في عرض طريف وممتع · فقال عن مضمون كتابه والهدف من تأليفه : « وهذه عيون الأخبار نظمتها لمغفل التأدب تبصرة ، ولأهل العلم تذكرة ، ولسائس الناس ومَسوسهم مؤدباً ·· وهي لقاح عقول العلماء ، ونتاج أفكار الحكماء ، وزبدة المخض ، وحلية الأدب ، وأثمار طول النظر ، والمتخير من كلام البلغاء وفِطن الشعراء ، وسِيَر الملوك ، وآثار السلف ، جمعت لك منها ما جمعت في هذا الكتاب ، لتأخذ نفسك بأحسنها ، وتقومها بثقافتها ، وتخلصها من مساوىء الأخلاق ، كما تخلص الفضة البيضاء من خبثها ، وتروضها على الأخذ بما فيها من سنة حسنة ، وسيرة قويمة ، وأدب كريم ، وخلق عظيم ، وتصل بها كلامك اذا حاورت ، وبلاغتك اذا كتبت ·· » ·

ويتابع بعد ذلك مشيراً الى من ألف كتابه من أجلهم فيقول : « ولم أر صوابا أن يكون كتابي هذا وقفا على طالب الدنيا دون طالب الآخرة ، ولا على خواص الناس دون عوامهم ، ولا على ملوكهم دون سوقتهم ، فوفيت كل فريق منهم قسمه ، ووفرت عليه سهمه ٠٠ ولم أخله مع ذلك من نادرة طريفة ، وفطنة لطيفة ، وكلمة معجبة ، وأخرى مضحكة ، لئلا يخرج عن الكتاب مذهب سلكه السالكون ، وعروض أخذ فيها القائلون ، ولأروح بذلك عن القارىء من كدّ الجد ، واتعاب الحق ، فان الأذن مجاجة ، وللنفس حمضة ، والمزج اذا كان حقا ، أو مقاربا ، ولأحايينه وأوقاته وأسباب أوجبته مشاكلا ، ليس من القبيح ، ولا من المنكر ٠٠٠ وانما مثل هذا الكتاب مثَل المائدة تختلف فيها مذاقات الطعوم ، لاختلاف شهوات الآكلين » ٠

وقد تعددت المصادر التي استمد منها ابن قتيبة مادة كتابه ، على مدى سنوات طويلة منـذ حداثته ، وقد بين ذلك في المقدمة أيضا فقال في تواضع وصدق وتقدير : « واعلم أنا لم نزل نتلقط هذه الأحاديث في الحداثة والاكتهال عمن هو فوقنا في السن والمعرفة ، وعن جلسائنا واخواننا ، ومن كتب الأعاجم وسيرهم ، وبلاغات الكتاب في فصول من كتبهم ، وعمن هو دوننا ، غير مستنكفين أن نأخذ عن الحديث سناً لحداثته ، ولا عن الصغير قدراً لخساسته ، ولا عن الامة الوكعاء[1] لجهلها فضلا عن غيرها ، فان العلم ضالة المؤمن ، من حيث أخذه نفعه ٠٠ ومن ترك أخذ الحسن من موضعه أضاع الفرصة ، والفُرص تمر مر السحاب » ٠

أما منهج الكتاب وطريقته في عرض محتوياته فان ابن قتيبة يخالف فيه عن طريقة الجاحظ في ايثار الاستطراد والتنقل من موضوع الى آخر ، ويقيم كتابه على أساس من التنظيم والتبويب ، فيقسمه الى عشرة كتب صغيرة ، يشتمل كل منها على موضوع عام ، وتتناول مختلف جوانب الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية والأدبية والنفسية والحضارية ، وهي : (كتاب السلطان ، كتاب الحرب ، كتاب السؤدد ، كتاب الطبائع والأخلاق ، كتاب العلم والبيان ، كتاب الزهد ، كتاب الاخوان ، كتاب الحوائج ، كتاب الطعام ، كتاب النساء) ووضع في كل « كتاب » من هذه الكتب ما يتصل به من أخبار وشواهد ، مسندة الى أصحابها ورواتها ٠

---

(١) الوكعاء : الحمقاء ٠

ولكن « الكتاب » الواحد من كل هذه « الكتب الصغيرة » العشرة لا يخضع في محتواه لتبويب واضح ، أو ترتيب معين ، بل يسوق ابن قتيبة النصوص والأخبار وما اليها ، كيفما اتفق ، مراعياً فيها الموضوع الذي عقد « الكتاب » لأجله • وربما وضع شيئا في غير بابه أو جزأه ، لأن له صلة بالسياق الذي يورده فيه • وقد أشار الى ذلك فقال :

« وان وقفت على باب من أبواب هذا الكتاب لم تره مشبعاً ، فلا تقض علينا بالاغفال حتى تتصفح « الكتب » كلها ، فانه رُب معنى يكون له موضعان وثلاثة مواضع فنقسم ما جاء فيه على مواضعه ، كالتلطف في القول : يقع في كتاب السلطان ، ويقع في كتاب الحوائج ، ويقع في باب البيان ••• وكالبخل : يقع في كتاب الطبائع وفي كتاب الطعام ، وكالكِبر والمشيب يقع في كتاب الزهد ، ويقع في كتاب النساء » •

ولم يفرّق ابنُ قتيبة في اختيار مواد كتابه بين قديم ومحدث ، ولا قدم ذاك لقدمه ، ولا أخر هذا لحداثته ، وكان ابن قتيبة من الأوائل من رفع لواء المساواة بين القديم والمحدث أمام ميزان النقد والتقويم ، واتخاذ الجودة أساساً في الحكم والاعتبار ، وقد أشار الى ذلك في كتابه « الشعر والشعراء » كما كرر هذه الاشارة في « عيون الأخبار » فقال : « وكذلك مذهبنا فيما نختاره من كلام المتأخرين وأشعار المحدثين اذا كان متخير اللفظ ، لطيف المعنى ، لم يزر به عندنا تأخر قائله ، كما أنه اذا كان بخلاف ذلك لم يرفعه تقدمه ، فكل قديم حديث في عصره ، وكل شرف فأوله خارجيه[1] ، ومن شأن عوام الناس رفعُ المعدوم ، ووضع الموجود ، ورفض المبذول ، وحب الممنوع ، وتعظيم المتقدم وغفران زلته ، وبخس المتأخر والتجني عليه ، والعاقل منهم ينظر بعين العدل لا بعين الرضا ، ويزن الأمور بالقسطاس المستقيم » •

ومع أن ابن قتيبة يعرض النصوص والأخبار وما اليها بلغة فصيحة ، وبيان بليغ ، وأسلوب متين ، فانه في ايراده النوادر والطرائف لا يتحرج من ذكر بعض الكلمات الملحونة التي تخالف قواعد العربية لا حباً بها وتعمداً لها ، بل ابقاء على جمال النادرة أو الطرفة ، ولئلا يذهب بهاؤها اذا رويت مُعربة • وهذا مذهب سلكه الجاحظ من قبلُ في عدد من كتبه ، وتابعه على ذلك ابن

---

(١) الخارجي ، هنا : هو الذي يخرج ويشرف بنفسه ، من غير أن يكون له قديم •

قتيبة ، فقال : « وكذلك اللحن ان مر بك في حديث من النوادر ، فلا يذهبن عليك أنا تعمدناه وأردنا منك أن تتعمده ، لأن الاعراب ربما سلب بعض الحديث حسنه ، وشاطر النادرة حلاوتها » ٠

والخلاصة أن كتاب « عيون الأخبار » من الكتب التي تمتاز بحشد من المعارف ، وفيض من الثقافات التي تجعل من قارئها انساناً واسع المعرفة ، متفتح العقل ، سامي الفكر ، وقد جاء هذا الكتاب صورة حية لمؤلفه الذي كان واضح الشخصية فيه ، جيد العرض لمواده ، متعدد الثقافات ، فكان كتابه متعة من متع الفكر العربي ٠

طبع « عيون الأخبار » محققاً مفهرساً في أربعة أجزاء ، نشرتها دار الكتب المصرية بين سنتي ١٩٢٤ و ١٩٣٠ ثم صورت هذه الطبعة مراراً في كل من القاهرة وبيروت ٠

* *

كتاب «الكامل»
للمبرّد

ولد أبو العباس ، محمد بن يزيد ، الملقب بالمبرد ، في البصرة سنة ٢١٠ هـ ثم رحل الى بغداد ، وأخذ العلم عن أبي عثمان المازني ، وأبي حاتم السجستاني ، وأبي عمر الجرمي ، وما زالت همته تسمو به حتى صار امام العربية في بغداد . بل امام المذهب البصري في النحو . وكان مع شهرته باللغة والنحو والتصريف ، شاعراً أديباً ، على ندرة ما يتفق ذلك للنحاة واللغويين ، وكان فصيح اللسان ، ظاهر البيان . وقد أثر عن مجالسه كثير من طريف الأحاديث ، ومن تلاميذه : الأخفش الأصغر ، وأبو اسحق الزجاج .

وكانت بين المبرد ومعاصره ثعلب ، امام المذهب الكوفي ، خصومة عنيفة ، ومنافرات كثيرة ، والناس مختلفون في تفضيل كل واحد منهما على صاحبه .

توفي المبرد سنة ٢٨٥ هـ ، وله مؤلفات كثيرة منها : المُقتضب (في النحو) ، والمذكر والمؤنث ، والتعازي والمراثي ، وشرح لامية العرب ، والفاضـــل ، والكامل ...

وكتابه « الكامل » هو في « اللغة ، والأدب ، والنحو ، والتصريف » وقد مر بنا ما ذكره ابن خلدون في مقدمته من أن هذا الكتاب احد آركان كتب الأدب الأربعة ، التي لا غنى لطالب المعرفة والثقافة عن قراءتها . والحق أنه كتاب نفيس ، يحتوي على كل ثمين من آلوان الثقافة العربية الخالصة ، وكل طريف ومفيد من أبواب اللغة والأدب والتصريف ، من خلال كلام العرب وأقوالهم ، وبذلك جمع هذا الكتاب ، كما يقول مؤلفه « ضروباً من الآداب ، ما بين كلام منثور ، وشعر مرصوف ، ومَثل سائر ، وموعظة بالغة ، واختيار من خُطبة شريفة ، ورسالة بليغة » . وجعل هذه النصوص المختلفة منطلقا لعمله وسيره في كتابه .

ومقدمة كتاب « الكامل » قصيرة لا تتجاوز بضعة عشر سطرا ، وقـــد أوضح المبرد فيها منهجه في كتابه فقال :

« والنية أن نفسر كل ما وقع في هذا الكتاب من كلام غريب ، أو معنى مستغلق ، وأن نشرح ما يعرض فيه من الاعراب شرحاً شافياً ، حتى يكون هذا الكتاب بنفسه مكتفيا ، وعن أن يُرجع الى أحد في تفسيره مستغنيا » ٠

وهكذا فعل المبرد ، فهو يورد النص الذي يحضره ، شعراً أو نثراً ، ثم يشرح ما فيه ويعلق عليه من النواحي اللغوية ، والنحوية ، والأدبية ، والصرفية ، الا أنه لايكتفي بذلك بل يستطرد كثيراً خلال شروحه وتعليقاته قبل أن يعود الى الموضوع الذي كان فيه ، وربما لن يعود ٠ فكتابه من هذه الناحية يشبه طريقة الجاحظ في فقدان الترتيب والتبويب ، والاكثار من الشواهد وضرب الأمثلة ٠ وان كان يختلف عن كتب الجاحظ في طبيعة المضمون والمحتوى ٠ وربما فصل المبرد بين موضوع وآخر بعنوان جزئي يدل على ما يريد أن يبدأ به كلامه ، مثل : « باب من أخبار الخوارج » و « باب التشبيه » ولكنه لا يلتزم بما يدل عليه العنوان ، بل سرعان ما يخرج عنه مستطرداً الى موضوعات أخرى جانبية ٠ وقد يكتفي بكلمة « باب » يجعلها عنوانا لفقرة جديدة ٠ وكثيراً ما نراه يردد في كتابه مثل هذه العبارات في باب أخبار الخوارج مثلا ، حين يريد أن يعود الى موضوعه الاول : « ثم نعود الى ذكر الخوارج » و « عاد القول في الخوارج » و « عاد الحديث الى أمر الخوارج » و « ثم نرجع الى ذكر الخوارج » ٠٠

وكانت هذه الطريقة متبعة في مجالس العلم وحلقات الدرس ، التي انبثقت عنها فكرة تأليف كتب الأمالي والمحاضرات ، تلك الكتب التي يتجلى فيها الجانب التعليمي والطابع التدريسي الى حد كبير ، حتى انها كانت في مضمونها وطريقتها وأسلوبها في العرض صورة صادقة لتلك المجالس ٠ وكتاب « الكامل » لا يخرج ــ في جملته ــ عن هذه الدائرة المشتركة ، الا أنه في الوقت نفسه يعد مصدراً غنيا من مصادر الأدب واللغة والتفسير والتاريخ والأخبار والتراجم ، ومنبعا ثراً لأشعار العرب ورسائلهم وخطبهم وأمثالهم وعاداتهم وتقاليدهم ، وأيامهم ، ولهجاتهم وبلاغتهم ، وبذلك يمكن أن يعد أيضاً من دوائر المعارف الادبية ، والمَعلَمات الثقافية العربية الخالصة ، وان كان فيه بعض النقول عن العجم ٠ وقد ضم قدراً كبيراً من الآيات القرآنية مفسرة تفسيرا واضحا ، متخذاً منها شواهد لغوية ونحوية ، كما ضم عدداً وافرا من الأحاديث النبوية التي يورد كلا منها في مقام استشهاد بعينه ٠

طبع كتاب « الكامل » عدة مرات ٠ وأجود طبعاته اثنتان احداهما حققها زكي مبارك وأحمد شاكر في ثلاثة أجزاء طبعت في مصر سنة ١٩٣٦ ــ ١٩٤٠

ثم الحق بها فهارس صنعها محمد سيد كيلاني في جزء رابع صدر سنة ١٩٥٦ ٠ والثانية نشرتها « د ر نهضة مصر » في القاهرة سنة ١٩٥٦ م في أربعة أجزاء بعناية : محمد أبو الفضل ابراهيم ، والسيد شحاتة ٠

وممن شرح كتاب الكامل : الأديب اللغوي المعاصر **سيد بن علي المرصفي** الأزهري « ــ ١٩٣١ م » ، وقد طبع شرحه في القاهرة مع « الكامل » في كتاب واحد يقع في ثمانية أجزاء بعنوان « **رغبة الآمل من كتاب الكامل** » سنة ١٩٢٨ــ ١٩٣٠ ، ثم طبع هذا الشرح ثانية بطريقة التصوير ٠

* * * *

العقد الفريد

لابن عبد ربه

مؤلف هذا الكتاب أندلسي قرطبي ، وهو أحمد بن محمد بن عبد ربه · برع في النثر والنظم ، وتضلع من أدب المشارقة وان لم يرحل الى المشرق · توفي سنة ٣٢٨ هـ ·

وكتابه « العقد الفريد » أو « العقد » ــ كما يسمى أحيانا ــ من كتب الأدب الموسوعية ذات المادة الغزيرة المتنوعة : من شعر ونثر ، وخطب ، وأخبار أدبية ، وحكم ونوادر ، الى جانب ما حواه من رسائل ولغة وفقه وحديث ، وتاريخ وعروض ··

وهو يقوم في مجمله على الجمع والاقتباس وليس فيه لابن عبد ربه الا الترتيب والتبويب ، وبعض فقرات من نثره · ومقطوعات من شعره أودعها في مقدمات أبواب كتابه أو في خلال مختاراته المختلفة ·

وذكر ابن عبد ربه في المقدمة سبب تاليفه لهذا الكتاب · وهو أنه وجد كتب الأدب قبله غير جامعة ولا محيطة بفنون الاخبار · فوضع كتابه ليكون كافيا في موضوعه جامعاً لفنون الثقافة العامة ، فيسد الخلل ، ويكمل النقص ·

و « العقد » مقسم الى خمسة وعشرين كتابا ، كل منها يسمى جوهرة · ذلك أن ابن عبد ربه تصور كتابه عقداً مؤلفاً من ٢٥ جوهرة كريمة ، تتوسطها حبة كبيرة تسمى « الواسطة » وقد انتظمت اثنتا عشرة جوهرة في جانب منها ، ومثلها في الجانب الآخر ، وكل من هذه الجواهر تحمل اسماً وموضوعاً ، على النحو التالي :

ــ كتاب اللؤلؤة : في السلطان

ــ كتاب الفريدة : في الحروب ومدار أمرها

ــ كتاب الزبرجدة : في الأجواد والأصفاد

ــ كتاب الجمانة : في الوفود ···

وهكذا الى آخر الجواهر الاثنتي عشرة ·

وفي الطرف الآخر المقابل نجد الجواهر الأخرى تتكرر أسماؤها ، ولكنها تحمل موضوعات جديدة :

ـ كتاب اللؤلؤة الثانية : في النُتف والهدايا والفكاهات والمُلَح
ـ كتاب الفريدة الثانية : في الطعام والشراب
ـ كتاب الزبرجدة الثانية : في بيان طبائع الانسان وسائر الحيوان ٠٠
ـ كتاب الجمانة الثانية : في المتنبئين والممرورين والبخلاء والطفيليين ٠

وهكذا الى آخر الجواهر الاثنتي عشرة ٠

أما « **الواسطة** » فهي في الخطب ٠

ويتصف كتاب العقد الفريد بعدد من المزايا والخصائص ، منها :

١ ـ أن المؤلف استهل كل كتاب ـ أو جوهرة ـ بتمهيد من انشائه اللطيف يسميه « الفَرْش » وقد جعله بمثابة المدخل الى موضوعه ، كما أورد شيئا من شعره في خلال الكتاب ، لاثبات حظ المغرب من المنظوم والمنثور ٠

٢ ـ حذف الأسانيد من متن الكتاب ، مقتصراً على ايراد نص القول أو الخبر منسوباً الى صاحبه الأصلي ، حرصاً على الاختصار والايجاز ، ومجانبة للتطويل والاسهاب ٠ وقد احتج المؤلف نفسه لذلك في مقدمة كتابه فقال :

« وحذفتُ الأسانيد من أكثر الأخبار ، طلباً للاستخفاف والايجاز ، وهربا من التثقيل والتطويل ، لأنها أخبار ممتعة ، وحِكَم ونوادر ، لا ينفعها الاسناد باتصاله ، ولا يضرها ما حُذف منها ٠ وقد كان بعضهم يحذف أسانيد الحديث من سنة متبعة ، وشريعة مفروضة ، فكيف لا نحذفه من نادرة شاردة ، ومثل سائر ، وخبر مستطرف ، وحديث يذهب نوره اذا طال وكثُر ؟ » ٠

٣ ـ و « العقد » أحد المصادر الأساسية لتاريخ الحياة العربية بجوانبها المختلفة ٠ من سياسية واقتصادية واجتماعية وثقافية ، فهو يضم بين صفحاته مادة غنية من الأخبار والقصص والوثائق التي تعين على تصور حركة تطور المجتمع العربي في الجاهلية والاسلام ، والتي وصلت الينا في « العقد » سالمة من التشويه والتحريف ، في معظمها ، وهذا ما جعله يحظى بمكانة رفيعة في حياتنا الثقافية المعاصرة ٠

طبع العقد الفريد مراراً ، وأجود طبعاته اثنتان : أولاهما حققها محمد سعيد العريان ونشرها سنة ١٩٤٠ في ثمانية أجزاء ٠ والثانية طبعة أحمد أمين وزملائه في سبعة أجزاء ، ظهرت سنة ١٩٤٠ أيضاً ، ثم صورت غير مرة ٠



كتاب «الأمالي»

لأبي علي القالي

ولد أبو علي – اسماعيل بن القاسم[1] – في « منـاز جرد » من أعمـال « ديار بكر » في ارمينية ، وفيها شدا شيئاً من العلوم والآداب ، ولما قارب سن الرشد انتجع بغداد طلباً للعلم ، في رفقة من أهل « قالي قلا » – من قرى مناز جرد ، وأحد ثغور المسلمين في وجه الروم ، وكان أهلها موضع اكرام – فانتسب اليها أبو علي رجاء أن ينتفع بذلك ، ومن ثم عرف بالقالي نسبة اليها، وثبت ذلك عليه ٠

وفي العراق أتيح له أن يتلقى العلم ويتضلع منه على جملة من أفاضل العلماء في الحديث واللغة والنحو والأدب : كأبي القاسم البغوي ، وأبي بكر السجستاني ، وابن درستويه ، وابن دريد صاحب الجمهرة ، وأبي بكر السراج٠ ونفطويه ، وأبي اسحق الزجاج ، وأبي الحسن الأخفش ، وأبي بكر الأنباري٠٠

ولبث على ذلك خمساً وعشرين سنة يتعلم ويعلم ، حتى غدا عالماً بارزاً ، وراوية حافظاً للأخبار والأشعار ، ولغوياً حجة ، وقد أفاد في ميدان اللغة كثيراً من أستاذه ابن دريد ، لأنه كان شديد الملازمة له ، والأخذ عنه ، والاعجاب به ٠ ولا أدل على ذلك من أن أبا علي ملأ كتابه « الأمالي » بأقوال ابن دريد ، وما رواه من أخبار في مجالسه ، وكثيراً ما يبدأ اسناد الخبر بقوله : « حدثنا أبو بكر بن دريد » أو « حدثنا ابو بكر » ٠ وقد يروي عن وراق استاذه : « وحدثني ابو يعقوب وراق أبي بكر بن دريد » ٠

وصلت هذه الشهرة الواسعة الى الأندلس ، وطبقت الآفاق ، فما هو الا أن تلقى أبو علي دعوة من الخليفة عبد الرحمن الناصر – باعث النهضة الأدبية

---

(١) افضنا هنا في الكلام على القالي وكتابه ، كما توسعنا قليلا في حديثنا عن كتاب الحيوان آنفاً لأن الطلاب يدرسون نصوصا مختارة من هذين الكتابين في مادة « المكتبة العربية » وهذا يقتضي شيئاً من التفصيل في ذينك الكتابين أكثر من غيرهما ٠

والعلمية في عصر الأندلس الزاهر ــ يستقدم أبا علي اليه ، فلبى الدعوة ، ويمم وجهه نحو قرطبة ، ماراً ببلاد الشام ومصر ، وقد ناهز الأربعين من عمره ، وهناك لقي حفاوة بالغة ، ورعاية كريمة من الخليفة الناصر وابنه الحكم ولي العهد ، وعرف بالبغدادي بين أهل المغرب والاندلس ، لقدومه اليهم من بغداد ٠

وفي قرطبة وجد القالي المجد المنشود ، علماً وجاهاً ومالا ، وأفاد منه العلماء والطلاب ، وكثر قاصدوه ، وكان يملي دروسه في أيام الأخمسة بقرطبة وفي المسجد الجامع بالزهراء ، ضاحية العاصمة ، وممن تتلمذ للقالي هناك : أبو بكر الزبيدي الاشبيلي اللغوي (ــ ٣٧٩ هـ) صاحب كتاب « طبقات النحويين واللغويين » فقد لزم أبا علي منذ وفد على الأندلس ــ كما لزم أبو علي من قبل ابن دريد ــ وعنه أخذ معظم معارفه في اللغة والنحو والشعر والاخبار ، وخصه بترجمة في كتابه صدرها بقوله : « كان أحفظ أهل زمانه للغة ، وأرواهم للشعر الجاهـلي ، وأحفظهـم له ، وأعلمهم بعلل النحـو على مذهب البصريين ، وأكثرهم تدقيقاً فيه » ٠

وفي قرطبة ألف أبو علي القالي أكثر كتبه ، وأملى كثيراً منها عن ظهر قلبه ٠ وقد طبع منها ثلاثة :

١ ــ **كتاب أفعل** : وهو في الأمثال العربية التي تبدأ باسم التفضيل ، مثل : أبلغ من سحبان وائل ، وأخف من ريشة ، وأكذب من مسيلمة ، وأروغ من ثعلب ٠٠ وقد طبع في تونس سنة ١٩٧٢ بتحقيق محمد الفاضل بن عاشور ٠

٢ ــ **كتاب البارع** : وهو معجم لغوي ضخم يشتمل على خمسة آلاف ورقة ، رتبه على مخارج الحروف ، كما فعل الخليل في « العين » ، وليس له نظير في الاحاطة والشمول ٠ ولكن لم يصل الينا منه سوى قطعة صغيرة يتخللها خروم كثيرة ، طبعت في بيروت سنة ١٩٧٥ بتحقيق هاشم الطعان ٠

٣ ــ **كتاب الأمالي** ، أو « **النوادر** » : وهو أشهر كتب القالي ، أملاه ظاهراً من قلبه ، وارتجل تفسير ما فيه ، وهو ــ كما يقول أبو بكر الزبيدي ــ « غاية في معناه ، وهو أنفع الكتب » ٠



وكلمة « الأمالي » عرفت في ميداني التعليم والتأليف بالمشرق منذ القرن الثاني للهجرة ، ثم شاعت كثيراً في القرنين الثالث والرابع وما بعدهما ، وظهرت كتب كثيرة قبل القالي وبعده تحمل اسم « الأمالي » ولا سيما في ميدان اللغة والأدب والأخبار ٠٠ مثل : أمالي اليزيدي (ــ ٣١٠ هـ) وأمالي الزجاج (ــ ٣١٦ هـ) ، وأمالي ابن دريد (ــ ٣٢١ هـ) ، وأمالي أبي بكر بن الأنباري (ــ ٣٢٨ هـ) ــ والعالمان الأخيران من أبرز أساتذة القالي الذين ألفوا في الأمالي ــ وأمالي القالي (ــ ٣٥٦ هـ) ، وامالي المرتضى (ــ ٤٤٦ هـ)، وأمالي ابن الشجري (ــ ٥٤٢ هـ) ٠٠٠

ولفظ « الأمالي » من جموع الكثرة ، استعمله العرب بصيغة الجمع فحسب أما مفرده فهو « **املاء** » على غير القياس ، **أو** هو « **أملية** » ٠ وهي تشير الى طريقة التدريس ومجالس العلم عند العرب ، كما تشير الى نوع من التأليف كان يقوم على الاملاء ، اذ كان العلماء يجلسون الى تلاميذهم في المساجد ، ويلقون عليهم الدروس ارتجالا في التفسير والحديث ، والشعر والنثر ، واللغة والنحو ٠٠ فيكتب عنهم التلاميذ ما يريدون كتابته أو ما يستطيعونه ٠ وأخيراً تضم هذه الأمالي ــ أو المحاضرات ــ بعضها الى بعض لتكون كتابا أو نواة لكتاب ، يعرض في الغالب على الشيــخ المملي ليرى رأيــه فيه ، أو ليجيل فيه قلم التحرير والتشذيب اذا شاء وقد يكتب له مقدمة ، ولذا سمي هذا النوع من التأليف بالأمالي ٠ وقد يسمى بالمجالس ، مثل مجالس ثعلب (ــ ٢٩١ هـ) ٠



وكتاب « الأمالي » لأبي علي القالي أشهر الكتب التي تحمل هذا الاسم ، واذا أطلقت التسمية فهو المراد ، بخلاف غيره من كتب الأمالي ٠ شأنه في ذلك شأن « الحماسة » فاذا اطلقت كان المراد حماسة أبي تمام ، على كثرة «الحماسات» الأخرى ٠

وقد يطلق القدماء على أمالي القالي **اسم** « **النوادر** » **أو** « **الأمالي والنوادر** » ٠ وجدير بالذكر أن أبا علي بعد أن انتهى من املاء كتابه ، ألحق به كتابين آخرين صغيرين ، ضمهما اليه ، هما : « **ذيل الأمالي والنوادر** » **و** « **النوادر** » ٠ ومن هنا اختلطت تسمية الأمالي بالنوادر ، الى أن ثبتت تسمية « **الأمالي** » عند المتأخرين والمعاصرين ٠

وقد عرف القدماء فضل هذا الكتاب ومكانته ، فأحلوه منزلة رفيعة ، وجعلوه ركيزة من ركائز الأدب ، وركنا من أركانه ٠ وجمهرة المثقفين تحفظ

أو تعرف ما سبق ذكره ، من قول ابن خلدون في مقدمته ، وهو يتكلم على (علم الأدب) : « وسمعنا من شيوخنا في مجالس التعليم أن أصول هذا الفن وأركانه أربعة دواوين[1] ، وهي : أدب الكاتب : لابن قتيبة ، وكتاب الكامل : للمبرد ، وكتاب البيان والتبيين : للجاحظ ، وكتاب النوادر : لأبي علي القالي البغدادي . وما سوى هذه الأربعة فتبع لها ، وفروع عنها » .

أملى أبو علي كتاب « الأمالي » من حفظه في أيام الخميس بقرطبة ، حيث كانت له مجالس علمية راتبة ، وصلات ثقافية واسعة ، **وأهداه الى ولي العهد « الحكم » مشيداً بفضله وفضل أبيه الخليفة الناصر في مقدمة كتابه ، قائلا :**

« وجعلت غرضي أن أودعه من يستحقه ، وأبديه لمن يعلم فضله .. حتى تواترت الأنباء المتفقة .. بأن مشرفه في عصره أفضل من ملك الورى ، مهذب الخليقة ، محكم الرأي .. أمير المؤمنين .. « عبد الرحمن بن محمد » .. وأن معظمه ومشتريه ، ربيع العفاة ، وسم العداة .. « الحكم » ولي عهد المسلمين .. الذي لم يُر فيما مضى من الأمراء شبهه .. ولا ولد النساء من الأجواد نظيره ... » .

اما موضوع الكتاب ومحتواه : فان مادته الأساسية تقوم على اللغة خاصة ، من خلال نصوص غزيرة من الأخبار والأشعار والآيات والأحاديث ، والخطب والوصايا ، والحكم والأمثال ، والرسائل وما الى ذلك . وقد مزج أبو علي ذلك كله في كتابه وأضاف اليه شذرات من التصريف والتفسير والقراءات ، مع الافاضة في التعليقات والشروح اللغوية للألفاظ والتراكيب ، والاستشهاد عليها بمأثور كلام العرب ، من شعر ونثر ، مما يدل على اطلاع واسع ، وتمكن من اللغة وخصائصها .

وقد لخص مضمون الكتاب تلميذ أبي علي أبو بكر الزبيدي فقال في طبقاته : « وهذا الكتاب غاية في معناه ، وهو أنفع الكتب ، لأن فيه الخبر الحسن ، والمثل المتصرف ، والشعر الفائت المنتقى في كل معنى ، وفيه أبواب من اللغة مستقصاة ، ليست توجد في شيء من كتب اللغة بكمال ما هي في هذا الكتاب ، وفيه الابدال والقلب مستقصى ، وفيه تفسير الاتباع ، وهو ما لم يسبقه اليه أحد ، الى فوائد كثيرة فيه »[2] .

---

(١) الديوان ، هنا ، بمعنى الكتاب المدون مطلقاً .
(٢) طبقات النحويين واللغويين ١٨٦ .

وكانت قولة ابن خلدون السابقة حافزاً لبعض العلماء والباحثين من قدماء ومحدثين ، الى أن يوازنوا بين « الأمالي » وأقرانه من أركان كتب الأدب ، ولا سيما الكامل ، لما بين هذين الكتابين خاصة من وشائج القربى والنسب ، يقول ابن حزم : « كتاب نوادر أبي علي مبار لكتاب الكامل ، الذي جمعه المبرد ، ولئن كان كتاب أبي العباس ـ المبرد ـ أكثر نحواً وخبراً ، فان كتاب أبي علي اكثر لغة وشعراً »[1] .

فالكتاب ـ كما ترى ـ يقوم في منهجه وطريقته على جمع الروايات الأدبية المتنوعة واستيعاب جملة صالحة من النصوص والأخبار ، داخل اطار اللغة ومفرداتها . ذلك أن القالي لا يغادر النص المختار الا بعد أن يشرح ما فيه من ألفاظ غريبة ، ويشير الى ما يشتق من تلك الألفاظ أو يشترك واياها في أصول واحدة ؛ ومعان متقاربة .

وقد يستطرد الى أمور أخرى قبل أن يستقبل نصاً آخر جديداً ، وربما عقد مجلساً خاصاً لمادة لغوية بعينها مثل « لحن » أو « خلل » أو « عقب » ... فيبدأ بشرح الألفاظ مستطرداً الى ذكر شواهد مؤيدة ، أو نصوص مناسبة يثبت بها ما ذهب اليه ، معتمداً على حافظته الواعية وهو يملي في مجلسه ويروي من محفوظه .

واستطراده هذا يذكرنا بطريقة الجاحظ في كتبه ولا سيما الحيوان والبيان والتبيين ، وهو ما فعله المبرد أيضاً في كتاب الكامل وغيره .. ولكن لا بد من التذكير بأن كتاب أبي علي القالي لا يغلب عليه الاستطراد الكثير الذي عرفت به الكتب السابقة ، فهو أخف وطأة منها ، وأقصر نفساً ، ذلك أن كل أملية منه تتحدد بكونها محاضرة أو أملية في اللغة تلقى في مجلس واحد . وهو ما يهم أبا علي الذي يستغرق في الشروح اللغوية وشواهدها دون العناية بتفاصيل الأخبار والقصص وما الى ذلك .

صحيح أن الخبر قد يطول لديه فيستغرق عدة صفحات ـ كما هو الحال في خبر ليلى الأخيلية مع الحجاج ـ ولكن هذا الخبر لا يخرج عن هذا النطاق ، وما فيه من شعر توبة بين الحمير ، عشيق ليلى . دون أن يستطرد الى ذكر ما روي من قصص حول ذلك العشق وأخباره ، على نحو ما فعل أبو الفرج في كتاب الأغاني ، مثلا .

---

(١) معجم الأدباء ٢٨/٧ ط. دار المأمون .

ومع ذلك يبقى الكتاب خاليا من منهج محدد المعالم في التاليف ، وعذر صاحبه أنه أملاه في مجالس أسبوعية متعاقبة ، وفي شكل محاضرات مرتجلة ، تتوارد فيها الخواطر على ذهنه ، يتلقفها الطلاب والعلماء بطريقة ألفوها كثيراً، ولم تكن عندهم موضع انكار ، ان لم نقل انها كانت مستحبة لديهم ، وربما لم يخل ذلك من جفاف وبعد عن الطراءة أحياناً ٠

والقالي يحرص ـ في معظم ما يرويه ـ على ذكر أسانيد رواياته وأخباره٠ ويبدأ الخبر عنده عادة بقوله : « حدثنا » أو « حدثني » أو « أنشدني » أو « قرأت على فلان » ٠ وقد يبدؤه بقوله : « قال أبو علي » يعني نفسه ، وهي طريقة مألوفة عند أصحاب كتب الأمالي والمحاضرات ، ولا سيما عندما ينتقل أحدهم من موضوع الى آخر ، أو من مقام الى مقام ٠

ومن خصائص هذا الكتاب أيضاً أن مادته مشرقية صرف ، فلا تجد فيه شيئاً من أدب الأندلسيين وفكرهم ، ولا نصوصاً من شعرهم ونثرهم ، ويعود ذلك الى أن أبا علي حمل تلك المادة من المشرق ، ووفد على الأندلس حين اكتمل نضجه وعلمه ٠ وليس ببعيد أيضاً أنه كان راغبا في ارواء غليل أهل تلك الجزيرة بأخبار أجدادهم المشارقة ، واحياء تراثهم التليد الذي نأى عنهم وناوا عنه ٠

ولكتاب « الأمالي » بعد هذا أهمية كبيرة ، فهو يعد مصدراً لغوياً لا غنى عنه ، ذلك أن صاحبه متضلع من اللغة أقوى تضلع ، محيط بها أشد احاطة ، وهو فضلا عن ذلك خبير بالشعر وروايته ، عالم بمعانيه وأسراره ، واختياره لذلك الشعر النادر الثمين يدل على ذوق مرهف أصيل ، وحفظ واسع يذكرنا بالأصمعي والمفضل وغيرهما من رواة الشعر والأخبار ٠٠ فجاء كتابه من أمتع الكتب الأدبية واللغوية ، وأغزرها مادة ، وأضبطها رواية ، وأدقها تحقيقا ، وهو في جملته تحفة غنية من الاخبار والنصوص الجميلة ٠

وقد عرف القدماء فضل كتاب الأمالي ، فقام أبو عبيد البكري الأندلسي « ـ ٤٨٧ هـ » بشرحه في كتاب « **اللآلي في شرح أمالي القالي** » الذي طبع في القاهرة سنة ١٩٣٦ بتحقيق عبد العزيز الميمني ، في مجلدين باسم « **سمط اللآلي في شرح أمالي القالي** » ٠

وأعقب **البكري** ذلك بكتاب آخر تسقّط فيه هفوات القالي وأوهامه ، وسماه « **التنبيه على أوهام أبي علي في أماليه** » ، طبع مع الأمالي غير مرة ٠

كما أن أحمد بن عبد المؤمن **الشريشي** (ـ ٦١٩ هـ) ـ وهو من العلماء بالأدب والأخبار ـ اختصر كتاب الأمالي ، ولكن مختصره لم يصل الينا ، بل ذكرته كتب التراجم ٠

★ ★

طبع كتاب « الأمالي » أول مرة ، في جزأين ، بالمطبعة الكبرى الأميرية ، ببولاق مصر سنة ١٣٢٤ هـ ، الموافقة سنة ١٩٠٦ م ٠ ووضع له المستشرقان كرنكو وبيفان فهارس قيمة طبعت في ليدن سنة ١٩١٣ م ٠

ثم طبع الأمالي ثانية في مطبعة دار الكتب المصرية سنة ١٩٢٦ ـ ١٣٤٤هـ، مع « ذيل الأمالي والنوادر » و « كتاب النوادر » وكلها **لأبي علي** ، وألحق بها « كتاب التنبيه » للبكري ٠ ووضع لها محمد عبد الجواد الأصمعي خمسة فهارس متنوعة تيسر الانتفاع بها ٠

ثم طبع مرة ثالثة بمطبعة السعادة بمصر عام ١٣٧٣ هـ ـ ١٩٥٣ م عن طبعة دار الكتب المصرية مع الفهارس الوافية أيضاً ، بعهدة مصطفى اسماعيل يوسف ٠

وصدرت بعد ذلك طبعات أخرى للأمالي ، بطريقة التصوير عن احدى الطبعات الثلاث السابقة ، حتى انتشر الكتاب كثيراً بعد احتجاب ، وأصبح ميسور الاقتناء بعد عسر ٠

وعلى هذا ، فقد أصبحت طبعته المتداولة مجموعة من خمسة كتب ينتظمها جميعا مجلدان اثنان كبيران : يشتمل **أولهما** على كتاب « **الأمالي** » وحده بجزأيه معاً ، ويضم **المجلد الثاني** : « ذيل الأمالي والنوادر » و « كتاب النوادر » ـ وكلاهما للقالي أيضاً ـ وألحق بهما كتاب « التنبيه على أوهام أبي علي في أماليه » للبكري ٠



زهر الآداب
للحصري القيرواني

مؤلف الكتاب أبو اسحق ، ابراهيم بن علي ، الحصـري القيرواني ، الذي عاش في النصف الأول من القرن الخامس الهجري ، وتوفي سنة ٤٥٣ هـ . وهو أديب نقاد وشاعر مثقف ، نال في عصره شهرة واسعة ، وسارت تآليفه في البلاد . وفي شعره رقة وحلاوة ، وسجية وطبع . ومما قاله في الغزل :

كتمتُ هـواك حـتى عيـل صبري ... وأدنتني مـكاتمتي لِرمسي
وحبـك مالـك لحظي ولفظي ... واظهاري ، واضماري ، وحسي
فـان أنطِـق ففيـك جميع نطقي ... وان أسكت ففيك حديثُ نفسي(١)

وأشهر كتب الحصري : « زهر الآداب وثمر الألباب » وهو كتاب أدبي صرف ، جمع كل غريبة في فن القول من شعر ونثر ، وفي الكلام على البلاغة والبلغاء ، والشعر والشعراء والانشاء والمنشئين ، متنقلا بين الجد والهزل ، والمطبوع والمصنوع ، والمحاورة والمفاخرة مما حسُن لفظه ومعناه ، ولم يكن شارداً حوشياً ، ولا ساقطاً سوقيا ، حتى جاء هذا الكتاب صورة صادقة للعصر الذي عاش فيه مؤلفه ، وما آلفه الناس من ألوان الأدب المصفى ، وفن القول الجميل ، والمعارف الأدبية .

ذلك هو مضمون « زهر الآداب » ومحتواه . **أما خصائصه ومزاياه فنعدد فيما يلي أبرزها :**

١ ــ يقوم هذا الكتاب غالباً على الاستطراد ، والتنقل من موضوع الى آخر ، وصاحبه لا يعنى بترتيب المسائل ، ولا بتبويب الموضوعات ، لأن الأدب

---

(١) هناك حصري آخر هو أبو الحسن ، علي بن عبد الغني ، الحصري ، من القيروان أيضا ، كان شاعراً ضريراً . قيل انه ابن خالة أبي اسحق صاحب زهر الآداب ، وهو صاحب القصيدة المشهورة التي مطلعها :

يا ليلُ الصبُّ متى غدُه ... أقيامُ الساعة موعدُه
رقدَ السمارُ وارّقه ... أسف للبين يردده
فبكاه النجمُ ورقّ لـه ... مما يرعاه ويرصُده ...

لا موضوع له ، وكذلك كان يفهمه أبو اسحق الحصري ، ويرى زكي مبارك أن « هذه الطريقة من أهم الطرق في التأليف ، وان عابها من لا يفرق بين الموضوعات العلمية والموضوعات الأدبية » • وقد أشار الحصري نفسه في المقدمة الى أنه قد يجتح الى ترتيب مواد كتابه وتسلسلها تارة ، والى ارسال بعضها الآخر وتفريقها في مواضع شتى من كتابه « ليسلم من التطويل الممل ، والتقصير المُخل ، وتظهر في التجميع افادة الاجتماع ، وفي التفريق لذاذة الامتاع •• اذ كان الخروج من جد الى هزل ، ومن حَزن الى سهل ، أنفى للكلل ، وأبعد من المَلل ••• » •

٢ ــ عُني الحصري كثيراً بموضوع الوصف ، في كتابه ، وهو يُبدىء في ذلك ويُعيد ، ويكثر من ايراد النصوص الشعرية والنثرية في وصف البلاغة والبلغاء • والكتّاب والشعراء ، والفَرس ، والكتاب ، والدنيا ، والنار ، والماء ، والرعد ، والبرق ، والحُسن ، والمشيب ، والقصور ، والتقى ، والزهد ، والحسد ، والشباب ، والليل ، •• الخ • والوصف باب واسع له نصيب وافر في كل الأغراض والمعاني •• وكل هذه الأوصاف وغيرها ، كان يُعنى بها أهل ذلك العصر من المتقدمين الذين اهتموا بوصف ما تقع عليه أعينهم ، وما يجري في خواطرهم ، عامدين الى ذلك ومتقصين ، ولم يكن الوصف عندهم مما يأتي عفواً عند المناسبات الطارئة •

٣ ــ ويذكر الحصري في كتابه كثيراً من الآداب الاجتماعية التي كان الناس يحمدونها لعهده ، فهو يذكر مثلاً ما يجمل في معاملة الملوك ، ويتحدث عن الحرص على الأدب ، وواجب النُساخ ، وما الى ذلك مما يتصل بالمرء من حقوق وواجبات •

٤ ــ والحصري ينقل كثيراً عن معاصريه ، وقد يذكر جوانب من حياتهم ، ويورد شيئاً من شعرهم ونثرهم ، وهذا ما يعطينا صورة حية عن الشعر والنثر في القرنين الرابع والخامس •

٥ ــ وحاول الحصري ، ما أمكنه ذلك ، أن يُخلي كتابه من المجون والعبث ويحرص على الجانب الأخلاقي فيه ، ومن هنا غلب الطابع الجدي على الكتاب • وعلى الرغم من أنه يصرح في بعض المواضع أنه صان كتابه عن ذكر فاحش القول ، الا أنه غُلب على أمره أحياناً فأباح في ألفاف الكتاب ما لا يباح ، وتسمح فيما أخذ به نفسه من جد القول وبريء اللهو ، منساقاً الى شيء من العبث الماجن •

طبع زهر الآداب غير مرة ، وممن نشره زكي مبارك سنة ١٩٢٥ في أربعة أجزاء ، ثم أعاد نشره محمد محيي الدين عبد الحميد سنة ١٩٥٣ ، وتبعه علي البجاوي في طبعة علمية جيدة ، ذات فهارس متنوعة ، وتقع في جزاين اثنين ، طبعا سنة ١٩٥٣ أيضاً ·

ولأبي اسحق الحصري كتاب آخر في جزء واحد طبع أول مرة باسم « ذيل زهر الآداب » لأنه سار فيه على طريقته في زهر الآداب · ثم نشره البجاوي في طبعة جيدة محققة سنة ١٩٥٣ ورد اليه اسمه الأصلي وهو : **جمع الجواهر في المُلَح والنوادر** » · ويمتاز هذا الكتاب بجمعه للنوادر ، والفكاهات ، والمُلح ، الا أنه يستطرد أيضاً الى المختار من الشعر ، والجيد من النثر ، ويبتعد عن المجون وما تستهجنه العادات الحسنة والأخلاق الطيبة ، ويثبت ما ترتاح اليه الأرواح ، وتطيب له القلوب ، وتُشحد به الأذهان ، وتنشط لأجله النفوس ·

★ ★

تلك هي أشهر كتب الأدب والثقافة العامة في تراثنا العربي القديم حتى القرن الخامس للهجرة ، ولكن هذه الكتب لا تعد شيئا بالقياس الى ما عرفته المكتبة العربية في هذا الميدان ، فضلا عن غيره ، فما هي الا قطرة من بحر ، وغيض من فيض ، **اذ لم ينقطع التاليف في ذلك ، وألفت كتب جيدة منذ تلك العصور حتى عصور متاخرة ، ونورد منها على سبيل المثال ، للتذكرة :**

١ ــ **الامتاع والمؤانسة : لأبي حيان التوحيدي** « ــ نحو ٤٠٠ هـ »

٢ ــ **البصائر والذخائر : لأبي حيان التوحيدي** « ــ نحو ٤٠٠ هـ »

٣ ــ **بهجة المجالس : لابن عبد البر القرطبي** « ــ ٤٦٣ هـ »

٤ ــ **محاضرات الأدباء : للراغب الأصفهاني** « ــ ٥٠٢ هـ »

٥ ــ **نهاية الأرب في فنون الأدب : للنويري** « ــ ٧٣٢ هـ »

٦ ــ **صبح الأعشى في صناعة الانشاء : للقلقشندي** « ــ ٨٢١ هـ »

٧ ــ **المستطرف من كل فن مستظرف : للأبشيهي** « ٨٥٠ هـ »

٨ ــ **المخلاة : لبهاء الدين العاملي** « ــ ١٠٣١ هـ »

٩ ــ **الكشكول : لبهاء الدين العاملي** « ــ ١٠٣١ هـ »

١٠ ــ **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب : للمقري التلمساني** « ــ ١٠٤١ هـ » ·

الباب الرابع

كتب التراجم

وما إليها

تمهيد
في التعريف بكتب التراجم
واتجاهاتها وطرائفها

كتب التراجم هي تلك التي تحدثنا عن حياة الأعلام البارزين من الرجال والنساء ، على السواء ، في ميادين العلم ، والأدب ، والطب ، والاجتماع ، والسياسة ، واللغة ، والنحو ، والغناء ، والفلسفة ، .. الخ ٠

وان التأريخ لأولئك الأعلام ، في تراثنا العربي ، فن قائم بذاته يعرف بفن التراجم ٠ ويعد العرب في طليعة الأمم في هذا المضمار ، من حيث اهتمامهم بأخبار رجال العلوم والآداب ، ورسم معالم حياتهم ، حتى شغلت كتب التراجم في ذلك التراث أبين مكان ، واستغرقت أكبر حيز ٠ وهي — في جملتها — تقوم على ذكر تاريخ ولادة المترجم ، ونشأته العلمية ، ورحلاته ، وأساتذته ، وطلابه ، وبعض حكايات رويت ، وحوادث عرضت ، ويعقب ذلك تاريخ وفاته ٠ وربما ورد خلال ذلك شيء من مؤلفاته وآرائه المتعلقة باختصاصه الذي برز فيـــه ٠

وكتب التراجم هذه تعد من أغنى الكتب فائدة ، وأمتعها عرضاً ، لأنهـا لا تقتصر على عرض سِيَر أولئك الأعلام وأخبارهم وتجاربهم ورحلاتهم ، بل كثيرا ما تندرج خلال ذلك معارف وحقائق وأخبار غنية لا صلة لها مباشرة بالعلم الذي نقرأ ترجمته ، ومثل هذه المعارف الجانبية قد يفيد الباحث ، في شؤون أخرى مختلفة ، لما فيها من تنوع وجدة وطرافة ، وهي تأتي مصادفة في مطاوي تلك الكتب ، فيجد فيها القارىء صورة صادقة عن جانب أو أكثر من جوانب الحياة الاجتماعية ، والفكرية ، والعلمية ، والثقافية ، والأدبية ، في عصر من العصور ، أو في بلد من البلاد ٠

وربما كان الباعث الاول على ترجمة الرجال عند العرب ، يعود الى عناية المحدثين في بداية تدوين الحديث النبوي وجمعه — برواية الأحاديث والآثار المتعلقة بحياة النبي (ص) وغزواته ، وكذلك الحوادث المتعلقة بكبار الصحابة ، ولا سيما الخلفاء الراشدين ، فكان ذلك أساساً لوضع كتب السيرة النبوية ٠ وقد رووا أن أول من ألف في سيرة رسول الله (ص) عروة بن الزبير بن العوام

« ٢٣ ــ ٩٤ هـ » ، وأبان بن عثمان بن عفان « ٢٢ ــ ١٠٥ هـ » في العصر الأموي • وتبعهما كل من محمد بن اسحق المطلبي « ــ ١٥١ هـ » وعبد الملك ابن هشام المعافري « ــ ٢١٣ هـ » في الموضوع نفسه •

وكانت الخطوة التالية للمحدثين ، بعد جمعهم للأحاديث النبوية ، أن قاموا بنقد رواة تلك الأحاديث وتعديلهم أو تجريحهم ، وفي مقدمتهم شعبة بن الحجاج « ــ ١٦٠ هـ » ويحيى بن سعيد القطان (ــ ١٩٨ هـ) ، فتكون من ذلك مجموعات من تراجم الرواة ورجال الحديث وسيرهم وكناهم وألقابهم ، في كتب عرفت بكتب الجرح والتعديل ، أو كتب معرفة الرجال ، وتحمل عناوين مختلفة ، مثل : كتاب الضعفاء : للبخاري (ــ ٢٥٦ هـ) ، وكتاب الضعفاء والمتروكين : للنسائي « ــ ٣٠٣ هـ » ، وكتاب الكنى والأسماء : لأبي بشر الدولابي « ــ ٣٢٠ هـ » وكتاب الجرح والتعديل : لعبد الرحمـــن الرازي « ــ ٣٢٧ هـ » • ثم توالت أمثال هذه الكتب بعد ذلك •

وجاء رجال الأدب واللغة وما اليها فقلدوا المحدثين وحذوا حذوهم ، في تأليف كتب تعنى بتراجم الرجال والنساء في كل علم وفن ، ويبدو أثر المحدثين بارزاً في عناية مؤلفي كتب التراجم الأدبية وغيرها بأسانيد رواياتهم ، على طريقة أسانيد المحدثين ، وسردها بين يدي كل خبر يوردونه • وهذا التأثر واضح في كتاب الأغاني ، لأبي الفرج الأصفهاني وعيون الأخبار ، لابـــن قتيبة ، وغيرهما •

ويعود السبب في ازدهار فن التراجم عنـد العـرب في العصـر العباسي الى اتساع نطاق المعرفة ، وكثرة عدد الأعيان والأعلام البارزين الذين كانت لهم فعاليات قوية في تاريخ الحياة العربية ، والمعارف الاسلامية ، والفنون الأدبية والثقافية ، والتيارات الفكرية ، فكان من الطبيعي أن تتجه عناية المصنفين والعلماء الى الكتابة عن هؤلاء جميعاً ، والترجمة لهم ، اما على نطاق فردي ، يعنى بالترجمة لعلم مشهور بعينه ، فيخصه بكتاب مستقل[1] ، واما على نطاق جماعي ، يعنى بالترجمة لعدد وافر من الأعلام ، يجمع شملهم في كتاب واحد يؤلف بينهم ، وهذا هو المنحى الغالب في كتب التراجم القديمة ، وهو الذي يهمنا هنا •

(١) من ذلك : السيرة النبوية : لابن هشام • وسيرة عمر بن عبد العزيز : لعبد الله بن عبد الحكم • ومثله لابن الجوزي • وأخبار أبي نواس : لابي هفان المهزمي • ومثله لابن منظور • والنوادر السلطانية « في سيرة صلاح الدين » : لابن شداد • والحسن البصري : لابن الجوزي • والصبح المنبي عن حيثية المتنبي : ليوسف البديعي •

وهذه الكتب المؤلفة في التراجم المجتمعة تختلف في مضامينها وطبيعة الأعلام الذين تترجم لهم من جهة ، كما تختلف عنواناتها ـ من جهة أخرى ـ اختلافاً قد يدل على منهجها ومضمونها ، وقد لا يدل على ذلك . مثل : الشعر والشعراء ، المؤتلف والمختلف ، معجم الشعراء ، مراتب النحويين ، جذوة المقتبس ، وفيات الأعيان ، تاريخ بغداد ، الفلاكة والمفلوكون ، نساء الخلفاء ، أخبار النحويين البصريين ، معرفة القراء الكبار ، المحمدون من الشعراء ، ..... الخ .

ومما يلفت النظر أن **بعض كتب التراجم يحمل عنوان « الطبقات »** وهذا النوع من الكتب يترجم لجماعات من الأعيان اتفقت في الغالب اختصاصاتهم ، وتلاقت ثقافاتهم ، فيصنفون تصنيفاً « طبقيا » معينا يقوم على مراعاة الزمان ، أو المكان ، أو المنزلة العلمية ، أو يخرج عن ذلك الى ترتيب الأسماء على حروف المعجم ، أو يجمع بين ذلك ، كله أو بعضه ، بطريقة ما . وربما كان الكتاب يحمل اسم « طبقات » ولكنه يخلو من أي تقسيم ذي مفهوم طبقي سوى ذكر منزلة العالم نفسه خلال الترجمة له . ومن الأمثلة على ذلك كله : الطبقات الكبرى ، طبقات فحول الشعراء ، طبقات النحويين واللغويين ، نزهة الألباء في طبقات الأدباء ، طبقات الشعراء ، عيون الأنباء في طبقات الأطباء ..

وكذلك تختلف الاتجاهات التي سلكها مؤلفو كتب التراجم ، والطرائق التي اعتمدوها في اختيار الأعلام المترجمين ، من حيث اختصاصاتهم وعصورهم والصفات الغالبة عليهم ، ونواحي النشاط التي قاموا بها في حياتهم . وفي ضوء ذلك **يمكن أن نميز الاتجاهات والميادين التالية في تأليف كتب التراجم عامـــة :**

١ ـ **بعض المؤلفين اقتصر في تراجمه على أهل مدينة بعينها** ، ممن ولد في تلك المدينة ونشأ فيها ، أو مرّ بها ، أو توفي فيها . مثل : تاريخ بغداد : للخطيب البغدادي « ـ ٤٦٣ هـ » ، وتاريخ دمشق : لابن عساكر « ـ ٥٧١ » ، ودرّ الحبب في تاريخ أعيان حلب : لابن الحنبلي الحلبي « ـ ٩٧١ » .

٢ ـ **وبعضهم اهتم بتراجم الصحابة وحدهم** ، دون غيرهم من الأعلام الآخرين ، ومن هذه الكتب : الاستيعاب في معرفة الأصحاب : لابن عبد البر ـ ٤٦٣ هـ) ، وأسد الغابة في معرفة الصحابة : لعز الدين بن الأثير «ـ ٦٣٠» لاصابة في تمييز الصحابة : لابن حجر « ـ ٨٥٢ » .

٣ ـ **وحظي المتصوفة والزهاد بكتب خاصة بهم** ، تترجم لهم ، وتجمع أخبارهم ، مثل : طبقات الصوفية : للسلمي (ـ ٤١٢ هـ) وحلية الأولياء : لأبي نعيم الأصفهاني « ـ ٤٣٠ » ، وصفة الصفوة : لابن الجوزي « ـ ٥٩٧ » .

٤ ـ **ومن المؤلفين من ترجم لأعيان عصره الذي عاشه** ، والعصر القريب منه ، ومن أمثلة ذلك : كتاب يتيمة الدهر : للثعالبي « ـ ٤٢٩ هـ » ، ودمية القصر : للباخرزي « ـ ٤٦٧ » ، والذخيرة في محاسن أهل الجزيرة : لابن بسام الأندلسي « ـ ٥٤٢ » ، وخريدة القصر : للعماد الأصفهاني « ـ ٥٩٧ » .

٥ ـ وراعى بعض المؤلفين في تراجمهم **اختصاص المترجمين ، والميادين العلمية والفكرية التي برّزوا فيها أكثر من غيرها** ، اذا كان الواحد منهم متعدد الجوانب والاختصاصات . وهذا يحتاج الى مزيد من التحري والتمحيص، وربما اختلفت فيه وجهات النظر أحيانا ، وأهم هذه الجوانب : الشعر ، واللغة والنحو ، والقراءات القرآنية ، والحديث النبوي ، والطب ، والفلسفة والحكمة ، والتفسير ، والفقه .. ونذكر فيما يلي كتباً مؤلفة في بعض هذه الجوانب :

آ ـ **تراجم الشعراء** : طبقات فحول الشعراء : لابن سلام الجمحي « ـ ٢٣٢ هـ » والشعر والشعراء : لابن قتيبة « ـ ٢٧٦ » ، وطبقات الشعراء المحدثين : لابن المعتز « ـ ٢٩٦ » ، والأغاني : لأبي الفرج الأصفهاني « ـ ٣٥٦ » والمؤتلف والمختلف : للآمدي « ـ ٣٧٠ » ومعجم الشعراء : للمرزباني « ـ ٣٨٤ » والمحمدون من الشعراء : للقفطي « ـ ٦٤٦ » .

ب ـ **تراجم اللغويين والنحويين** : وقد جمع المؤلفون بين هؤلاء وأولئك في كتب واحدة ، لأنك قل أن ترى لغوياً لا يشتغل في النحو ، أو نحوياً لا يشتغل في اللغة . ومن هذه الكتب : مراتب النحويين : لأبي الطيب اللغوي « ـ ٣٥١هـ» وأخبار البصريين : لأبي سعيد السيرافي « ـ ٣٦٨ » ، وطبقات النحويين واللغويين : لأبي بكر الزُبيدي الأندلسي « ـ ٣٧٩ » ، ونزهة الألباء في طبقات الأدباء : لابن الأنباري « ـ ٥٧٧ » ، وانباه الرواة على أنباه النحاة : للقفطي « ـ ٦٤٦ » وبغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة : للسيوطي « ـ ٩١١ » .

ج ـ **تراجم الأطباء والحكماء والفلاسفة** : طبقات الأطباء والحكماء : لابن جُلجل « ـ ٣٧٧ هـ » وهو من أقدم ما أُلف في هذا الموضوع . وكتاب

تاريخ حكماء الاسلام : لظهير الدين البيهقي « ـ ٤٦٥ » واخبار العلماء بأخبار الحكماء : للقفطي « ـ ٦٤٦ » ، وعيون الأنباء في طبقات الأطباء : لابن أبي أصيبعة « ـ ٦٦٨ » ٠

٦ ـ **وهناك كتب التراجم العامة** التي لا تختص بفئة معينة ، ولا بطائفة محدودة ، بل تشمل جمهرة الأعلام والأعيان المشهورين في العصور كافة ، على اختلاف مشاربهم وثقافاتهم وصفاتهم العلمية والسياسية والاجتماعية والفنية، منذ القديم حتى عصر المؤلف ، مهما كان الميدان الذي برز فيه نشاطهم أو اختصاصهم ، ولا سيما الأدباء الذين أخذوا من كل علم بطرف ، وأسهموا في ميادين التأليف والتصنيف ، ومن تلك الكتب : **المنتظم في تاريخ الملوك والأمم** : لابن الجوزي « ـ ٥٩٧ هـ » **ومعجم الأدباء** : لياقوت الحموي « ـ ٦٢٦ » ، **ووفيات الأعيان** : لابن خلكان « ـ ٦٨١ » و **فوات الوفيات** : لابن شاكر الكتبي « ـ ٧٦٤ » والوافي بالوفيات « ـ ٧٦٤ » ، والبدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع : للشوكاني « ـ ١٢٥٠ » ٠

ومن هذا النوع كتب ألفت على القرون الهجرية ، مثل : الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة : لابن حجر « ـ ٨٥٢ هـ » والضوء اللامع لأهل القرن التاسع : للسخاوي « ـ ٩٠٢ » ٠

وهذه الكتب جميعاً ، المؤلفة في التراجم المختلفة ، لا تسير على منهج واحد في الترتيب والتنظيم ، فقد تتفق فيما بينها حيناً ، وتختلف حيناً آخر :

ـ **فقد ترتب أسماء الأعلام المترجمة ترتيبا هجائيا** : وربما بدىء قبل ذلك كله بالمحمدين والأحمدين ، ثم تتسلسل حروف الهجاء من الهمزة الى الياء: كبغية الوعاة للسيوطي ٠

ـ **وقد يكون الترتيب فيما بين الأعلام زمنيا في الأغلب** ، يراعى فيه الأقدم ، فالأقدم : كالشعر والشعراء لابن قتيبة ، ونزهة الألباء للأنباري ٠

ـ **وبعض كتب التراجم حشدت فيها أسماء الأعلام موزعة على البلدان** والأقاليم المختلفة المشهورة : كالعراق ، ومصر ، وبلاد الشام ، ٠٠ الخ ٠ كيتيمة الدهر للثعالبي ٠

ـ **وقد يكون للمفهوم « الطبقي » أثره في التقسيم والترتيب** ، بحسب المنزلة العلمية أو الأدبية أو الشعرية للمترجمين ، فيوزعون على طبقات مختلفة، كما في (طبقات النحويين واللغويين) للزبيدي الأندلسي ٠

ـ **وقد تتوالى تراجم الأعلام متسلسلة بحسب سنوات وفياتهم** ، سنة سنة ، حيث يترجم في كل سنة لمن مات فيها ، ثم التي بعدها وهكذا ، مثل كتاب المنتظم لابن الجوزي ، والنجوم الزاهرة ، لابن تغري بردي ، وشذرات الذهب لابن العماد الحنبلي ٠

ـ **وقد يجمع المؤلف بين طريقتين أو أكثر من هذه الطرائق والمناهج** في شكل يرتضيه لكتابه ، وتقتضيه طبيعة هذا الكتاب ومن يترجم لهم ٠٠

ثم ان هناك كتباً أخرى يمكن أن تنسلك في هذا السّمط ، وهي كتب تعنى بترجمة المادة العلمية نفسها ، وتعرّف بأبرز أصحابها والمؤلفين فيها ، وتذكر أسماء كتبهم التي ألفوها في هذا الميدان ٠ ذلك أنه لما اتسعت العلوم عند العرب، وكثرت المؤلفات في الموضوعات المختلفة ، أصبحت الحاجة ماسة الى الاحاطة بتلك العلوم وميادينها وأشهر من برّز فيها ٠ ومن هنا ظهرت تلك الكتب التي تعنى بتقصي جوانب التراث العربي ، مؤلفاً ومترجما ، وحصر العلوم واحصائها ، والقيام بوصفها وبيان طبيعتها وحدودها ، والتعريف بأصحابها في وقت واحد، في مسارد شاملة للعلوم العربية وللعلماء معاً ، وراصدة للنتاج الفكري على مر العصور ، منذ أن عرف العرب التدوين والتاليف ٠ فهي اذن كتب تتناول العلوم وأصحابها معاً ٠

ومن امثلة ذلك : الفهرست : لابن النديم (أواخر القرن الرابع ، أو أوائل القرن الخامس) والفهرست : لابن خير الاشبيلي « ـ ٥٧٥ هـ » ، وارشاد القاصد الى أسنى المقاصد:لابن ساعد الأنصاري السنجاري « ـ ٧٤٩هـ» ومفتاح السعادة : لطاشكبري زاده « ـ ٩٦٨ هـ » وأسماء الكتب : لعبد اللطيف ابن محمد رياضي زاده « القرن ١١ هـ » ، وكشف الظنون : لحاجي خليفة « ـ ١٠٦٧ هـ » ٠

ويحسن أن نلحق بهذا الجانب أيضاً ما ألفه العلماء من كتب تعرف بالمدن والأقاليم والمواضع التي كانت مراكز للعلم والثقافة ، أو منتجعات للرحالة والمسافرين ، أو مقاصد للحجاج والمجاورين ، في أصقاع العالم العربي والاسلامي ، **وهذه الكتب تعرف بكتب الرحلات والبلدان ، مثل** : رحلة ابن جبير « ـ ٦١٤ هـ » ورحلة ابن بطوطة « ـ ٧٧٩ هـ » المسماة : « تحفة النظار

في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار » ٠ وأحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم : للمقدسي (ــ نحو ٣٩٠) ، ومعجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع : لأبي عبيد البكري « ــ ٤٨٧ هـ » والروض المعطار في خبر الأقطار : للحميري (ق ٧ ــ ٨ هـ) ومعجم البلدان : لياقوت الحموي « ــ ٦٢٦ هـ » ٠

وفي العصر الحديث كثرت كتب التراجم المفردة خاصة ، حتى كادت تطغى، بل طغت على كتب التراجم المجتمعة ٠ الا أنه لا بد من التنويه ببعض كتب التراجم العامة الشاملة في هذا العصر ، وهي ثلاثة :

الأعلام : لخير الدين الزركلي « ــ ١٩٧٦ م » ومعجم المؤلفين ، وأعلام النساء : وكلاهما لعمر رضا كحالة ٠

وسوف نتناول بالدراسة في الصفحات التالية بعضاً من كتب التراجم والبلدان ومسارد المؤلفات في تراثنا العربي ، قديماً وحديثا ٠

* * * *

الفصل الأول
كتب تراجم الشعراء

طبقات فحول الشعراء
لابن سلام الجمحي

هذا أقدم كتاب وصل الينا في تراجم الشعراء القدامى ، وتصنيفهم في طبقات • ألفه **أبو عبدالله محمد بن سلام الجُمَحي** ، الذي ولد في البصرة ، وعاش حياته في بغداد ، وكانت نشأته في بيت علم وثقافة ، فأبوه راوية أدب ، وأخوه عبد الرحمن من رواة الحديث • أما محمد فقد درس على جلة من شيوخ الأدب واللغة في عصره : كالأصمعي ، وخلف الأحمر ، وأبي عبيدة معمر ابن المثنى ، والمفضل الضبي ، •• وحظي بين معاصريه بمكانة رفيعة ، وكان موضع اجلال الناس جميعاً •

وقد روى عنه من كبار علماء عصره : أحمد بن حنبل ، وثعلب ، وأبو عثمان المازني ، ويحيى بن مَعين ، وابن أخته أبو خليفة الجمحي ••

توفي ابن سلام سنة ٢٣٢ هـ وقد ناهز التسعين من عمره ، وله من الكتب : كتاب بيوتات العرب ، وكتاب الفاصل في مُلَح الأخبار والأشعار ، وكتاب غريب القرآن ، وكتاب طبقات فحول الشعراء •••

ولكن لم يصل الينا من كتبه سوى الأخير : « **طبقات فحول الشعراء الجاهليين والاسلاميين** » وعنوانه الكامل هذا يدل على مضمونه ومحتواه • وربما يسمى اختصاراً « طبقات فحول الشعراء » أو « طبقات الشعراء » • أو « طبقات ابن سلام » • وقد رواه عن ابن سلام : ابن أخته أبو خليفة الجمحي ، واسمه الفضل بن الحُباب ، وكان من رواة الأخبار والأشعار والآداب والأنساب •

وكتاب « طبقات فحول الشعراء » يتألف من مقدمة طويلة ، تتبعها تراجم الشعراء •

أما المقدمة فهي تقارب الخمسين صفحة بحواشيها ، في الطبعة الأخيرة للكتاب ، وقد أوضح ابن سلام في هذه المقدمة منهجه في كتابه ، وتناول عدداً من القضايا الأدبية المهمة ، التي تتصل بتاريخ الأدب ، والنقد الأدبي ، والتي سبق فيها ابن سلام غيره ، في مقدمة تعد الأولى من نوعها ، ونكتفي هنا بعرض أهم تلك القضايا :

وقد كانت قضية الشعر « الموضوع » أول ما تحدث عنه ابن سلام ، فقال : « وفي الشعر مصنوع مُفتعل موضوع كثير لا خير فيه ، ولا حُجّة في عربية ، ولا أدبٌ يستفاد ، ولا معنىً يُستخرج ٠٠ » ، وبين سبب ذلك بأن الناس لم يأخذوا هذا الشعر من منبعه الأصلي ، فقال : « وقد تداوله قوم من كتاب الى كتاب ، لم يأخذوه عن أهل البادية ، ولم يعرضوه على العلماء ، وليس لأحد ـ اذا أجمع أهل العلم والرواية الصحيحة على ابطال شيء منه ـ أن يقبل من صحيفة ، ولا يُروى عن صُحفي[1] » ٠ ومما يجدر ذكره هنا أن كل من كتب في عصرنا هذا ، في موضوع نحل الشعر الجاهلي كان عالة على ابن سلام ٠

وينتقل ابن سلام في مقدمته الى فكرة أخرى يبدو من خلالها مؤمنـاً بالتخصص في العلم والأدب ونقد الشعر ، كما هو الشأن في كل صناعة فيقول : « وللشعر صناعة وثقافة يعرفها أهل العلم ، كسائر أصناف العلم والصناعات ٠٠ من ذلك اللؤلؤ والياقوت ، لا تعرفه بصفة ولا وزن ، دون المعاينة ممن يبصره ٠٠ ويقال للرجل والمرأة في القراءة والغناء : انه لندي الحلق ، طلّ الصوت[2] ، طويل النفس ، مصيب للحن ، ويوصف الآخر بهذه الصفة ، وبينهما بون بعيد ٠ يعرف ذلك العلماء عند المعاينة والاستماع له ، بلا صفة يُنتهى اليها ، ولا علم يوقف عليه » ٠

ويرى ابن سلام أن الراوية الاخباري محمد بن اسحق المطلبي « ـ ١٥١هـ » « كان ممن أفسد الشعر وهجنه ، وحمل كل غُثاء منه[3] ٠٠ وكان أكثر علمه

---

(١) الصحفي : الذي يأخذ عن صحيفة ، لم يعرض على العلماء ، ولم يتلق علمه بالرواية ٠

(٢) ندي الحلق : طري الحلق ، وهذا أرفع لصوته ، وأبعد لمذهبه ٠ وطل الصوت : حسّنه وعذبه وناعمه ، بهيج النغمة ٠

(٣) هجن الشيء : قبحه وأدخل فيه آفة تعيبه ٠ والغثاء : ما يحمل السيل من الزبد وورق الشجر البالي ٠

بالمغازي والسِّير وغير ذلك ، فقبل الناس عنه الأشعار -، وكان يعتذر منها ويقول : لا علم لي بالشعر ، أُتينا به فأحمله · ولم يكن ذلك له عُذراً ·· » ·

ويتناول قضية أنساب العرب ، وأول من تكلم بالعربية قديماً ، فيشك فيما فوق عدنان من « أسماء لم تؤخذ الا عن الكتب ، والله أعلم بها ، لم يذكرها عربي قط » كما يشك في ذلك الشعر الذي يُنسب الى عاد وثمود ، وهو « ليس بشعر ، انما هو كلام مؤلف معقود بقواف » ويلخص رأيه في ذلك قائلا : « فنحن لا نقيم في النسب ما فوق عدنان ، ولا نجد لأولية العرب المعروفين شعراً ، فكيف بعاد وثمود ؟ فهذا الكلام[1] الواهن الخبيث · ولم يرو قط عربي منها بيتا واحداً ولا راوية للشعر ، مع ضعف أسره ، وقلة طلاوته » ·

والى جانب ما تقدم من قضايا أدبية ونقدية ، عرض ابن سلام في مقدمة كتابه ـ لنشأة النحو العربي ، على يد أبي الأسود الدؤلي ومن أخذ عنه مثل يحيي بن يعمر ، وميمون الأقرن ، ونصر بن عاصم الليثي ، كما تحدث عن شيوع اللحن على الألسنة ، ولا سيما في العصر الأموي ، ووقوف علماء اللغة في وجه اللحن واللاحنين ·

ويعود ثانية الى الشعر فيتكلم على نشأة الشعر العربي وتحوله في القبائل ، وضياع قسم كبير منه ، ومتى قُصدت القصائد ؟ ويشير في ايجاز الى ما قام به الخليل بن أحمد من استخراج الأوزان ووضع علم العروض ·

* *

تلك هي أهم القضايا التي تناولها ابن سلام في مقدمة كتابه « طبقات فحول الشعراء » ، وتأتي بعد ذلك تراجم الشعراء الجاهليين والاسلاميـــين ، وقد اقتصر ابن سلام على المشهورين المعروفين منهم ، فقال في المقدمة : «ذكرنا العرب وأشعارها ، والمشهورين المعروفين من شعرائها وفرسانها وأشرافها وأيامها ، اذ كان لا يحاط بشعر قبيلة واحدة من قبائل العرب ، وكذلك فرسانها وساداتها وأيامها ، فاقتصرنا من ذلك على ما لا يجهله عالم ، ولا يستغني عن علمه ناظر في أمر العرب » ·

وقد رتب ابن سلام الشعراء في كتابه على طبقات ، بحسب معايير ارتضاها لنفسه ، وهذه المعايير تراعي بيئات الشعراء تارة ، وعصرهم تارة أخرى ،

(١) الكلام : خبر المبتدأ « هذا » · والاشارة الى رواية ابن اسحق شعراً لعاد وثمود ·

والموضوعات التي طرقوها تارة ثالثة ، الى جانب اعتبارات أخرى فنية كالجودة والكثرة في شعر كل شاعر ٠

وهذه الطبقات موزعة على النحو التالي :

١ ـ **طبقات فحول الجاهلية** : وقد اختار هنا ابن سلاّم أربعين شاعراً وزعها على عشر طبقات ، في كل طبقة أربعة شعراء اجتمع أهل العلم على أنهم أشعر العرب طبقة ، ثم اختلفوا في المفاضلة بينهم :

فالطبقة الأولى : امرؤ القيس ، والنابغة الذبياني ، وزُهير بن أبي سلمى ، والأعشى ٠

والطبقة الثانية : أوس بن حجر ، وبشر بن أبي خازم ، وكعب بن زهير ، والحطيئة ٠

والطبقة الثالثة : النابغة الجعدي ، وأبو ذؤيب الهذلي ، والشماخ ابن ضرار ، ولبيد بن ربيعة ٠٠٠ الخ ٠

٢ ـ **طبقة أصحاب المراثي** : وعددهم أربعة وهم : متمم بن نويرة ، والخنساء ، وأعشى باهلة ، وكعب بن سعد الغنوي ٠

٣ ـ **طبقة شعراء القرى العربية** : وتشمل شعراء أربعة مواضع :

آ ـ **شعراء المدينة** ، وهم خمسة : حسان بن ثابت ، وكعب بن مالك ، وعبد الله بن رواحة ، وقيس بن الخطيم ، وأبو قيس الأسلت (ثلاثة مخضرمون ، واثنان جاهليان) ٠

ب ـ **شعراء مكة** : وعددهم تسعة من الجاهليين والمخضرمين ، منهم : عبد الله بن الزِّبعرى ، وأبو طالب بن عبد المطلب ، وأبو سفيان بن الحارث ، وضرار بن الخطاب الفهري ٠٠

ج ـ **شعراء الطائف** : وهم خمسة من الجاهليين والمخضرمين وكلهم من قبيلة ثقيف ، مثل : أمية بن أبي الصلت ، وأبي محجن الثقفي ٠٠

د ـ **شعراء البحرين** : ثلاثة : المثقب العبدي ، والممزق العبدي ، والمفضل النكري ٠

٤ ــ **طبقة شعراء يهود** : وهم ثمانية ، منهم : السموءل ، وكعب بن الأشرف ٠٠

٥ ــ **طبقات فحول الاسلام** : وعددهم أربعون شاعراً ، معظمهم من شعراء العصر الأموي ، كجرير ، والفرزدق ، وكثير عزة ، وجميل بثينة ، ورؤبة ابن العجاج ٠ وفيهم مخضرمون كحميد بن ثور ، وجاهليون كبشامة بن الغدير٠ وقد وزعهم ابن سلام على عشر طبقات أيضاً ، كما فعل في فحولَ الجاهلية ، وفي كل طبقة أربعة شعراء :

الطبقة الأولى : جرير ، والفرزدق ، والأخطل ، والراعي النميري ٠

والطبقة الثانية : البعيث المُجاشعي ، والقُطامي ، وكثير عزة ، وذو الرُّمة ٠

والطبقة الثالثة : كعب بن جُعيل ، وعمرو بن أحمر ، وسحيم بن وثيل ، وأوس بن مغراء ٠٠ الخ ٠

وبذلك يصبح مجموع شعراء كتاب ابن سلام ٤ ، ١ شاعراً ٠

ويلاحظ على هذا التوزيع « الطبقي » ما يلي :

١ ــ أن ابن سلام يفصل بين فحول الجاهلية وفحول الاسلام بأصحاب المراثي ، وشعراء القرى العربية ، ومن كانوا يتخذون اليهودية ديناً ، وان العدد في كل طبقة لا يقتصر دائماً على أربعة ٠

٢ ــ وأنه خلط الجاهليين والاسلاميين في الطبقة الواحدة أحياناً ، ولا سيما في فحول الجاهلية ، وفحول الاسلام معاً ، ولم يعتبر المخضرمين طبقة قائمة بنفسها بل نزلهم منازلهم ، من طبقات أهل الجاهلية ، وطبقات أهل الاسلام ٠ ففي الطبقة الثانية من الجاهليين : أوس بن حجر ، وبشر بن أبي خازم ، وهما جاهليان ، ومعهما كعب بن زهير والحطيئة ، وهما مخضرمان ٠ والطبقة الثالثة كلها مخضرمون ٠

وشعراء الطبقة الأولى من فحول الاسلام كلهم أمويون ، وفي الطبقة الثامنة بشامة بن الغدير ، وقراد بن حنش ، وهما جاهليان ، ومعهما شبيب ابن البرصاء ــ وهو مخضرم ــ وعقيل بن علفة ، وهو أموي ٠٠

٣ ـ ولم يوضح ابن سلام القواعد التي بنى عليها اختياره لشعراء كل طبقة ، واتخذها أساساً للمفاضلة بين أصحابها . وربما كان من أسباب تفضيله للشاعر كثرة شعره من جهة ، وجودته الفنية من جهة أخرى . ولا يبعد أن يكون ابن سلام قد تابع في هذا الاختيار والتفضيل آراء العلماء قبله ، فهو يقول في مقدمة كتابه : « ثم انا اقتصرنا[1] ـ **بعد الفحص والنظر والرواية عمن مضى من أهل العلم ـ الى رهط أربعة ، اجتمعوا على أنهم أشعر العرب طبقة** ، ثم اختلفوا فيهم بعد . . » .

٤ ـ وفي ترجمته للشاعر يبدأ بذكر نسبه ، ثم يورد رأي العلماء في شعره ، وقد يوازن بينه وبين غيره من الشعراء ، مؤيداً ما يذهب اليه بأشعار ذلك وهؤلاء . وربما فسر في أحيان قليلة بعض الألفاظ الغريبة الواردة في تلك الأشعار .

وخلاصة القول في كتاب « طبقات فحول الشعراء » أن « ابن سلام هذّب النقد الساذج من موروث الجاهلية ، وان لم يضف اليه كثيراً ، وحاول أن يدخل في تاريخ الأدب اتجاهاً نحو التفسير والتعليل ، ومحاولة للتبويب والتنظيم ، تخضع لأسس ، وتنهض على قواعد ، واهتماماً بسير الشعراء وحياتهم ، ليفسر في ضوئها انتاجهم . وان لم يكن قد بلغ الغاية في كتابه ، فحسبه أن وضع اللبنة الأولى »[2] .

طبع كتاب ابن سلام هذا منذ سنة ١٩١٣ م حتى اليوم عدة طبعات ، آخرها وأجودها : الطبعة التي حققها محمود محمد شاكر ، وقد نشرت طبعته هذه اول مرة في مصر سنة ١٩٥٢ ثم أعاد تحقيق الكتاب من جديد في طبعة ثانية أكمل وأوفى سنة ١٩٧٤ في جزأين . وفي أوائل عشر الثمانين صورت تلك الطبعة الثانية وأضاف اليها المحقق جزءاً آخر بعنوان « برنامج طبقات فحول الشعراء » ضمنه بعض التوضيحات حول عمله في الكتاب ، من جهة ، وبعض الردود على من انتقد هذا العمل في الطبعتين السابقتين من جهة أخرى . ويقع هذا « البرنامج » في ١٧٩ صفحة ، وتاريخ مقدمته هو ١٩٨٠ م .

---

(١) اقتصرنا : معناه هنا : انتهينا ، ولذلك عدّاه بحرف الجر « الى » .

(٢) دراسة في مصادر الأدب ، د. طاهر أحمد مكي ١٥١ .

ونذكر فيما يلي نصا من كتاب « طبقات فحول الشعراء » يتضمن ترجمة زهير بن أبي سلمى ، وقد جعله ابن سلام في الطبقة الأولى من فحول الجاهلية :

« وزهير بن أبي سلمى ــ واسم سُلمى : ربيعة ــ بن رياح بن قُرط بن الحارث بن مازن بن ثعلبة بن ثور بن هدمة بن لاطم بن عثمان بن مزينة ·

أخبرني عيسى بن يزيد بن دأب باسناد له عن ابن عباس قال : قال لي عمر : أنشدني لأشعر شعرائكم · قلت : من هو يا أمير المؤمنين ؟ قال : زهير · قلت : وكان كذلك ! قال : كان لا يعاظل في الكلام ، ولا يتتبع حوشيه ، ولا يمدح الرجل الا بما فيه[1] ·

وأخبرني عمر بن موسى الجُمحي ، عن أخيه قُدامة بن موسى ــ وكان من علماء أهل المدينة ــ أنه كان يقدم زهيراً · قلنا : فأيُّ شعره كان اعجب اليه ؟ قال : التي يقول فيها :

قد جعل المبتغون الخيرَ في هَرِمٍ ... والسائلون الى أبوابه طُرُقا
مَنْ يلقَ يوماً ، على علاته ، هرِماً ... يلقَ السماحة منه والندى ُخلُقا

وقال أهل النظر : كان زهير أحصفهم[2] شعراً ، وأبعدهم من سخف ، وأجمعهم لكثير من المعنى في قليل من المنطق ، وأشدهم مبالغة في المدح[3] ، وأكثرهم أمثالا في شعره ·

وأخبرني أبو قيس العنبري ــ ولم أر بدويا يزيد عليه[4] ــ عن عكرمة ابن جرير ، قال : قلت لأبي : يا أبه ، مَن أشعر الناس ؟ قال : أعن أهل الجاهلية تسألني أم عن أهل الاسلام ؟ قلت : ما أردت الا الاسلام ، فاذ ذكرت الجاهلية فأخبرني عن اهلها · قال : زهير شاعرهم · قال : قلت : فالاسلام ؟

---

(1) المعاظلة : أن يعقد الكلام ، ويوالي بعضه فوق بعض حتى يتداخل ويغمض · وحوشيّ الكلام : وحشيه وغريبه ·

(2) أحصفهم : أحكمهم وأجزلهم · من الحصافة : جودة الرأي واحكامه ·

(3) المراد بالمبالغة هنا : الاجتهاد في تصحيح معنى المدح ، وتوفيته حقه ·

(4) أي يزيد عليه أو يماثله في حسن الحديث ، وسعة الرواية ·

قال : الفرزدق نبعة الشعر[1] • قلت : فالأخطل ؟ قال : يجيد مدح الملوك ، ويصيب صفة الخمر • قلت : فما تركت لنفسك ؟ قال : دعني ، فاني نحرت الشعر نحراً[2] •

★ ★

(۱) النبعة : نوع من الشجر ينبت في أعالي الجبال ، تتخذ من أعواده القسي • يعني أن فضل شعر الفرزدق على الشعر كفضل القوس المتخذة من شجر النبع على سائر القسيّ •

(۲) يعني كأنه قتل الشعر ، تمكناً منه واقتداراً عليه •

الشعر والشعراء

لابن قتيبة

هذا كتاب آخر في تراجم الشعراء القدامى ، ألفه **ابن قتيبة**[1] . **وقد مهد له بمقدمة نقدية طويلة أيضا** ، تقارب الخمسين صفحة ، كما فعل ابن سلام من قبل .

ومقدمة كتاب « الشعر والشعراء » تتضمن عدة موضوعات ، أهمها :

١ ــ **كثرة الشعراء العرب فيما مضى من العصور** ، ولا سيما المغمورون الذين قل ذكرهم وكسد شعرهم ، ولا يعرفهم الا بعض الخواص . والشعراء المعروفون بالشعر عند عشائرهم وقبائلهم في الجاهلية والاسلام أكثر من أن يحيط بهم محيط ، ولو أنفد عمره في التنقير عنهم .

٢ ــ **المساواة بين الشعراء القدامى والمحدثين** في الترجمة لهم ، والاختيار من أشعارهم . وابن قتيبة هنا يقف موقفاً يُحمد عليه ، وقد كرره في مقدمة كتابه « عيون الأخبار » أيضاً . ومثل هذا الموقف في عصر ابن قتيبة كان له دوي كبير ، اذ كان الناس أو جمهرتهم يتعصبون للقديم وحده ، ويعرضون عن الشعر المحدث ، أو لا ينظرون اليه بعين الرضا والقبول ، فجاء ابن قتيبة ليعلن تلك المساواة في كلام جميل ، فيقول : « ولم يقصر الله العلم والشعر والبلاغة على زمن دون زمن ، ولا خص به قوماً دون قوم ، بل جعل ذلك مشتركا مقسوما بين عباده في كل دهر .. فقد كان جرير والفرزدق والأخطل وأمثالهم يعدون محدثين .. ثم صار هؤلاء قدماء عندنا ببعد العهد منهم ، وكذلك يكون مَن بعدهم لمن بعدنا : كالخُريمي ، والعتابي ، والحسن بن هانيء ، وأشباههم . فكل من أتى بحسَنٍ من قول أو فعل ذكرناه له ، وأثنينا به عليه ، ولم يضعه عندنا تأخر قائله أو فاعله ، أو حداثة سنه ، كما أن الرديء اذا ورد علينا للمتقدم أو الشريف لم يرفعه عندنا شرفُ صاحبه ، ولا تقدمه » .

٣ ــ وتحدث ابن قتيبة عن أقسام الشعر من حيث اللفظ والمعنى فقال :

« تدبرت الشعر فوجدته أربعة أضرب :

---

(١) سبق التعريف بابن قتيبة عند الكلام على كتابه « عيون الأخبار » ص ١٣٤ .

آ ــ ضرب منه حسن لفظه وجاد معناه ٠٠

ب ــ وضرب منه حسن لفظه وحلا ، فاذا أنت فتشته لم تجد هناك فائدة في المعنى ٠٠٠٠

ج ــ وضرب منه جاد معناه ، وقصرت عنه ألفاظه ٠٠

د ــ وضرب منه تأخر معناه وتأخر لفظه ٠٠ » ٠

وفي خلال ذلك يذكر ابن قتيبة أمثلة مختلفة من أشعار القدماء والمحدثين على السواء ، لكل ضرب من تلك الأضرب الأربعة ٠

٤ ــ **تفصيل الكلام في منهج القصيدة العربية ، التقليدية** ، الذي يقوم على الابتداء بذكر الديار والأطلال ، وأهلها الظاعنين عنها ، ويصل الشاعر ذلك بالنسيب والغزل ، فذكر الرحلة وسُرى الليل ، حتى ينتهي أخيراً الى المديح ٠ ثم يقول ابن قتيبة : « فالشاعر المجيد من سلك هذه الأساليب ، وعدل بين هذه الأقسام ، فلم يجعل واحداً منها أغلب على الشعر ، ولم يُطل فيمل السامعين ، ولم يقطع وبالنفوس ظمأ الى المزيد » ٠

٥ ــ **الكلام على الشاعر المتكلف ، والشاعر المطبوع** « فالمتكلف هو الذي قوّم شعره بالثقاف ، ونقحه بطول التفتيش ، وأعاد فيه النظر بعد النظر ، كزهير والحطيئة ٠٠ والمطبوع من الشعراء من سمح بالشعر ، واقتدر على القوافي ، وأراك في صدر بيته عجزه ، وفي فاتحته قافيته ، وتبينت على شعره رونق الطبع ، ووشي الغريزة ٠٠ » وقد أيد ابن قتيبة هنا كلامه بكثير من الأمثلة الشعرية ، لدى القدماء والمحدثين معاً ٠

٦ ــ **الدواعي التي تبعث على الشعر وتدفع الشاعر الى النظم** : « منها الطمع ، ومنها الشوق ، ومنها الشراب ، ومنها الطرب ، ومنها الغضب » هذا الى دواع أخرى منها : « الماء الجاري ، والشرف العالي ، والمكان الخضر الخالي» ثم إن « للشعر تارات يبعد فيها قريبه ، ويُستصعب فيها ريضه ، وكذلك الكلام المنثور في الرسائل والمقامات[1] والجوابات ٠٠ ولا يُعرف لذلك سبب ٠٠ » ٠

---

(١) المقامات : الخطب ، أو الكلام الذي تستدعيه مواقف المناظرة وما أشبه ذلك ٠

ويضيف ابن قتيبة الى ذلك قوله مبيناً الأوقات المناسبة للنظم : « وللشعر أوقات يسرع فيها أتيه ، ويسمح فيها أبيه ، منها : أول الليل قبل تغشي الكرى، ومنها صدر النهار قبل الغداء ، ومنها شرب الدواء ، ومنها الخلوة في الحبس والمسير . ولهذه العلل تختلف أشعار الشاعر ، ورسائل الكاتب » .

٧ ــ **وذكر مقاييس أخرى** ، غير اللفظ والمعنى ، يُختار الشعر عليها ، منها الاصابة في التشبيه ، وخفة الروي ، أو أن قائله لم يقل غيره ، أو لأنه غريب في معناه كقول هارون الرشيد :

النفس تطمع ، والاسباب عاجزة والنفس تهلك بين الياس والطمع

٨ ــ ويختم ابن قتيبة مقدمة كتابه بالكلام على بعض عيوب الشعر : كالاقواء ، والاكفاء ، والسناد ، والاجازة ، **وعلى بعض الضرائر الشعرية** ، وأشار الى أنه لم يكن لأوائل الشعراء الا الأبيات القليلة يقولها الرجل عند حدوث الحاجة . وقرن ذلك بأمثلة لقديم الشعر من أقوال : دُويد بن نهد ، وأعصر بن سعد ، والحارث بن كعب .

وبعد المقدمة ياتي قسم تراجم الشعراء ، ويلاحظ فيه ما يلي :

١ ــ ان ابن قتيبة لم يكن يحرص ، في سرد تراجم الشعراء ، على منهج علمي دقيق ، كأن يرتب الأسماء على حروف المعجم مثلا ، أو يصنف الشعراء في طبقات محددة على أساس بيئي ، أو قيمي ، أو فني .. وكل ما فعله أنه وضع لنفسه تصوراً عاماً ــ وان لم يصرح به ــ اذ سلسل الشعراء على حسب العصور ، بدءاً من شعراء العصر الجاهلي (كأصحاب المعلقات ، والمتلمس ، ولقيط بن يعمر ، وعدي بن زيد ، وحاتم الطائي ، ومهلهل بن ربيعة ..) ، **فالمخضرمين وشعراء صدر الاسلام** ، (كالحطيئة ، وكعب بن زهير ، والنابغة الجعدي ، وحسان بن ثابت ، والخنساء ، وعمرو بن معدي كرب الزبيدي ، وأبي محجن الثقفي ...) ، **ثم شعراء العصر الأموي** ، (كالفرزدق ، وجرير ، والأخطل ، والراعي النميري ، وليلى الأخيلية ، وجميل بثينة ، وكثير عزة ، والطرماح ، ورؤبة بن العجاج ...) ، **فالمحدثين** في العصر العباسي الأول . الا أنه في الوقت نفسه لا يلتزم بترتيب شعراء كل عصر بحسب وفياتهم ، ولم يكن هذا من شأنه ، كما أنه قد يقدم شاعراً على عصره ، أو يؤخره عنه ، ولو أن ابن قتيبة عني بتأريخ ولادة الشعراء وسنوات وفاتهم لكان ذلك دافعا له الى ترتيب زمني دقيق .

٢ ــ لم يقتصر ابن قتيبة على الشعراء القدامى ، في الجاهلية والاسلام ،

فحسب ، بل ترجم أيضاً ــ كما ذكرنا ــ لعدد قليل من **الشعراء المحدثين** ، مثل : بشار بن برد ، وأبي دلامة ، وخلف الأحمر ، وأبي العتاهية ، وأبي نواس ، والعباس بن الأحنف ، ومسلم بن الوليد ، ودعبل الخزاعي ، ومنصور النمري ، وأشجع السُّلمي ٠٠

٣ ــ **وكان أكثر قصــده ــ كما يقول ــ للمشهورين من الشعراء** ، الذين يعرفهم جلّ أهل الأدب ، والذين يقع الاحتجاج بأشعارهم في الغريب ، وفي النحو ، وفي كتاب الله عز وجل ، وحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم » ٠ وقد بلغ عدد الشعراء الذين ترجم لهم ٢٠٦ ٠

٤ ــ **وفي ترجمته لكل شاعر** يذكر اسمه ونسبه وزمنه ، ومنزلته الشعرية ، وأحواله ، وأخباره ، وما يستجاد من فنون شعره ، وما أخذه العلماء عليه من الغلط والخطأ في ألفاظه أو معانيه ٠ ومن ثم كثرت المختارات الشعرية في هذا الكتاب ٠

* * * *

طبع كتاب « الشعر والشعراء » مراراً ٠ وكانت أولى طبعاته المحققة الكاملة سنة ١٩٠٢ ــ ١٩٠٤ م في ليدن باشراف المستشرق دي غويه ٠ ثم توالت طبعاته في الآستانة ومصر ولبنان ، **وأشهرها بل أجودها اثنتان :**

الأولى : حققها احمد شاكر وصدرت عن دار المعارف في القاهرة سنة ١٩٥٠ في جزأين ٠ ثم طبعت ثانية سنة ١٩٦٦ ــ ١٩٦٧ م ٠ وهي مذيلة بفهارس فنية وافية ٠

والثانية : صدرت عن دار الثقافة في بيروت سنة ١٩٦٤ في جزأين واعتمد فيها على طبعة دي غويه ، وعني بمراجعتها والتعليق عليها : محمد يوسف نجم ، واحسان عباس ٠

وما عدا هاتين الطبعتين المحققتين (حتى اليوم ١٩٨٨ م) ، لا يعتد به ولا يعول عليه كثيراً ، من الناحية العلمية ، سواء في ذلك ما طبع في مصر ، وما طبع في لبنان ٠

* * * *

كتاب «الأغاني»

لأبي الفرج الأصفهاني

أبو الفرج الأصفهاني علي بن الحسين « ــ ٣٥٦ هـ » عالم أديب ، واسع المعرفة في التاريخ والأنساب والسِّيَر والآثار واللغة والمغازي • ولد في أصفهان، ونشأ في بغداد ، وتوفي فيها • وقد عاصر سيف الدولة والمتنبي وأبا فراس الحمداني وغيرهم من جيل النصف الأول من القرن الرابع للهجرة • وترك عدة مؤلفات تدل على سعة ثقافته ، وتعدد جوانبه ، منها : مقاتل الطالبيين ، والاماء الشواعر ، وأدب الغرباء ، والأغاني •

ويعد كتاب « الأغاني » أعظم مؤلفات أبي الفرج • وقد أحدث هذا الكتاب عند ظهوره ، ما لم يحدثه كتاب آخر من التأثير والقبول في الأوساط العلمية ، وحلقات الأدب ، ومجالس الأمراء والملوك ، ولا غرو ، فقد قضى أبو الفرج خمسين سنة من عمره في تأليف هذا الكتاب الذي استنفد طاقته ، وامتص سني شبابه وكهولته وشيخوخته •

وكلمة « الأغاني » في عنوان الكتاب تعني الأصوات أو الألحان في عُرفنا اليوم ، وكان الدافع الأول الى تأليفه وتبويبه هو جمع الألحان المئة التي اختارها المغنون لهارون الرشيد ، الخليفة العباسي ، المتوفى ١٩٣ هـ ، أي قبل عصر أبي الفرج بقرن ونصف تقريباً •

الا أن عنوان الكتاب لا يدل على مضمونه ، الذي يقوم في الحقيقة على تقصي تراجم الشعراء والمغنيين ، وما يتصل بهم من شعر وأخبار ، وغناء وموسيقا ، وما الى ذلك ، منذ العصر الجاهلي حتى القرن الثالث الهجري :

ــ كامرىء القيس ، والنابغة ، وزهير ، والأسود بن يعفر ، وتأبط شراً ، والشنفرى (من شعراء العصر الجاهلي) •

ــ وحسان بن ثابت ، والحطيئة ، وأبي محجن الثقفي ، وكعب بن مالك ، والعباس بن مرداس (من المخضرمين) •

ــ وجرير ، والفرزدق ، والأخطل ، والكميت ، والأحوص الأنصاري ، وتوبة بن الحمير (من العصر الأموي) •

ـ وبشار بن برد ، والبحتري ، وأبي تمام الطائي ، والحسين بن الضحاك، وديك الجن (من شعراء العصر العباسي) ٠

ـ ومعبد ، وابن سُريج ، والغريض ، من المغنين و « الملحنين » ٠

ولكن أبا الفرج ، مع ذلك ، لم يقتصر على الشعراء والمغنين ـ كما قد يوحي عنوان كتابه ـ وانما جعل كتابه موسوعة جزيلة الفائدة ، تضم أخبار العشرات ، بل المئات من الأعلام ، والماجنين ، والقيان ، وأخبار قبائل العرب وأيامهم ، وخلفائهم ، وقوادهم ، وأمرائهم ، كما أن فيه مختارات جيدة من روائع الشعر والنثر . والأمثال ، والحكم ، والوصايا ، ووصف مآكل العرب ، وصوراً من حياتهم الاجتماعية وعاداتهم وتقاليدهم ٠ وهو في ذلك كله ، وفي غيره ، مصدر ثمين ، لا يعدله مصدر آخر ، وكنز موروث لا يرقى الى نفاسته كنز آخر ، وهذا ما جعل سيف الدولة ينعم على أبي الفرج بألف دينار حين قدمه اليه أبو الفرج ، واعتذر لقلة المبلغ ٠ والخلاصة انه مكتبة في كتاب ٠

اما منهج « كتاب الأغاني » وطريقته فيقومان على الأمور التالية :

١ ـ بنى أبو الفرج كتابه أولا على **مائة نغم موسيقي ، سمى كلا منها « صوتا »** ، وذلك مما كان المغنون قد اختاروه للرشيد من الغناء القديم الذي يشتمل على مئات الأصوات والأنغام ٠

٢ ـ **والخطة العامة التي التزمها أبو الفرج** : هي ذكر كل « صوت » من تلك الأصوات المائة ـ يعني الشعر الذي غُني به ولُحن ـ فيعرّف قائله ، ومن غنى به ولحنه ، ويترجم لهما ـ على التوالي ـ ترجمة وافية ، ثم ينتقل الى صوت آخر ، بالطريقة نفسها ، حتى يستوفي الأصوات المئة ٠

مثال ذلك أنه بدأ كتابه بالصوت الأول ، وهو أبيات للشاعر الأموي أبي قطيفة المُعيطي ، فذكر اسم صاحب الأبيات ، واسم مغنيها « معبد » ، على النحو التالي :

صـــــوت

فيـــه لحنـــان

القصرُ ، فالنخـل ، فالجمَّـاء بينهما أشهى الى القلب من أبـواب جـيرون
الى البـلاط ، فمـا حـازت قرائنـه دُور نزحـن عـن الفحشاء والهـون
قـد يـكتم الناسُ أسرارا فأعلمهـا ولا ينالـون ، حتى الموت ، مكنوني(١)

عروضه من أول البسيط .. **الشعر** : لأبي قَطيفة المعيطي . **والغناء** لمعبد ، **وله فيه لحنان** : **أحدهما** خفيف ثقيل أول بالوسطى في مجراها من رواية اسحاق ، وهو اللحن المختار . **والآخر** : ثقيل أول بالوسطى ، على مذهب اسحاق، من رواية عمرو بن بانة(٢) .

ثم ترجم أبو الفرج بعد هذا للشاعر أبي قطيفة ، أولا ، ولمعبد ثانيا .

وانتقل بعد ذلك الى الصوت الثاني ، وهو أبيات للشاعر الغزل عمر ابن أبي ربيعة فقال :

---

(١) القصر : قصر الأمير سعيد بن العاص ، والي المدينة لمعاوية بن أبي سفيان . وما زالت آثار هذا القصر في المدينة شاخصة الى اليوم . والنخل المذكور كان لسعيد هناك بين قصره وبين الجمَّاء ، وهي أرض كانت له أيضا . ومثلها البلاط والقرائن ، وهي دور كانت لبني سعيد بن العاص متلاصقة ، سميت بذلك لاقترانها وأما أبواب جيرون فهي في دمشق . ونزحن : بعدن . والمكنون : المستور الخفي . والمراد : السر . والشاعر في هذه الأبيات يحن الى وطنه المدينة المنورة ، ويفضله على أبواب جيرون بدمشق وكان قد نفاه اليها عبدالله بن الزبير ، مع من نفاه من بني أمية عن المدينة .

(٢) ما يذكره أبو الفرج في هذا الموضع وأشباهه فيما بعد ، تعليقا على الشعر المغنى ، انما هو بيان للحن الذي يغنى به ذلك الشعر ، والأصابع التي يستعان بها في التوقيع على الآلة الموسيقية . وهو قريب مما ندعوه اليوم بالسلم الموسيقي . وقد بقي هذا « السلم » المبثوث في سائر كتاب الأغاني لغزا مجهولا حتى اليوم ، ولم يستطع علماء الموسيقا العربية الاهتداء الى هذا السر المكنون .

صــــوت

قــــل لهنـــد وتربهـــا | قبل شحط النوى غدا :
ان تجـــودي ، فطالمـــا | بتُّ ليـــلي مسهَّدا
انـــتِ في وُد بيننـــا | خيرُ ما عندنـــا يـــدا
حين تبـــدلي مُضفَّـــرا | حالِكَ اللون أســودا(١)

الشعر لعمر بن أبي ربيعة ، والغناء لابن سُريج عن حماد ولم يجنسه وفيه لمالك خفيف ثقيل أول بالبنصر في مجراها عن اسحاق • وقال الهشامي فيه لابن محرز خفيف ثقيل بالوسطى » •

ثم يترجم أبو الفرج لابن أبي ربيعة بالتفصيل ، ومن بعده للمغني ابن سريج ، وهكذا •• واذا تكرر بعد ذلك اسم المغني ، مع شاعر آخر ، فأن أبا الفرج لا يترجم له ثانية ، بل يكتفي بالترجمة للشاعر الجديد •

٣ ـ وقد يرد في خلال ترجمتي الشاعر والمغني أصوات أخرى ، من غير المئة المختارة، فيمر بها أبو الفرج مروراً سريعاً ويعلق عليها تعليقاً موجزاً ، ثم يتابع ما هو فيه من ترجمة الشاعر الاصلي أو المغني •

٤ ـ وقد اعتمد الأصفهاني في كل ما أورده من الأخبار والتراجم على الاسناد المتسلسل ، ونسبة كل ما يرويه الى أصحابه ، كقوله في ترجمة مجنون ليلى :

« أخبرني جعفر بن قُدامة ، عن أبي العيناء ، عن العُتبي ، قال : لما حجبت ليلى عن المجنون ، خطبها جماعة فلم يرضهم أهلها ، وخطبها رجل من ثقيف موسر ، فزوجوه وأخفوا ذلك عن المجنون • ثم نمي اليه طرف منه لم يتحققه فقال :

دعـــوتُ الهـــي دعـــوة ما جهلتهـــا | ـ وربي بمـــا تخفـــي الصدورُ بصيرُ ـ
لئن كنـــتَ تُهـــدي بَرد أنيابها العُلا | لأفقـــر منـــي ، اننـــي لفقـــيرُ
فقد شاعـــت الأخبـــار ان قـــد تزوجت | فهـــل ياتيـــني بالطـــلاق بشـــير ؟ »

---

(١) التِّرب : اللِّدة ، وهو من يماثلك في سنك ، وأكثر ما يستعمل الترب في الاناث • والجمع أتراب • وجمع اللدة : لِدات • وشحط النوى : الفراق البعيد • المضفر : الشعر المضفور •

والأبيات في ديوان عمر ، ص ٤٨١ ـ ٤٨٢ ط• محمد محيي الدين عبد الحميد ـ مصر ١٩٥٢ م •

٥ ـ وأبو الفرج لا يراعي في ترتيب تراجم الشعراء والمغنين طريقة معينة ، بل يورد ذلك كيفما اتفق ، بلا منهج معلوم ، ويملأ التراجم بالأخبار ، والوصف ، والنقد • ومن هنا ساد الكتاب كثير من الاستطراد والتنوع في المادة •

طبع كتاب « الأغاني » عدة مرات في مصر وبيروت ، في بضعة وعشرين مجلداً • وبعض طبعاته لم يكتمل حتى اليوم • وأجود طبعاته الكاملة : طبعة دار الكتب المصرية ، وعدد أجزائها ٢٤ جزءاً[١] •

---

(١) **اليك بيانا بالطبعات الكاملة ، المختلفة ، لكتاب الأغاني :**

آ ـ **طبعة بولاق بمصر** ١٢٨٥ هـ = ١٨٦٨ م في ٢٠ جزءاً • ثم استدرك عليها المستشرق (برنو) جزءاً آخر طبع في ليدن ١٨٨٨ م • وجاء المستشرق (جويدي) فصنع لهذه الأجزاء الواحد والعشرين فهارس مفصلة في جزاين آخرين طبعا في ليدن ١٩٠٠ وبذلك صارت أجزاء هذه الطبعة ٢٣ جزءا • ثم صورت في بيروت ، عدا الجزء (٢١) •

ب ـ **طبعة محمد الساسي « الكتبي »** : بمصر سنة ١٣٢٣ هـ = ١٩٠٨ م ، في ٢٣ جزءاً ، اعتمد فيها على طبعة بولاق ، كما هي ، بعد أن قام محمد مسعود بترجمة جزأي الفهارس اللذين أعدهما (جويدي) وتعديل أرقام صفحاتهما بحسب هذه الطبعة الجديدة ، التي صورت بعد ذلك في بيروت أيضا ، دون الفهارس •

ج ـ **طبعة دار الكتب المصرية** : وهي أجود الطبعات الكاملة جميعا • وقد حققها فريق من الأدباء واستغرق طبعها نصف قرن تقريباً (١٩٢٧ ـ ١٩٧٥ م) وتقع في ٢٤ جزءاً ، طبعت منها « دار الكتب المصرية » ١٦ جزءاً ، ثم أكملتها « الهيئة المصرية العامة » وفي آخر كل جزء فهارسه العامة الشاملة • ثم صورت هذه الطبعة كاملة في بيروت غير مرة ، بعد أن أسقطت الفهارس العامة من آخر كل جزء •

هـ ـ **طبعة داري الفكر ومكتبة الحياة في بيروت** : نشرت سنة ١٩٥٦ ـ ١٩٥٧ في ٢١ جزءاً جمعت في ١١ مجلداً • وهي غير محققة ، ولا فهارس عامة لها • بل لكل جزء فهرس موجز بما يحوي من تراجم فقط •

و ـ **طبعة دار الكتب العلمية في بيروت** : نشرت سنة ١٤٠٧ هـ ـ ١٩٨٦ م في ٢٤ جزءاً ، والحق بها جزء سمي بالخامس والعشرين ، وهو كتاب « أخبار أبي نواس » لابن منظور • وهذه الطبعة خالية من الفهارس العامة ، وتفتقر الى مزيد من التحقيق والعناية •

هذا وقد كان الأغاني ولا يزال موضع عناية الأدباء والباحثين قديماً وحديثا • **وممن اختصره من القدماء** ، بعد حذف الأسانيد وبعض الأخبار : ابن واصل الحموي (ـ ٦٩٧ هـ) في « تجريد الأغاني » ، وابن منظور (ـ ٧١١ هـ) صاحب لسان العرب ، في « مختار الأغاني في الأخبار والتهاني » • **أما المعاصرون فقد اختصره منهم** : محمد الخضري (ـ ١٩٢٧ م) في « مهذب الأغاني » ، وأنطون صالحاني (ـ ١٩٤١ م) في « رنات المثالث والمثاني في روايات الأغاني » ، كما اختصره أخيراً كل من احسان النص ، ويوسف عون •• وهذه الكتب كلها مطبوعة ولكل منها طريقته الخاصة في الترتيب والاختصار ، كما يختلف عدد الأجزاء من كتاب الى آخر •

يتيمة الدهر

للثعالبي

وهذا كتاب جامع مبسوط ، **خصه أبو منصور**[1] **الثعالبي « ـ ٤٢٩ هـ » بتراجم شعراء عصره** ، وهم جيل القرن الرابع للهجـرة وما اتصل به مـن قريب • وكأن الثعالبي خشي أن يكون للشعراء المتقدمين على عصره مـن يترجم لهم ، ويذكر طبقاتهم ودرجاتهم ، ويدون أقوالهم وأشعارهم ، ولا يكون لشعراء عصره من يتصدى لمثل ذلك ، فندب نفسه للاضطلاع بهذا العبء ، وهو المعجب بأشعار معاصريه اعجاباً جاوز الحد حتى وصف تلك الاشعار بأنها « تكاد تخرج من باب الاعجاب الى الاعجاز ، ومن حد الشعر الى السحر » •

ولم يكن الثعالبي أول من اهتم بتراجم الشعراء المحدثين ، بل سبقه الى ذلك ثلاثة على الأقل ، كانوا في قرن واحد ، وهم : المبرد « ـ ٢٨٦ هـ » الذي صنف كتاب « الروضة » ، وهارون بن علي بن المنجم « ـ ٢٨٨ هـ » الذي ألف كتاب « البارع » وجمع فيه أخبار ١٦١ شاعراً محدثاً ، أولهم بشار بن برد ، وآخرهم محمد بن عبد الملك بن صالح • والثاني : ابن المعتز «ـ ٢٩٦هـ» الذي ألف كتاب « طبقات الشعراء المحدثين » وبدأه بابن هرمة ، فبشار بن برد ، وختمه بتراجم بعض الشواعر من الجواري ، مثل : عِنان ، جارية الناطفي ، وعريب ، جارية المأمون ، وفضل الشاعرة •

فأحب الثعالبي أن يكون لشعراء عصره كتاب مماثل ، **فصنف « يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر »** • ويؤخذ من مقدمته أنه صنفه مرتين ، **الأولى** سنة ٣٨٤ هـ والثعالبي في مقتبل الشباب ، وقد كتبه في مدة تقصر عن اعطاء الكتاب حقه • ثم أعاد فيه النظر في المرة الثانية ، وغير ترتيبه ، وجدد تبويبه ، **وجعله في أربعة أقسام ، وزع فيها الشعراء والأدباء على حسب أقاليمهم ومناطق بلادهم ، وكأنه ربط بين الأديب وبيئته برباط وثيق • وجعل كل قسم في عدة أبواب • وهذه الأقسام هي :**

---

(١) سبق التعريف بأبي منصور الثعالبي عند الكلام على كتابه « فقه اللغة وسر العربية » في معاجم المعاني ص ٧٤ •

١ ـ شعراء بلاد الشام وما يجاورها ، ومصر ، والموصل ، والمغرب ٠
وبدأ هذا القسم بأشعار الحمدانيين وشعرائهم ، كسيف الدولة ، وأبي فراس الحمداني ، وأبي العشائر الحمداني ، والمتنبي ، والوأواء الدمشقي ، وأبي الفتح البُستي ، والسري الرفاء ٠٠ وقد افتتح بهم الثعالبي كتابه لأنه كان يرى أن شعراء عرب الشام وما يقاربها أشعر من شعراء عرب العراق وما يجاورها ، في الجاهلية والاسلام ٠ وفي ذلك مبالغة واضحة ٠

٢ ـ شعراء العراق ، وأفاضل الكتاب والمنشئين في الدولة الديلمية (البويهية) ، وفيهم الملوك والوزراء أيضاً ، مثل : عضد الدولة ، والوزير المهلبي ، والصابي ، وأبي الفرج الأصفهاني ، والشريف الرضي ٠٠

٣ ـ شعراء الجبل ، وفارس ، وجُرجان ، وطبرستان ، وأصفهان.
من وزراء الدولة الديلمية (البويهية) وكتابها وقضاتها وشعرائها ، ومنهم : ابن العميد ، والصاحب بن عباد ، وابن فارس اللغوي (صاحب مقاييس اللغة) والقاضي الجرجاني (صاحب كتاب الوساطة) ، وقابوس بن وشمكير ٠٠

٤ ـ الشعراء والكتاب في بلاد خراسان وما وراء النهر ، مقر الدولة السامانية ، والغزنوية ، ولا سيما بخارى ، ونيسابور ، وسجستان ، ومنهم : أبو بكر الخوارزمي ، وبديع الزمان الهمذاني ، وأبو الفتح البُستي ، والأمير أبو الفضل الميكالي ، والجوهري (صاحب معجم الصحاح) ٠٠

ومن هذا العرض الموجز لأقسام اليتيمة نلاحظ ما يلي :

١ ـ أن الثعالبي لم يقتصر على شعراء عصره وحدهم ، بل ضم اليهم الأدباء والكتاب أيضا ، وأكثر من ايراد نصوص من محاسن أشعارهم ، وفقر وفصول من محاسن انشائهم ، بل انه وجه عنايته الى جمع هذه المختارات الشعرية والنثرية أكثر من عنايته بتراجم أصحابها وسير حياتهم ووفياتهم ٠ ولم يتحرج أحياناً من ايراد الأشعار الماجنة أيضاً ٠

٢ ـ وللبحث عن ترجمة شاعر أو كاتب من أهل القرن الرابع وما اتصل به من قريب ، لا بد من معرفة الاقليم الذي نشأ فيه الشاعر ، أو وفد عليه وأقام فيه ٠ وهو أمر لا يخلو من صعوبة ، لأنك قل أن تجد أديباً لازم بلداً واحداً لا يبرحه الى بلد آخر ٠ فليس هناك مقياس واضح أو دقيق يساعد الباحث في ذلك ٠ فهذا المتنبي شاعر عراقي المنشأ ، ولكنه تنقل بين بلاد الشام، ومصر ، وايران ، فاذا بالثعالبي يجعله في جملة شعراء الشام ، مع الحمدانيين وشعرائهم ٠

وهذا ما جعل الثعالبي يضطرب في توزيع الأدباء على الأقاليم ، أو يكرر ذكر بعضهم في موضعين اثنين ، كما فعل في ترجمة أبي الفتح البستي ، حيث أوجز ترجمته في القسم الأول ، ثم عاد فأطال فيها وفصل ، في القسم الرابع ٠

٣ ـ **التراجم في يتيمة الدهر تطول أو تقصر** ، بحسب شهرة الأديب ، ومنزلته وربما اقتصر الأمر على اختيار عدة أبيات وقعت للثعالبي ، أو سمعها من بعض رواتها من الأدباء ٠ والحق أن هذا الكتاب لم يوضع أصلا في تاريخ الأدب والشعر ، ولا كان الغرض منه تأريخ حياة الأدباء والشعراء وتتبع نشأتهم ومواليدهم ووفياتهم وتصرف الدهر بهم ، بل وضع في صميم الأدب ولبابه ، وعني بالنصوص الشعرية والنثرية أكثر مما عني بأحوال قائليها ٠ ومع أنه شرط على نفسه اختيار الجيد من تلك النصوص ، ولا سيما الأشعار ، فانه خرج عن هذا الشرط أحياناً ، فأورد ما ليس من أبيات القصائد ، ولا من وسائط القلائد ٠

وعلى الرغم من ذلك ، فان يتيمة الدهر كتاب ثمين ، قد قارب حد الشمول في ذكره لأدباء القرن الرابع للهجرة وما اتصل به ، تقدماً ، أو تأخراً في صدر القرن الخامس ٠ ويبقى هذا الكتاب عمدة لمن يبحث في أدب هذه الحقبة خاصة ٠ ولولاه لبقيت أخبار أولئك الشعراء والمنشئين وأقوالهم مبددة ، غير مضمومة في كتاب يجمع شملها ، ويضم نشرها ٠ ويقيد شواردها ٠ ولذا أعجب به الأدباء والباحثون والشعراء قديماً وحديثا ٠ حتى قال فيه **الشاعر المشهور ، ابن قلاقس الاسكندري (ـ ٥٦٧ هـ) :**

أبيات أشعار اليتيمه ... أبكار أفكار قديمه
ماتوا وعاشت بعدهم ... فلذاك سميت اليتيمه

هذا ، وقد استدرك الثعالبي ، فيما بعد ، ما فاته ذكره في كتاب اليتيمة من تراجم ونصوص ، **فالف ذيلا عليه سماه « تتمة اليتيمة »** وجعله في جزأين صغيرين يقعان في ٣٠٠ صفحة ، وقسمه أربعة أقسام أيضاً ، صنيعه في اليتيمة ٠ وقد نشر عباس اقبال « تتمة اليتيمة » في طهران سنة ١٣٥٣ هـ ٠

أما كتاب اليتيمة نفسه فقد طبع في الشام ومصر ولبنان عدداً من المرات ، وكل طبعاته غير محققة ولا مفهرسة ٠ ومنها طبعة بعناية محمد محيي الدين عبد الحميد ، نشرت في مصر سنة ١٩٥٦ ثم طبعت وصورت غير مرة ٠

كما ظهرت طبعة أخيرة جمعت بين اليتيمة وتتمتها معا في خمسة أجزاء طبعت في بيروت سنة ١٤٠٣ هـ/١٩٨٣ م بعناية مفيد محمد قميحة ، والجزء الخامس يتضمن تتمة اليتيمة ، وهذه الطبعة ليست بأفضل من سابقاتها وتفتقر، مثلها ، الى تحقيق علمي يعتمد على مخطوطات الكتاب ، والى فهارس فنية جامعة تليق بقيمة هذا الكتاب الذي استفاضت شهرته ، حتى حذا حذوه مصنفون آخرون جاؤوا بعد الثعالبي ، وترجموا لأدباء عصرهم أيضا ، في كتب معروفة ، منهـــا :

١ ــ دمية القصر وعصرة أهل العصر : للباخرزي ، من القرن الخامس (ــ ٤٦٧ هـ) ٠

٢ ــ الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة : لابن بسام الأندلسي ، من القرن السادس (ــ ٥٤٢ هـ) ٠

٣ ــ زينة الدهر في لطائف شعراء العصر : للحظيري « ــ ٥٦٨ هـ » ٠

٤ ــ خريدة القصر وجريدة العصر : للعماد الأصفهاني « ــ ٥٩٧ هـ » ٠

كتب أخرى في تراجم الشعراء

تلك أشهر كتب تراجم الشعراء في تراثنا العربي ، عرفنا بكل منهـــا تعريفا مفصلا ٠ وفيما يلي تعريف موجز بكتب أخرى في هذا الموضوع ، ورد ذكرها خلال الصفحات السابقة :

١ ــ المؤتلف والمختلف : للحسن بن بشر الآمدي « ــ ٣٧٠ » ٠ وهـــو كتاب في تراجم موجزة لفريق من الشعراء القدامى ، الذين تماثلت أسماؤهم واختلفت أشخاصهم ، أو الذين اتفقت أسماؤهم ــ أو تقاربت ــ في الرسم والكتابة ، ولكنها اختلفت في النطق واللفظ ٠ فهناك ، مثلا ، عدة شعراء عرفوا باسم « النابغة » أو « امرىء القيس » أو « الأخطل » ٠٠ ومن الشعراء أيضا : بَشير وبُشير ، وحَبيب وحُبيب ، ويزيد وبُريد ، ودُريد ودويد ، وحَديج وحُديج ، وحمزة وجمرة ، ٠٠٠ وكل ذلك يدخل في بـــاب المؤتلـــف والمختلف ٠ وقد بلغ عدد هؤلاء الشعراء ٧٤٥ شاعرا ، رتب الآمدي أسماءهم على حروف المعجم بحسب الحرف الأول،ولكنه لا يراعي الحرف الثاني في الترتيب،

وهو يثبت أسماء الشعراء المتقاربة في الصورة ، والمختلفة في الضبط والشكل ، أو في المعنى ، في باب واحد ليميز كل شاعر عمن يلتبس به ، **وجعل الآمدي الباب للأشهر** ، ف « يزيد » و « بُريد » يوضعان في حرف الياء لأن « يزيد » أشهر من بـريد · أما الذين اتفقت اسماؤهم فيوضعون في باب واحد مشترك ، كالمراقسة والنوابغ ···

وقد طبع كتاب « المؤتلف والمختلف » أول مرة سنة ١٩٣٥م باشراف المستشرق كرنكو ، ثم نشره محققاً عبد الستار فراج في القاهرة سنة ١٩٦١ م ·

٢ ـ **معجم الشعراء : للمرزباني** « ـ ٣٨٤ هـ » : حـاول المؤلـف أن يستقصي في كتابه هذا ـ الذي **سماه بالمعجم** ، مع أنه في التراجم ـ الشعراء العرب المشهورين منهم والمغمورين ، في الجاهلية ، وصدر الاسلام ، والعصر الأموي ، وضم اليهم شعراء من العصر العباسي حتى القرن الرابع ، مثل : يموت بن المزرع (ابن أخت الجاحظ) ، وابن دريد صاحب الجمهرة ، وابن الرومي ، وأبي دلامة ·· **ورتب الأسماء على حروف الهجاء بحسب الحرف الأول ، ولم يراع الحرف الثاني** · وتراجمه موجزة وبلغ عدد شعرائه نحو ٥٠٠٠ شاعر ، ولكن للأسف لم يصل الينا هذا الكتاب كاملا ، والمطبوع منه يعادل خُمسه فقط (نحو ١٠٠٠ شاعر) من حرف العين حتى الياء · وقد فقد القسم الذي يشمل الحروف : من الهمزة حتى جزء من العين ، كما فقدت من المطبوع تراجم حروف : الغين ، والنون ، والواو ، ومعظم حرف اللام ·

وختم المرزباني كتابه بذيل في نحو عشر صفحات ، سرد فيه من غلبت كنيته على اسمه من الشعراء المجهولين أو الأعراب المغمورين واكتفى بذكر كناهم وقبائلهم فقط ، وساق كُناهم على حروف المعجم بحسب الحرف الاول من المضاف اليه ، مكتفياً بهذا التعداد والسرد ، لأنه ترجم لهم في الكتاب « المفيد » ، ولم يراع في الترتيب الحرف الثاني وما بعده · ويجري ذلك عنده على النحو التالي :

حرف الألف : أبو أراكة الهذلي ، أبو أُثيلة الهذلي ، ··

حرف الباء : أبو بكر بن عبد الرحمن الزهري ، أبو البهاء الأزدي ···

حرف الثاء : أبو ثهلان السعدي ، أبو ثور الهُجيمي ···

وطبع « معجم الشعراء » سنة ١٩٣٥ م مع « المؤتلف والمختلف » للآمدي ،

باشراف المستشرق كرنكو الذي جعل الكتابين في مجلد واحد،وفي ترقيم متسلسل واحد أيضاً • ثم نشره محققاً مستقلا عبد الستار فراج في مصر سنة ١٩٦٠ م •

٣ ـ **الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة : لابن بسام الأندلسي**(ـ٥٤٢هـ) •
ترجم فيه المؤلف لمعاصريه الأندلسيين من الأدباء والشعراء والكتّاب الذين عاشوا في القرن الخامس وما قرب منه • حاذيا في ذلك حذو الثعالبي في يتيمة الدهر ، من حيث مراعاة الأقاليم في توزيع المترجمين ، **فجعل ابن بسام كتابه في أربعة أقسام أيضاً :**

القسم الأول : تناول فيه تراجم أعلام **وسط الأندلس** «قرطبةوماحولها» •

القسم الثاني : لأعلام **الجانب الغربي من الأندلس** « اشبيلية وما اتصل بها حتى ساحل البحر » •

القسم الثالث : ذكر فيه أهل **الجانب الشرقي من الأندلس** « بلنسية وما يليهـــا » •

القسم الرابع : أفرده لمن **وفد على الأندلس في ذلك العصر** ، من افريقية والشام والعراق •

وقد اقتصر ابن بسام في كتابه هذا على أدباء عصره فحسب ، من الأندلسيين، أو الوافدين على الأندلس من المشرق ، ومع أن المؤلف لم يستقصِ أولئك الأدباء جميعاً ، من مشهورين ومغمورين ، فان كتاب الذخيرة يعد أوفى مرجع بين أيدينا لتراجم الأندلسيين في تلك الحقبة •

نشرت من الكتاب بعض الأجزاء محققة بين سنتي ١٩٣٩ و ١٩٧٥ م ، حتى **أصدره الدكتور احسان عباس كاملا بأقسامه الأربعة** ، التي طبعت في بيروت سنة ١٩٧٩ م ، والتي جزئت الى ثمانية مجلدات ، كل مجلدين في قسم ، وزود كل قسم بفهارس فنية خاصة به •

* *



الفصل الثاني

كتب تراجم اللغويين والنحاة

إنباه الرواة
للقفطي

مؤلف الكتاب : الوزير جمال الدين ، علي بن يوسف القفطي ، المؤرخ الكاتب ، والناثر البليغ • ولد بـ « قِفط » في صعيد مصر سنة ٥٦٨ هـ ، ثم سكن حلب ، وولي بها القضاء في أيام الملك الظاهر ، ثم الوزارة في أيام الملك العزيز ، وأطلق عليه لقب « الوزير الأكرم » • وكان جماعاً للكتب ، متعشقاً لها ، لا يحب من الدنيا شيئاً مثلما يحب مكتبته ، ويبذل في سبيل انمائها أموالا كثيرة • وتوفي بحلب سنة ٦٤٦ هـ عن عمر يناهز الثامنة والسبعين •

وكتابه « انباه الرواة على أنباه النحاة » هو موسوعة ضخمة شاملة لتراجم رجال اللغة والنحو ، بدءاً من أبي الأسود الدؤلي حتى عصر المؤلف وهو النصف الأول من القرن السابع للهجرة •

وممن ترجم لهم القفطي في كتابه هذا : الجواليقي صاحب كتاب «المعرب» وابن فارس صاحب « مقاييس اللغة » والميداني صاحب « مجمع الأمثال » ، وثعلب ، امام المذهب الكوفي في النحو ، والمبرد امام المذهب البصري ، وملك النحاة : الحسن بن صافي ، والخليل بن أحمد الفراهيدي ، وسيبويه ، وابن سيده الأندلسي وأبو الفضل الرياشي ، •• الخ •

وقد تناول فيه القفطي **كل من له أدنى مشاركة في اللغة أو معرفة بالنحو :** من القراء ، والمحدثين ، والأدباء ، والمؤرخين وغيرهم ، في أرجاء المشرق والمغرب من العالم الاسلامي ، حتى في الأندلس ، وصقلية ، وافريقية ، وارمينية ، وخراسان •• فلم يختص بعصر دون عصر ، ولا باقليم دون آخر ، حتى اجتمع في هذا الكتاب ٩٧٦ ترجمة •

أما مصادره فقد اعتمد فيه المؤلف على ما ألف قبله من كتب في التراجم والسيّر والأخبار ، وعلى معارفه الخاصة التي استمدها من شيوخه في القاهرة ، والاسكندرية ، وقِفط ، أو حصلها في أسفاره بين مصر والشام · أو أفادها من مجالسه في حلب ، أو كاتب بها العلماء من مختلف الأمصار ·

وبهذا اجتمع على تأليف هذا الكتاب : علم واسع لدى المؤلف ، الذي أغرم بالمطالعة والدرس ، ومكتبة ضخمة زاخرة بأمهات المصادر في مختلف العلوم والفنون ، ومقدرة على التأليف تستمد قوتها من دأب المؤلف وصبره المتواصل على البحث والدرس والتصنيف ·

ولا نعرف متى أنجز القفطي كتابه · ونرجح أنه ألفه في فترات متقطعة ، وتناوله بالزيادة على مر الأزمان الى أن أكمله بتمامه · ولا يبعد أن يكون انتهى منه قبل سنة ٦٢٦ هـ ، وهي السنة التي توفي فيها ياقوت الحموي ، وقد ترجم له القفطي بعد وفاته ، في حرف الياء ، وهو آخر حروف الهجاء · ثم ان ياقوتا نفسه ترجم للقفطي في كتابه « معجم الأدباء » وذكر كتابه « انباه الرواة» باسم « أخبار النحاة » وهذا يدل على أنه اطلع على الكتاب أو على قسم كبير منه عندما التقى القفطي في حلب وصحبه فيها مدة من الزمن ·

أما ترتيب الكتاب فهو مبوب على حروف الهجاء ، من الهمزة الى الياء ، **ولكنه لا يلتزم الدقة** في الحرف الثاني من كل اسم ، ولا في الحرف الأول من اسم الأب · فيذكر « ابراهيم بن عبد الله » قبل « ابراهيم بن اسحق » ، و « الخليل بن أحمد » قبل « خلف بن محرز » · ومثل هذا كثير · وقد صرح القفطي بأن الترتيب لم يكن من عمله ، بل كان من عمل من نسخ له الكتاب ، فأعجله الجمع عند التأليف عن ترتيبه على الوجه المطلوب ·

ومن خصائص هذا الكتاب ما يلي :

١ ـ **ليس للمؤلف في ترجمته للاعلام طريقة خاصة أو منهج محدود** ، وهو في الغالب يذكر المترجم باسمه ، ثم يتبعه بشهرته وذكر أخباره ونشأته وبلده ، ويعدد كتبه ويذكر سنة وفاته ، وربما ذكر سنة ولادته أحياناً ·

٢ ـ **صدّره المؤلف بمقدمة** وقف فيها عند المحاولات النحوية الأولى التي كانت على يد الامام علي بن أبي طالب ، وأبي الأسود الدؤلي وغيرهما ، متابعاً في ذلك عدداً من الكتب السابقة مثل : مراتب النحويين ، ونزهة الألبّاء ، وطبقات النحويين واللغويين ····

٣ ــ ويبدو حرص المؤلف الشديد على **احصاء مصنفات العلماء الذين ترجم لهم** ، وقد أعانه على ذلك ــ أو دفعه اليه ــ عنايته بالكتب ، وغرامه باقتنائها وتعرّفها ، وكثيراً ما كان يصف تلك الكتب التي يذكرها ، ويصرح بأنه رآها أو تملكها ، ويبين قيمتها وأهميتها ٠

ويؤخذ على الكتاب أنه ربما ترجم للعلم مرتين ، مرة باسمه ، ومرة بكنيته أو شهرته ــ وهذا قليل ــ وأنه كرر بعض التراجم بأسماء مختلفة حسبما وقعت له ، دون أن يشير الى ذلك ٠

وتبقى لهذا الكتاب منزلته الكبرى ، في كونه مصدراً أصيلا وغنياً لدراسة أعلام اللغة والنحو في مختلف البلاد والعصور ، اضافة الى ما حواه في مطاوي التراجم من معارف واسعة وحقائق نادرة نثرها المؤلف في كتابه ، وهي مما انفرد به ، أو نقله من كتب لم تصل الينا ٠

طبع « انباه الرواة » في أربعة أجزاء ضخمة بتحقيق جيد قام به محمد أبو الفضل ابراهيم ، مع فهارس فنية متنوعة ، وقد طبعت تلك الاجزاء الاربعة في مصر على التوالي في السنوات ١٩٥٠ ، ١٩٥٢ ، ١٩٥٥ ، ١٩٧٤ م ٠

* * * *

بغية الوعاة للسيوطي

جلال الدين السيوطي ، عبد الرحمن بن أبي بكر ، امام حافظ ، مؤرخ ، أديب ، غزير الانتاج ، كثير المؤلفات · له نحو ٥٠٠ ــ ٦٠٠ مصنف ما بين كتاب ورسالة · ولد سنة ٨٤٩ هـ ونشأ في القاهرة يتيماً · ولما بلغ أربعين سنة اعتزل الناس ، فألف أكثر كتبه · وبقي على ذلك حتى توفي سنة ٩١١ هـ وهو في الثانية والستين من عمره · وهو يعد من العلماء الأفذاذ في عهود العرب المتأخرة ايام المماليك · ومن مؤلفاته : الاتقان في علوم القرآن ، والأشباه والنظائر (في النحو) ، وتاريخ الخلفاء ، والمزهر في فقه اللغة ، وشرح شواهد مغني اللبيب ، واشترك مع جلال الدين المحلي في تفسير موجز جيد للقرآن الكريم عرف باسم « تفسير الجلالين » ·

وكتابه « بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة » هو آخر الكتب الجامعة المستوعبة لتراجم علماء اللغة والنحو ، حتى بلغ عددهم عنده ٢٢٠٩ ولم يأت بعد السيوطي من يزيد على ذلك شيئاً ·

ويتجلى من خلال المقدمة التي أنشأها السيوطي لهذا الكتاب **مدى الجهد الكبير الذي عاناه السيوطي في اعداد مواده** ، ووفرة المصادر التي رجع اليها مما ألف قبل زمنه ، فقد طالع ما يزيد على ٣٠٠ كتاب في الأدب والتاريخ والتراجم واللغة واستوعبها كلها ، وكان يومئذ في التاسعة عشرة من عمره ، وأنجز مسودته في سنة واحدة (٨٦٨ ــ ٨٦٩ هـ) وقد بلغت سبعة مجلدات · فلما حل بمكة سنة ٨٦٩ أشار عليه بعضهم بتلخيصه ، ففعل ، وجعله في مجلدٍ اللباب وأنجز هذا العمل في سنتين واحتفظ بتلك المسودة مدة ، ثم ألف عدداً من الكتب ، وضمنها محتويات تلك المسودة موزعة عليها : كشرح شواهد المغني ، والأشباه والنظائر وغيرهما ، فلم يضع شيء من تلك المسودة ·

واليك خصائص هذا الكتاب في صورته الاخيرة ، وما يتصف به من مزايا :

١ ــ اتبع السيوطي فيه **الترتيب الهجائي لأعلام الكتاب ، بشكل دقيق جداً** ، مراعياً في ذلك الحرف الأول والثاني فما بعدهما ، للعلم المترجم من جهة ،

ولاسم أبيه من جهة أخرى ، من الهمزة الى الياء . واذا كان اسم العلم كنية مبدوءة بـ « أبو » لم يعتذ بها السيوطي في الترتيب الهجائي للأبناء والآباء معاً . كما أنه يقدم اسم العلم المضاف الى لفظ الجلالة « عبدالله » على غيره من الأعلام المضافة الى الأسماء الحسنى الأخرى . **وهذا مثال من حرف السين يوضح لك كل ما تقدم ، في تتابع الأعلام المترجمة :**

سعيد بن مسعدة ، الأخفش الأوسط
سعيد بن أبي منصور الحلبي
سعيد بن هارون الأشناندانى
سفيان بن عبدالله التُجيبي
سفيان بن عبد الرحمن البلنسي
أبو سفيان بن العلاء ، أخو عمرو بن العلاء .

والى جانب ذلك ، فان السيوطي — قبل ان يبدأ تراجمه المرتبة هجائياً من الهمزة الى الياء — **قدّم عليهم جميعاً أسماء المحمدين فالأحمدين** من الأعلام المترجمة اجلالا للرسول الكريم (ص) الذي سمي بهذين الاسمين . وبعد ذلك شرع في ذكر الاسماء المبدوءة بالهمزة ، فالباء ، فالتاء .. حتى حرف الياء .

٢ — وبعد حرف الياء ، ألحق السيوطي بكتابه أبواباً مختلفة ، تعد ذيلا للكتاب ، وقد جعلها بمنزلة الكشاف أو الفهارس الهجائية المتنوعة لكي تساعد القارىء على الاهتداء الى ترجمة الأعلام التي اشتهرت بعدة أسماء أو ألقاب ، مثل :

آ — **باب الكنى والألقاب والنسب والاضافات** ، ومما جاء فيه :

الأبيوردي : محمد بن أحمد
ابن الأثير : المبارك بن محمد
ابن السكيت : يعقوب بن اسحق
المعــــري : أبو العلاء أحمد بن سليمان ..

ب — **فصل فيمن شهرته باسمين** ضُم كل منهما الى الآخر ، ومنهم :

أبو عمر الزاهد : هو المطرز
الموفق البغدادي : عبد اللطيف بن يوسف

ج ـ **باب المتفق والمفترق** ، وهو أن تتفق الأسماء وتختلف المسميات :

الأخفش : أحد عشر ، أشهرهم ثلاثة : الأكبر ·· والأوسط ، ·· والأصغر ···

سيبويه : أربعة · المشهور امام العربية عمرو بن عثمان ·· والثاني محمد بن موسى ···

د ـ **باب المؤتلف والمختلف** ، وهو المتفق خطاً ، المختلف لفظاً ، ومن ذلك :

الزَّجّاجي والزُّجاجي : الأول بفتح الزاي وتشديد الجيم ، أبو القاسم عبد الرحمن بن اسحق ، صاحب الجُمل · والثاني بضم الزاي وتخفيف الجيم ، يوسف بن عبد الله الجُرجاني ·

الفالي ، والقالي : الأول بالفاء ، محمد بن سعيد السيرافي شارح اللُّباب ، والثاني بالقاف ، أبو علي اسماعيل ، صاحب « الأمالي » ·

هـ ـ **فصل فيمن آخر اسمه « وَيه » : ماهويه ، ابن حمدويهْ ··**

و ـ **فصل في الآباء ، والأبناء ، والأحفاد ، والاخوة ، والأقارب :**

أبو علي الفارسي ، وابن أخته محمد بن الحسين ، وولده بدرالدين محمد ·

ابن جني : أبو الفتح ، وولده علي ·· الخ ·

٣ ـ **يحرص السيوطي في كل ترجمة على الايجاز والاختصار** ، فيذكر اسم الرجل واسم أبيه ونسبه وكنيته ولقبه ، وشيئاً من أخباره ، وشيوخه ، وتلامذته ، وأشهر مؤلفاته ، وسنة وفاته · واذا كان له نظم ذكر قطعة منه · وهذا الايجاز ساعده على الشمول والاستقصاء ، حتى ترجم لعلماء العصور المتأخرة فكان مكملا لما سبقه ·

طبع كتاب « بغية الوعاة » أول مرة في مصر سنة ١٣٢٦ هـ = ١٩٠٨ م في مجلد واحد ضخم · ثم صورت هذه الطبعة · ونشره بعد ذلك محققاً محمد أبو الفضل ابراهيم في القاهرة سنة ١٩٦٤ ـ ١٩٦٥ م في جزأين ، وألحق به فهارس متنوعة ·

كتب أخرى في تراجم اللغويين والنحاة

هذان الكتابان : « انباه الرواة » و « بغية الوعاة » من أواخر الكتب الشاملة المؤلفة في تراجم اللغويين والنحاة · ولم يأت بعدهما ما يفوقهما شمولا وتفصيلا · وقد أفاد مؤلفاهما من عدة كتب ألفت قبلهما في هذا الموضوع ، وأهمها :

١ ـ مراتب النحويين : لأبي الطيب اللغوي (ـ ٣٥١ هـ) : هو كتاب مختصر ، صغير الحجم ، يضم تراجم بضعة وستين رجلا من علماء اللغة والنحو، مبتدئا بأبي الأسود الدؤلي حتى عصر المؤلف ، كالأصمعي ، والمبرد ، وابن السكيت ، وابن دريد ·· وكلمة « مراتب » في عنوان الكتاب لا تدل على طبقات معينة صنف فيها أولئك العلماء ، بل يقصد منها بيان مرتبة كل منهم في العلم ، من خلال ما رواه الرواة عنهم ، وما وصفهم به تلاميذهم · ويغلب الايجاز على تراجم الكتاب ، وقد تتداخل ترجمتان معاً ، كما في ترجمتي خلف الأحمر والأصمعي · ولم يعتمد المؤلف فيه ترتيباً معيناً ولا منهجا واضحا ·

طبع « مراتب النحويين » في القاهرة سنة ١٩٥٥ م بتحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم · ثم أعاد طبعه ثانية بعد بضعة عشر عاما ، مع مزيد من التحقيق والتعليق ·

٢ ـ أخبار النحويين البصريين : لأبي سعيد السيرافي (ـ ٣٦٨ هـ) : يقتصر هذا الكتاب الموجز على المشهورين من نحاة البصرة خلال قرنين تقريبا ، وذلك منذ أواسط القرن الهجري الأول حتى أواخر القرن الثالث : كأبي زيد الأنصاري ، والأصمعي ، وأبي عبيدة معمر بن المثنى ، وابي عثمان المازني ، والمبرد وهو آخرهم · وفيهم من ليسوا من النحاة بل غلب عليهم الشعر والقراءة · وقد راعى السيرافي في ترتيبهم التسلسل الزمني ·

طبع هذا الكتاب في بيروت سنة ١٩٣٦ م بعناية المستشرق «فريتس كرنكو» في ١٠٩ صفحات ، عدا الفهارس · وصورت هذه الطبعة بعد ذلك · ثم نشره ثانية طه محمد الزيني ومحمد عبد المنعم خفاجي في القاهرة سنة ١٩٥٥ م محققا أيضا ·

٣ ـ طبقات النحويين واللغويين : لأبي بكر الزبيدي الأندلسي (ـ٣٧٩هـ) :

وهذا الكتاب يترجم لأعلام اللغة والنحو منذ عهد أبي الأسود الدؤلي حتى عصر المؤلف في النصف الأول من القرن الرابع للهجرة • **ومهد له المؤلف بمقدمة** تحدث فيها عن اللغة العربية وفشو اللحن على الألسنة ، مما أدى الى وضع أصول النحو على يد أبي الأسود الدؤلي • **ثم تاتي تراجم النحويين واللغويين** الذين بلغ عددهم **٣٠٠ وثلثهم من الأندلسيين** • واعتمد المؤلف في جمع مادته على الروايات الشفوية عن شيوخه بالأندلس ، كالقالي وغيره من رجال العلم واللغة والأدب ، كما اعتمد على الكتب المؤلفة قبله في اللغة والتراجم والتاريخ • **ووزع المترجمين على خمس مناطق** وهي : (البصرة ، والكوفة ، ومصر ، وافريقية ، والأندلس) **وقسم أعلام كل منطقة الى طبقات مرتبة ترتيباً زمنياً**، ويختلف عدد هذه الطبقات من منطقة الى أخرى • كما أن المؤلف فصل بين علماء النحو واللغة في تراجم علماء البصرة ، وعلماء الكوفة فقط ، فصنف كل فئة منهما منفردة ، ولكنه جمع بين الفئتين في بقية الامصار : (مصر ، وافريقية ، والأندلس) • وهكذا **جاء توزيع الفئات جميعاً على النحو التالي :**

- النحويون البصريون : ١٠ طبقات مرتبة زمنياً ، ويختلف عدد أفراد كل طبقة
- النحويون الكوفيون : ٦ « « « « « «
- اللغويون البصريون : ٧ « « « « « «
- اللغويون الكوفيون : ٥ « « « « « «
- النحويون واللغويون المصريون : ٣ « « « « « «
- النحويون واللغويون القرويون (أي الافريقيون) : ٣ « « « « « «
- النحويون واللغويون الأندلسيون :٦ « « « « « «

طبع هذا الكتاب في مصر سنة ١٩٥٤ م بتحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، ثم أعاد طبعه سنة ١٩٧٣ م مع مزيد من العناية وتدارك ما فاته في الطبعة السابقة •

٤ ـ نزهة الألباء في طبقات الأدباء : لأبي البركات بن الأنباري « ـ ٥٧٧ هـ » : يتناول هذا الكتاب **تراجم النحاة واللغويين ، وبعض الشعراء والأدباء ورواة الشعر منذ القرن الأول حتى عصر المؤلف** في القرن السادس

للهجرة . وتكلم في مقدمته على نشأة النحو ، وأول من وضعه ، ثم بدأ بتراجم الأعلام الذين بلغ عددهم ١٨١ وراعى في ترتيبهم التسلسل الزمني تقريباً ، وانتهى بترجمة أستاذه ابن الشجري المتوفى سنة ٥٤٢ هـ . وليس لكلمة « **الطبقات** » الواردة في عنوان الكتاب أي مدلول اصطلاحي ، بل المراد منها مجرد الترجمة لحياة أولئك الأعلام الذين اختلط فيهم **النحاة** : (كسيبويه ، والخليل ، والمازني) **بالرواة** (كالمفضل ، وخلف الأحمر ، وحماد الراوية) الى جانب الأدباء : (كالجاحظ ، وابن قتيبة) **والشعراء** : (كأبي نواس ، وأبي تمام ، والمتنبي ، والمعري) .. وكأن المؤلف راعى ذلك حين أضاف الى عنوان كتابه عبارة « طبقات الأدباء » وأراد منها المعنى الواسع للأدب .

وقد طبع « نزهة الألباء » مراراً ، وأجود طبعاته اثنتان محققتـــان ، **الأولى** قام بها د. ابراهيم السامرائي وطبعت في بغداد سنة ١٩٥٩ م ثم سنة ١٩٧٠ م . **والثانية** اضطلع بها محمد أبو الفضل ابراهيم وطبعت في مصر سنة ١٩٦٧ م .

* * * *



الفصل الثالث

كتب التراجم العامة وما إليها

معجم الأدباء

لياقوت الحموي

يعد ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي « ٥٧٤ ـ ٦٢٦ هـ » ممن لهم شهرة واسعة في تاريخ الثقافة العربية ، وأثر كبير في هذه الثقافة نفسها ٠ وهو مؤرخ ثقة ، من أئمة الجغرافيين ومن العلماء باللغة والأدب ٠ نشأ في بغداد وقام بأسفار كثيرة ، ورحلات واسعة في مختلف البلاد الاسلامية الواسعة الارجاء، فمن الشام الى العراق ، الى خراسان ، الى الخرطوم ، الى خوارزم ، ولقي في سبيل ذلك المصاعب والمهالك ، وهو لا يفتر مع ذلك عن الانتقال وتدوين مشاهداته ، ومشافهة العلماء والمصنفين ، والأخذ عنهم ٠ وحين كان في خوارزم صادفه زحف التتار هناك ، ففر هارباً وترك كل ما يملك ، سنة ٦١٦هـ وهو في الثانية والأربعين من عمره ، ويصفه ابن خلكان وهو على تلك الحال قائلا : « فانهزم بنفسه كبعثه يوم الحشر من رمسه ٠٠ وأعوزه دنيء المآكل وخشن الثياب ، وأقام بالموصل مدة مديدة ، ثم انتقل الى سنجار ، وارتحل منها الى حلب ، وأقام بظاهرها في الخان ، الى أن مات في رمضان سنة ٦٢٦ هـ » ولم يعش سوى ٥٢ سنة ٠

ويختتم ابن خلكان ترجمته لياقوت بقوله : « وقدمت حلب للاشتغال بها في مستهل ذي القعدة سنة وفاته ، وذلك عقيب موته ، والناس يثنون عليه ، ويذكرون فضله وأدبه ٠ ولم يقدر لي الاجتماع به » ٠

وترك ياقوت عدة مؤلفات ، طبع منها : معجم الأدباء ، ومعجم البلدان ، والمشترك وضعاً والمفترق صقعاً ٠ ومن كتبه الاخرى التي لم تصل الينا : معجم الشعراء ، وكتاب الدول ، وأخبار المتنبي ٠٠٠

أما كتابه « معجم الأدباء » فقد اشتهر بهذا الاسم ، ويذكر ابن خلكان أن الاسم الذي اختاره ياقوت لكتابه هو « ارشاد الألباء الى معرفة الأدباء » • في حين أن ياقوتاً يذكر في آخر مقدمته أنه سماه : « ارشاد الأريب الى معرفة الأديب » • فهي ثلاثة أسماء لكتاب واحد • والأول أشهرها •

و« الأدباء » في كتاب ياقوت هم الذين أخذوا من كل علم بطـــرف ، وربطتهم بالعلم وشيجة قوية ، فهو يعني بهم المعنى الواسع لمفهوم الأدب ، ولذلك ترجم لفئات واسعة منهم حتى عصره ، ولا سيما من عرفوا منهم بالتأليف وتركوا مصنفات ، وقد فصلهم فقال في مقدمة كتابه : « وجمعت في هذا الكتاب ما وقع الي من أخبار النحويين ، واللغويين ، والنسابين ، والقُراء المشهورين ، والاخباريين ، والمؤرخين ، والوراقين المعروفين والكتّاب المشهورين ، وأصحاب الرسائل المدونة ، وأرباب الخطوط المنسوبة والمعينة ، وكل من صنف في الأدب تصنيفا ، أو جمع في فنه تأليفا » •

فموضوع الكتاب اذن شامل لتراجم مختلف الفئات من العلماء والمثقفـين الذين تركوا من بعدهم تصنيفاً أو مؤلفاً ، مهما اختلفت اختصاصاتهم ، فنجد فيه تراجم لأمثال : بديع الزمان الهمذاني ، وابن فارس اللغوي،وابن عبد ربه، وثعلب ، وأسامة بن منقذ ، واسحق الموصلي ، والمعري ، وابن رشيق ، والخليل ابن أحمد الفراهيدي ، والزمخشري ••

ونذكر فيما يلي أهم خصائص هذا الكتاب :

١ ــ مهد ياقوت لكتابه **بمقدمة طويلة** (٢٠ صفحة) تحدث فيها عن كتابه ومنهجه فيه ، ثم اتبع المقدمة **بفصلين** : أحدهما خصصه للحديث عن فضل الأدب وأهله « ٢٥ صفحة » والآخر في فضيلة علم الأخبار « ١٠ صفحات »•

٢ ــ **ثم رتب ياقوت الأسماء فيه عــلى حروف الهجاء** ، ملتزماً الدقة في ذلك ، اذ راعى الحرف الأول ، فالثاني ، فما بعدهما ، وكذلك فعل في أسماء الآباء • وتجري التراجم عنده في الألف ، مثلا ، على النسق التالي :

ــ آدم بن أحمد الهروي
ــ أبان بن تغلب الجريري
ــ أبان بن عثمان اللؤلئي
ــ ابراهيم بن أحمد الطبري ••

فاذا اتفق أسماء عدة رجال وأسماء آبائهم ، قدم من سبقت وفاته على من تأخرت ٠

٣ ـ استبعد ياقوت من كتابه الشعراء الذين لم يشتهروا بغير الشعر : كالمتنبي ، وبشار ، لأنه ألف كتاباً في تراجم الشعراء القدماء والمتأخرين ، سماه « معجم الشعراء » على المنوال نفسه ، ولكنه لم يصل الينا ٠ وقال عنه : « فأودعت ذلك الكتاب كل من غلب عليه الشعر ٠٠ ولم يشتهر برواية الكتب وتأليفها ، والآداب وتصنيفها » ٠

ومن ثم اقتصر ياقوت في « معجم الأدباء » **على مصنفي الكتب من الأعلام والمشهورين** ، دون الشعراء ، أما اذا عُرف الشاعر بالتاليف فانه يترجم له : كالبحتري ، وابن عبد ربه ، والمعري ٠ وفي ذلك يقول : « وأما من عُرف بالتصنيف ، واشتهر بالتأليف ٠٠ وقل شعره ، وكثر نثره ، فهذا الكتاب عشّه ووكره ، وفيه يكون ثناؤه وذكره ٠ واجتزىء به عن التكرار هناك ، الا النفر اليسير الذي دعت الضرورة اليهم ، ودلتنا عنايتهم بالصناعتين عليهم ٠ ففي هذين الكتابين اكثر أخبار الأدباء ، من العلماء والشعراء » ٠

٤ ـ ولم يخص ياقوت بتراجمه عصراً معيناً ، ولا اقليما واحداً ، بل ترجم فيه لأعلام الآداب والمعارف على امتداد الأراضي الاسلامية والعربية كلها ، من آواسط آسية شرقاً ، الى شواطىء المحيط الاطلسي غربا ، ومنذ القرن الأول للهجرة حتى عصره ٠ حتى بلغ عدد تراجمه ١٠٦٥ ترجمة ، شملت العراق ، وخراسان ، والحجاز ، واليمن ، ومصر ، والشام ، والمغرب ، والأندلس ٠٠ الخ ٠

٥ ـ اعتمد ياقوت في جمع مادة كتابه على ما تلقفه من أفواه العلماء الذين لقيهم في رحلاته ، وعلى ما حصله في أسفاره الكثيرة التي كانت عاملا من عوامل اتساع ثقافته وتزايد معارفه وعلومه ، واعتمد كذلك على ما كان يقتنيه أو يتاجر به من دواوين العرب والمحدثين ، ومصنفات أهل الأدب والمؤرخين ، وتفاريق الكتب الاخرى ولا سيما كتب التراجم التي أورد أسماء بعضها ، أو أسماء مصنفيها : كالسيرافي ، والمرزباني ، وأبي بكر الزبيدي ، وعبد الرحمن بن الأنباري ، وعلي بن فضال المجاشعي ٠٠

٦ ـ وتتفاوت التراجم في هذا الكتاب ، طولا وقصراً ، بحسب منزلة المترجم وآثاره ، ولكن ياقوتاً يؤثر ـ بصورة عامة ـ الاختصار والإيجاز

وان كان يخرج عن هذا أحياناً ، فيطيل جداً في الترجمة ، كما فعل في المعري ، والصاحب بن عباد ، وأسامة بن منقذ ٠٠ ويختصر حيناً آخر حتى يصل به الأمر الى سطر و سطرين ، لأنه يرى أن ذكر الشيء القليل ــ مهما بلغ من ضآلة ــ خير من عدمه ٠

٧ ــ ومن الظواهر البارزة **عناية ياقوت بالتاريخ وذكر السنين** ، للمناسبات ، والحوادث ، واثبات سنوات الولادة والوفاة لمن يترجم لهم ، الى جانب ذكر مؤلفاتهم ، ومستحسن أخبارهم ، وايراد أنسابهم وشيء من أشعارهم ولا سيما من عاصرهم ، أو لقيهم بنفسه وجالسهم ، اذ يورد من ذلك عندئذ ما لا مزيد عليه ٠

٨ ــ **وحذف من كتابه الأسانيد** : « فلان عن فلان ٠٠ » ، الا ما قل رجاله ، وقرب مناله ، وقد كان ياقوت في كتابه مثالاً للصدق والأمانة العلمية، فيما ينقل أو يثبت من الاخبار والنقول ، فينسب كل قول الى صاحبه أو مصدره ، مهما كان شأنه ٠

تلك أهم الخصائص التي يمتاز بها كتاب « معجم الأدباء » ٠ **ولكن لنا عليه بعض الملاحظات ، منها :**

١ ــ أن هناك مواضع قليلة من الكتاب لم يراع فيها الحرف الاول ، أو الثاني من اسم الأب ، مع أن ياقوتاً صرح في المقدمة بأنه التزم الدقة حتى في ترتيب أسماء الآباء ٠

٢ ــ وفي الكتاب أيضاً تراجم لرجال لم يُعرفوا بغير الشعر ، وليس لهم تصانيف البتة ٠ وفيهم المخضرمون والأمويون والمحدثون : كحميد بن ثور ، والفرزدق ، وابي دلامة ، والحسين بن الضحاك ٠ وهذا لا يتفق والشرط الذي ألزم به ياقوت نفسه ٠

٣ ــ ثم ان في مقدمة « معجم الأدباء » اشارات الى أمور أو فصول ضمنها كتابه ، ولكن لا وجود لها فيه ٠

مثل هذه الهنات لا يتناسب وما يتمتع به ياقوت من ملكة في التأليف ، ودقة في التصنيف ، هما موضع اعجاب وثناء لدى كثير من المؤرخين ونقدة الآداب ٠ ومن ثم فان ياقوتاً لا يمكن أن يقع في تلك الهفوات التي لا يصعب على

عالم مثله تجنبها ، وهو الحريص جداً على صحة تأتيه في مؤلفاته ، وخلوها مما يتنقصها · واذا عرفنا أن **النسخة المخطوطة لكتاب « معجم الأدباء » هي الوحيدة في مكتبات العالم** ، وان تاريخ نسخها لا يرقى الى أكثر من القرن السابع عشر ، وليس لها أصل قديم معروف نقلت عنه ، فضلا عما فيها من نقص واضطراب ، وتقديم وتأخير ·· اذا عرفنا ذلك كله ــ وقد أشار اليه ناشر الكتاب ــ أحسنا الظن بياقوت ، بل بقينا على حسن ظننا به ، **ورجحنا أن النساخ هم الذين عبثوا بنسخة الكتاب الخطية في تداولهم اياها بعد موته** وقيامهم بكتابة نسخ أخرى عنها ، خلال خمسة قرون بعده ، وربما خلطوا أيضاً بين تراجم كتابيه « معجم الأدباء » و « معجم الشعراء » · وعلى هذا ، لا يمكننا الاطمئنان الى أن هذه النسخة التي بين أيدينا من كتابه ، هي نفسها كما وضعها ياقوت في الأصل[1] · هذا ، الى أن الكتاب كان مسودة في حوزة مؤلفه الذي الفه في أواخر حياته ، فلم يُتح له تبييضه وتنقيحه ، فجـــاء النُّساخ وأجالوا فيه يد الاصلاح والتهذيب كما يحلو لهم ·

وعلى الرغم من ذلك كله ، **يبقى « معجم الأدباء » في مقدمة كتب التراجم شهرة ونفعاً** ، وهو كتاب ثمين في قيمته ومنزلته ، حتى حق لمؤلفه أن يقول فيه : « وأعـلم انني لو أُعطيت حُمر النعم وسود ، ومقانب الملوك وبنودها ، لما سرني أن يُنسب هذا الكتاب الى سواي ، وان يفوز بقصب سبقه الاي ، لما قاسيتُ في تحصيله من المشقة ، وطويت في تكميله من طول الشقة ·· ولو أنصف أهل الادب لاستغنوا به عن المآكل والمشرب[2] » ·

طبع معجم الأدباء ثلاث طبعات رئيسية :

ــ **الأولى** : نشرها واعتنى بتصحيحها المستشرق « مرجليوث » ، وطبعت في أوروبة في سبعة أجزاء بين سنتي ١٩٠٧ ــ ١٩٢٦ م بعنوان « **ارشاد الأريب الى معرفة الأديب** » ، وهو أحد الأسماء الثلاثة التي عُرف بها هذا الكتاب · ثم أعيدت طباعته وتصويره في مصر ولبنان غير مرة ·

(١) يقول الزركلي عن كتاب معجم الأدباء : « وفي النسخة المطبوعة نقص ، استُدرك بتراجم ملفقة دست فيه » · وقد نشر عبد العزيز الميمني في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق (مج ٤٠ : ١٩٦٥) استدراكات وتصحيحات على الكتاب بعنوان : « طُرر على مُعجم الأدباء » ·

(٢) النعم ، بفتح النون والعين : الابل · والمقانب : الخيول تجتمع للغارة · والبنود : الرايات ·

ـ **والثانية** : نشرت في مصر باشراف د· أحمد فريد الرفاعي في ٢٠ جزءاً (مطبوعات دار المأمون) بين سنتي ١٩٣٦ ـ ١٩٣٨ م = ١٣٥٥ ـ ١٣٥٧ هـ بعنوان « **معجم الأدباء** » وتمتاز هذه الطبعة بزيادة في التعليقات ، مع فهارس وافية · ثم طبعت مصورة في بيروت حيث نشرتها « دار المستشرق » وأغفلت ذكر تاريخ التصوير · وقد ظهرت هذه الطبعة المصورة في الاسواق في أوائل عشر السبعين ·

ـ **والثالثة** : طبعت في المطبعة المرتضوية بالنجف ، سنة ١٣٥٨ هـ في ثلاثة مجلدات ·

* * * *

وَفَيات الأعيان

لابن خلكان

أبو العباس ، أحمد بن محمد ، المعروف بابن خلكان(١) . وقد عاش معظم القرن السابع للهجرة « ٦٠٨ ـ ٦٨١ هـ » . وهو مؤرخ ثقة ، وأديب حجة ، تنقل بين العراق ومصر وبلاد الشام ، وولاه الملك الظاهر بيبرس قضاء الشام، وبقي في هذا المنصب بضع عشرة سنة ، يتركه حيناً ويعود اليه حيناً آخر . كما تولى التدريس في كثير من مدارس دمشق وفي هذه المدينة توفي ، ودفن في سفح جبل قاسيون .

وكتابه الذي اشتهر اختصاراً باسم « وفيات الاعيان(٢) » هو طويل العنوان وهو بتمامه : « وفيات الأعيان ، وأنباء أبناء الزمان ، مما ثبت بالنقل أو السماع ، أو أثبته العيان » . وقد بين سبب اطالته فقال : « ليُستدل على مضمون الكتاب بمجرد العنوان » . وكان المؤلفون في تلك العصور يحرصون على أن يكون العنوان دالا على المضمون ومحققاً ـ في الوقت نفسه ـ موسيقا السجع والفاصلة وان طال . ومن هذا القبيل كتاب « صبح الأعشى في صناعة الانشا » للقلقشندي ، وكتاب « المستطرف من كل فن مستظرف » للأبشيهي .

وكتاب « وفيات الأعيان » في طليعة كتب التراجم العامة ، ضبطاً واحكاما وغزارة . وهو لا يقتصر على فئة معينة من العلماء أو الملوك أو الشعراء ، بل يذكر كل من له شهرة بين الناس ، أو كان من ذوي النباهة : من الفقهاء ، والمتصوفة ، والشعراء ، والأطباء ، والأدباء ، والنحاة ، واللغويين ، والمغنين ، وشهيرات النساء .. الخ ، حتى بلغ عددهم ٨٥٥ علما ، بدءاً من القرن الهجري الأول ، حتى عصر المؤلف في القرن السابع .

وممن ترجم لهم ابن خلكان في كتابه : أبناء الأثير الثلاثة ، والأخفش الأصغر ، والأخفش الأكبر ، وأسامة بن منقذ ، والبحتري ، وأبو العلاء المعري ، ورابعة العدوية ، وصلاح الدين الأيوبي ، والطبري المؤرخ ، وجعفر

---

(١) بكسر الخاء ، مع تشديد اللام المكسورة أيضاً . ويجوز فتح الخاء .

(٢) بفتح الواو والفاء ، جمع وفاة . ولا يجوز كسر الفاء وتشديد الياء ، وهذا خطأ شائع على الألسنة .

البرمكي ، وشهاب الدين السهروردي ، والبخاري المحدث ، والامام الشافعي ، والشريف الرضي ، ··· الخ ·

ويقوم منهجه وخصائصه على ما يلي :

١ ـ **رتب أسماء الأعلام على حروف المعجم** ، بحسب الحرف الأول لكل علم ، بدءاً من الهمزة الى الياء · وتنوعت تراجمه طولا وقصراً وتوسطاً ، وقد يفصل في بعض الحوادث التاريخية ، والأخبار والأشعار التي تتصل بصاحب الترجمة ·

٢ ـ **أغفل تراجم معظم الصحابة والتابعين والخلفاء** ، اكتفاء بالمصنفات الكثيرة التي تتحدث عنهم وتترجم لهم ، الا جماعة يسيرة منهم تدعو حاجة كثير من الناس الى معرفة أحوالهم ·

٣ ـ **وعني المؤلف في الوقت نفسه بذكر أعلام زمانه الأفاضل** ، ممن شاهدهم ونقل عنهم ، او كانوا في زمنه ولم يرهم ، ليتعرف سيرتهم من يأتي بعدهم ·

٤ ـ **وكان هم ابن خلكان العناية باثبات سنة الوفاة لكل علم بدقة** ، وتحري الصواب والصحة في ذلك ، وعنوان كتابه يؤكد ذلك · **كقوله في ذكر وفاة نفطويه النحوي :**

« وتوفي في صفر سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة ، يوم الأربعاء لست خلون منه ، بعد طلوع الشمس بساعة · وقيل : « توفي سنة أربع وعشرين ·· ودفن ثاني يوم بباب الكوفة » ·

وكتاب « **وفيات الأعيان** » من الكتب الأساسية في التراجم العامة ، ولعله أشهر كتب التراجم القديمة ، لا يستغني عنه مؤلف أو باحث · وهو كتاب كثير التحقيق ، يتفوق نظائره في الضبط والاحكام ، واصدار الاحكام الناضجة على ما يورده من القصائد والمقطوعات الشعرية[(١)] ·

وشهرته هذه جعلته **ينال حظوة لدى الباحثين والمؤلفين من بعده ، اذ قاموا بتأليف كتب تهتدي بهديه ، وتستدرك ما فاته ، مثل :**

---

(١) طبع « وفيات الاعيان » عدة مرات · وأجود طبعاته تلك التي حققها احسان عباس ، وطبعت في بيروت سنة ١٩٦٨ ـ ١٩٧٢ في ثمانية مجلدات ·

١ ــ **فوات الوفيات** : لابن شاكر الكتبي ، الذي عاش في القرن الثامن الهجري (ــ ٧٦٤ هـ) • ويضم هذا الكتاب حوالي ٥٠٠ ترجمة ولكنه دون كتاب ابن خلكان من حيث الضبط والعناية • طبع غير مرة • وأجود طبعاته وأكملها ، تلك التي حققها د• احسان عباس وطبعت في بيروت سنة ١٩٧٣ م ، في خمسة مجلدات •

٢ ــ **الوافي بالوفيات** : لصلاح الدين الصفدي ، من القرن الثامن أيضا (ــ ٧٦٤ هـ) • وهو كتاب ضخم جدا ، طبع منه بضعة عشر جزءاً •

٣ ــ **درة الحجال في أسماء الرجال** : لأبي العباس المكناسي ، الشهير بابن القاضي (ــ ١٠٢٥ هـ) وهو يترجم لمن عاش بعد ابن خلكان حتى عصر المؤلف وقد استهله المكناسي بالترجمة لابن خلكان نفسه • ويقع هذا الكتاب في ثلاثة أجزاء ، حققها محمد الاحمدي أبو النور ، وطبعت في القاهرة سنة ١٣٩٠ هـ ــ ١٩٧٠ م •

* * * *

الفهرست

لابن النديم

عاش أبو الفرج محمد بن اسحق النديم ببغداد في القرن الرابع الهجري . و « النديم » يرد في بعض المصادر وصفا له ، وفي بعضها الآخر وصفاً لأبيه « أبي يعقوب ، اسحق » . ولا يبعد أيضاً أن يكون النديم هو الجد الاعلى للأسرة ، والذي كان ينادم بعض الخلفاء أو الامراء ، فأصبح اسمه هذا بعد ذلك لقبا للأسرة كلها .

وتضن المصادر باعطائنا تفصيلات واضحة عن ابن النديم ، ذلك الذي قدم للثقافة العربية والمترجمة كتاباً هاماً لا يستغني عنه باحث أو دارس لتراثنا العربي في القرون الأربعة الأولى للهجرة ، وما أبدعته القرائح من الكتب والمصنفات في تلك القرون .

كان والد ابن النديم **وراقا** مثرياً في بغداد ، ونشأ ابنه على ذلك أيضاً . وهذا ما أتاح له أن يتصل بالعلماء والأدباء والشعراء ، ويطلع على مختلف المصنفات من خلال تعاطيه تلك المهنة . ومن العلماء الذين تتلمذ لهم أو أخذ عنهم : أبو سعيد السيرافي ، وأبو الفرج الأصفهاني ، والمرزباني ، وغيرهم من علماء الأدب ، والتاريخ ، والعربية ، والفقه ، والحديث ، والمنطق والعلوم اليونانيـــة .

وأتيح له أن يذهب الى الموصل ويقيم فيها ردحا من الزمن ، ويتصـــل ببعض علمائها وأدبائها ويأخذ عنهم .. ثم يعود الى بغداد ، وفيها توفي سنة ٣٨٠ هـ[1] .

كل ذلك جعل من ابـن النديم رجـلا عالما وأديبا مطلعاً عـلى أنواع من العلوم ومشاركا فيها ، وهذا ما أتاح له أن يؤلف عدة كتب ، منها : الفهرست ، وكتاب « الاوصاف والتشبيهات » .

(١) هذا التاريخ هو الذي نص عليه الصفدي في كتاب « الوافي بالوفيات » ويكاد يكون هو الثابت في تحديد وفاة ابن النديم . ومن الباحثين من يجعل وفاته في نهاية القرن الرابع ، أو أوائل القرن الخامس . وهذا الرأي لا يعول عليه كثيراً ، لقرائن كثيرة لا مجال لتفصيلها هنا

وكتاب « الفهرست »(١) أول كتاب مفصل من نوعه يؤلف في تراثنا العربي(٢) : فهو يستوعب ما وصل اليه علم ابن النديم من الكتب العربية المؤلفة والمترجمة ، ويصنفها في أبواب متنوعة بحسب موضوعاتها ، ويترجم لأصحابها ويبين طبقاتهم ومواطنهم ووفياتهم باختصار حينا ، وتبسط قليل حينا آخر . **وبذلك يعد مصدراً قيماً لمن يريد أن يرصد النتاج الفكري للعرب** منذ أن عرفوا التدوين والتأليف حتى نهاية القرن الرابع الهجري . فهو يجمع بين احصاء العلوم ، وبيان طبيعتها وحدودها ، والتعريف بكتبها المؤلفة فيها ، شمولا وتقصياً ، وما قام به أصحاب تلك الكتب من جهود أعطت أينع الثمرات. وقد أفاد في ذلك من مهنة الوراقة والاتصال بالعلماء والمكتبات الخاصة والعامة في كل من بغداد والموصل .

وربما ورد اسم هذا الكتاب في بعض المصادر ، بزيادة يسيرة عليه ، فقد سماه ياقوت «**فهرست الكتب** » ، كما سماه الصفدي « **الفهرست في أخبار الأدباء** » . وقد كان ابن النديم يجمع مواد كتابه وينسقها من خلال عمله في الوراقة واتصاله بالعلماء والكتب ، ولما انتهى من ذلك شرع في كتابته وتصنيفه سنة ٣٧٧ هـ . ويبدو أنه انتهى منه خلال هذا العام نفسه ، لأنه اشار الى ذلك في عدة مواضع منه كقوله ، مثلا ، في ترجمة المرزباني : « ويحيا الى وقتنا هذا وهو سنة سبع وسبعين وثلاثمئة » . **وهذا التاريخ نفسه أثبته ابن النديم في مقدمة كتابه ، وهو يفصل موضوعه ومحتواه ، فقال :**

« فهذا فهرست كتب جميع الامم من العرب والعجم ، الموجود منها بلغة العرب وقلمها ، في أصناف العلوم ، وأخبار مصنفيها ، وطبقات مؤلفيها ، وانسابهم ، وتاريخ مواليدهم ، ومبلغ أعمارهم ، وأوقات وفاتهم ، وأماكن بلدانهم ، ومناقبهم ومثالبهم ، منذ ابتداء كل علم اخترع الى عصرنا هذا ، وهو سنة سبع وسبعين وثلاثمئة للهجرة » .

---

(١) كلمة « الفهرست » أو « الفهرس » بكسر الفاء والراء ، أعجمية الاصل ، دخلت الى اللغة العربية عن طريق الفرس . وجمع العرب « الفهرس » على « فهارس » ، واشتقوا منها فعلا فقالوا : فهرس فلان الكتاب فهرسة .

(٢) هناك محاولتان أخريان قام بها رجلان معاصران لابن النديم . أحدهما سبقه قليلا وهو الفارابي (ـ ٣٣٩ هـ) في كتاب « احصاء العلوم » ، والآخر كان في زمنه وهو محمد بن احمد الخوارزمي (ـ ٣٨٧ هـ) في « مفاتيح العلوم » . وهذان الكتابان موجزان جدا ، ثم ان مؤلفيهما يقتصران على التعريف ببعض علوم عصرهما وجوانب من مسائلها باختصار ، دون التعرض للمؤلفين ومصنفاتهم بتعريف أو توضيح .

ومن خلال عمل ابن النديم في هذا الكتاب يلاحظ قارئه أن المؤلف عالم كبير وأديب واسع الاطلاع ، وقد أوتي حظاً كبيراً من المهارة في التصنيف وفي التعريف بالعلوم و صحابها ، على منهج سليم ، وبراعة فائقة • وقد حرص على أن يطلع على كل الكتب التي تحدث عنها في كتابه ، وألا يفوته شيء منها ، حتى قال فيه ياقوت : « مصنف كتاب الفهرست الذي جود فيه ، واستوعب استيعاباً يدل على اطلاعه على فنون من العلم ، وتحققه لجميع الكتب » •

وكان ابن النديم يترك في بعض المواضع من كتابه فراغات مناسبة ، ليملأها فيما بعد ، أو يملأها غيره ممن يقتني نسخة من الكتاب ، فهو يقول في ترجمة « الامام » الناصر للحق الحسن بن علي » بعد أن يورد أسماء كتبه التي وقف عليها بنفسه : « هذا ما رأيناه من كتبه • وزعم بعض الزيدية أن له نحواً من مئة كتاب ، ولم نرها • فان رأى ناظر في كتابنا شيئاً منها الحقها بموضعها ان شاء الله » •

وهكذا كان ابن النديم اذن يعاود النظر في كتابه ، ويضيف اليه ــ في تلك الفراغات ــ ما يستجد من معلومات عن الكتب والمؤلفات العربية والمنقولة ، حتى أصبح كتاباً فريداً يضم بين دفتيه ثقافات واسعة ، ومعالم حضارة غنية ، كما أنه يحتوي أيضا على أحسن ايضاح لأنواع الخطوط والاقلام العربية وغير العربية ، وأنواع الورق الذي كان يستعمل في الكتابة ، الى جانب كل ما يتصل بانتقال الثقافة اليونانية وغيرها الى العرب •

هذا ، ومن المفيد هنا أن نذكر **المنهج الذي سار عليه ابن النديم في تنظيم مواد كتابه وتوزيعها** ، وكيف ابتدأ ؟ والام انتهى ؟

لقد قسم كتابه الى عشرة أقسام ، سمى كلا منها « مقالة » بمعنى الباب ، **وقسم كل مقالة الى عدة « فنون »** ، بمعنى الفصول ، **وبلغ عددها ٣٢ فناً** في المقالات التسع الاولى •

ففي المقالة الأولى ــ التي قسمها الى ثلاثة فنون ــ يتحدث عن لغات الامم من العرب والعجم ، وصفات أقلامها وأنواع خطوطها وأشكال الكتابة لديها ، ثم يعرج على الحديث عن الكتب السماوية من توراة وانجيل وقرآن ، ليصل بعد ذلك الى تفصيل الكلام في تدوين المصاحف وفي علوم القرآن الكريم ، وأسماء الكتب المؤلفة في القراءات وأخبار القراء وما الى ذلك •

وفي **المقالة الثانية** ، بفنونها الثلاثة أيضاً ، يتكلم على النحو والنحويين من بصريين وكوفيين وعلى اللغويين ، وأخبارهم وأسماء مؤلفاتهم ٠

ويخصص **المقالة الثالثة** للأخبار والآداب والسير والأنساب . وللندماء والمغنين والكتب المؤلفة في ذلك ، ويضيف اليها أخبار الملوك والكتاب والمترسلين وعمال الخراج وأصحاب الدواوين وأسماء كتبهم ٠ وتقع هذه المقالة في ثلاثة فنون أيضاً ٠

اما **المقالة الرابعة** ــ وهي فنان اثنان ــ فقد جعلها ابن النديم للشعر والشعراء منذ العصر الجاهلي الى عصره ، وصناع الدواوين الشعرية ، وأسماء الرواة وما جمعوه من دواوين للشعراء أو للقبائل ٠

و**المقالة الخامسة** : تناولت علم الكلام والمتكلمين ، وأصحاب الفـــرق الدينية المختلفة من معتزلة ومرجئة وشيعة ، وجبرية ، وخوارج ، وزهاد ، ومتصوفة ، وأخبارهم ، وأسماء كتبهم ، وهذه المقالة موزعة على خمسة فنون ٠

و**المقالة السادسة** : في الفقه ، والفقهاء ، والمحدثين ، وما صنفوه من كتب ٠ وهي موزعة على ثمانية فنون ٠

و**المقالة السابعة** ــ بفنونها الثلاثة ــ في أخبار الفلاسفة والمناطقة والعلوم القديمة من طب ، وهندسة ، وموسيقا ، وحساب ، وتنجيم ، وصنع الآلات المختلفة ٠٠ والكتب المؤلفة في ذلك ٠

أما **المقالة الثامنة** : فهي في الأسمار ، والخرافات ، والسحر ، والشعوذة ، ومعان شتى أُلفت فيها كتب كالفأل ، والفروسية ، والبيطرة ، وتعبير الرؤيا ، وما الى ذلك ، في ثلاثة فنون ٠

و**المقالة التاسعة** : في المذاهب والاعتقادات لدى الامم القديمة ، ولا سيما الصابئة والمانوية ، والخرمية ، ومذاهب الهند والصين ، في فنين اثنين ٠

وينتهي الكتاب ب**المقالة العاشرة** ، ولم تقسم الى فنون ، وكأنها كلها فن واحد ، وقد خصصها ابن النديم لأخبار الكيميائيين والصنعويين من القدمـــاء

والمحدثين وأسماء كتبهم ، مثل هرمس البابلي،وخالد بن يزيد بن معاوية ، وجابر بن حيان ، وذي النون المصري ، ومحمد بن زكريا الرازي ··

وابن النديم في كل مقالة من مقالاته العشر وما فيها من فنون ، يتحدث عن أصحاب كل علم ، أو موضوع ، وما صنفوه في ذلك من كتب أو رسائل ، ويضيف الى ذلك كثيراً من الاخبار والآراء والاحكام التي تأتي متناثرة في مطاوي فنون الكتاب ومقالاته ·

وقد طبع « **الفهرست** » مراراً في أوروبة ، ومصر ، وبيروت ، وايران ، وترجم الى عدة لغات أجنبية ، كالفارسية والانكليزية والفرنسية ·

وأجود طبعاته اثنتان :

١ ــ طبعة ليبزيغ بألمانيا : حققها المستشرق « فلوجل » ونشرت سنة ١٨٧١ ــ ١٨٧٢ م · ثم طبعت في بيروت بطريقة التصوير ١٩٦٤ ·

٢ ــ طبعة طهران ١٩٧١ م بتحقيق رضا تجدد · وهي أكمل طبعات « الفهرست » وأكثرها دقة وعناية ·

اما الطبعات الاخرى فكلها تجارية وغير علمية ·

● ● ●

كشف الظنون

لحاجي خليفة

هذا الكتاب ، كالفهرست ، من مسارد العلوم والمصنفين معاً ، **ألفه مصطفى ابن عبد الله ، المعروف بحاجي خليفة** ، وهو عالم تركي مستعرب ، ومؤرخ بحاثة ، عاش في القسطنطينية « استانبول » بين سنتي ١٠١٧ ـ ١٠٦٧ هـ ، وتنقل في حياته بين بلاد شتى : كبغداد ، وديار بكر ، والشام ، ومكة ٠٠

وكتابه « كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون » من أعظم الكتب المؤلفة في موضوع التعريف بالمصنفات المختلفة وأصحابها ، اذ بلغ عدد الكتب التي عرف بها ١٤٥٠٠ كتاب ، وعدد المؤلفين ٩٥٠٠ ، أما العلوم والفنون التي تحدث عنها وشرحها فكان عددها ٣٠٠ ٠

وهو مصدر أساسي في هذا الباب ، ويعد أنفع وأجمع كتاب في موضوعه لما فيه من استقصاء وشمول ، ورصد لمعظم التراث العربي خلال عشرة قرون سابقة للمؤلف ، مما صنف بالعربية والفارسية والتركية ، وما كان مترجماً الى العربية من هاتين اللغتين ٠

ومنهج المؤلف في كتابه يقوم على الركائز الآتية :

١ ـ مهد للكتاب **بمقدمة طويلة** تحدث فيها عن العلم ومنزلته ، وأقسام العلوم ، والحاجة الى التدوين والتأليف ، ومراتب العلم وشرفه ٠

٢ ـ رتب مواده على **حروف المعجم** ، وراعى في ترتيبه الحرف الاول فالثاني فالثالث ٠٠ وهكذا ، **سواء في ذلك أسماء الكتب وأسماء العلوم :**

آ ـ **فاذا أردت البحث عن كتاب ما** ، وجدت ضالتك في باب الحرف الاول من اسم ذلك الكتاب ، فأدب الكاتب لابن قتيبة في باب الهمزة ، ومثله الأغاني للأصفهاني ، والحماسة في باب الحاء ، ووفيات الأعيان في حرف الواو ٠

وترى المؤلف يذكر لك مع اسم الكتاب اسم صاحبه ، مصحوباً بتعريف يسير موجز للرجل ، ووصف للكتاب وموضوعه بايجاز أيضاً ٠ وقد يذكر سطراً أو سطرين من مقدمة ذلك الكتاب ، ومعنى ذلك أن كتب العالم الواحد مفرقة على أبواب متعددة ، بحسب الحروف الهجائية التي تبدأ بها ٠

ب ـ **واذا كنت ترغب البحث عن علم من العلوم ،** فاطلبه في باب الحرف الأول من اسم ذلك العلم ، فالفقه في الفاء ، والنحو في النون ، والبلاغة في الباء ، والتاريخ في التاء ۰ وهكذا ۰

وتراه في حديثه عن كل علم ، يعرف به ، ويبين أهم موضوعاته وأركانه وفروعه ، ويضيف الى ذلك ذكر بعض الكتب والشروح المؤلفة في هذا العلم ، ولا سيما التي تحمل اسم العلم نفسه ، مثل : « الحيوان » و « التاريخ » و « الآثار » ۰۰۰

يقع « **كشف الظنون** » في مجلدين ضخمين ، **وقد استدرك عليه ، بعد ذلك ، اسماعيل البغدادي « ـ ۱۹۲۰ م » كثيراً مما فاته ، وجمع مواده في كتابين الحقا بكشف الظنون ، وكانا بمثابة الذيل له ، وهما :**

۱ ـ « **ايضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون** » : جزآن ۰ وهو مرتب على الحروف الهجائية لأسماء الكتب فقط ، دون أسماء العلوم ، والبغدادي يعرف غالباً بصاحب الكتاب تعريفاً موجزاً جداً ، على طريقة كشف الظنون تماماً ۰

۲ ـ « **هدية العارفين ، أسماء المؤلفين وآثار المصنفين** » : جزآن أيضاً ، رتب فيه البغدادي أسماء المؤلفين ترتيباً هجائياً من الألف الى الياء ، حيث يترجم للمؤلف ترجمة يسيرة جداً ، ثم يعدد أشهر مؤلفاته ۰ فهو يختلف اذن عن ايضاح المكنون في منهجه وطريقته ، **فالايضاح** يرتب الكتب ، **والهدية** يرتب المؤلفين ۰

وبذلك يصبح كشف الظنون ، مع ملحقاته وذيوله ، **ستة أجزاء ،** تطبع مجتمعة ، بين الحين والآخر ، حتى تعددت طبعاتها في اوربا ، ومصر ، واستانبول ، ولبنان ۰

* * * *

كتاب «الأعلام»
للزركلي

خير الدين الزركلي شاعر سوري معاصر (١٨٩٣ ـ ١٩٧٦ م) درس في دمشق وبيروت ، وتتلمذ لرجال الفكر والاصلاح • وهو من ذوي الجهاد الوطني في ميادين الصحافة والشعر ، ومن الرواد الأوائل لديباجة الشعر العربي المتين •

وكتابه « الأعلام » مصدر أساسي ثمين في التراجم العامة ، ومعجم شامل مركز لتراجم أشهر الرجال والنساء من العرب ، وأبرز المستعربين والمستشرقين في كل علم وفن ، خلال حقبة طويلة تمتد بضعة عشر قرناً ، منذ العصر الجاهلي حتى العصر الحديث • وقد اقتصر في تراجم المعاصرين على من أدركتها الوفاة فحسب ، دون الأحياء •

واعتمد الزركلي في سبيل ذلك على مئات المراجع والمصادر : من كتب مطبوعة ومخطوطة ، ومن صحف ومجلات ، ووثائق مختلفة ، وعلى صلاته بالشخصيات المعاصرة ومن يلوذ بها •

وتتجلى خصائص كتاب « الأعلام » في الأمور التالية :

١ ـ الأسماء فيه مرتبة على **الحروف الهجائية** ، بحسب الحرف الأول مع مراعاة الحرف الثاني والثالث •• ، وهو يراعي ذلك في أسماء الآباء أيضاً •

٢ ـ يذكر مع كل علم **سنة ولادته وسنة وفاته** بالتاريخين : الهجري والميلادي ، ما استطاع الى ذلك سبيلا ، ولو على وجه التقريب ، واذا لم يمكنا ذلك أغفله •

٣ ـ اذا تشابه علمان فأكثر في الاسم واسم الأب ، فان المؤلف يرتب الأسماء عندئذ **بحسب تاريخ الوفاة** ، الأقدم فالأقدم • ففي باب الحاء مثلا نجد الاعلام التالية التي يحمل كل منها اسم « الحسن بن علي » ، ويلاحظ فيها تسلسل سنوات الوفاة :

ـ الحسن بن علي بن أبي طالب « ـ ٥٠ هـ » •
ـ الحسن بن علي بن فضال التيمي « ـ ٢٢٤ هـ » •

ـ الحسن بن علي الهادي الحسيني « ـ ٢٦٠ هـ » ٠

ـ الحسن بن علي العنزي « ـ ٢٩٠ هـ » ٠٠٠ الخ ٠

٤ ـ **اذا كان القارىء يجهل الاسم الأصلي للعلم** ، بحث عنه في اللقب الذي يشتهر به ذلك العلم : كالجاحظ ، (في حرف الجيم) ، أو في كنيته : كأبي جهل ، (في حرف الجيم أيضاً) ، او في نسبته : كالزمخشري (في حرف الزاي) ٠ وهناك يحيله المؤلف على الموضع الأصلي للعلم ، بعد أن يرشده الى اسمه واسم أبيه ، وسنة وفاته ، على النحو التالي :

باب الجيم : الجاحظ = عمرو بن بحر ٢٥٥ هـ (فنعود الى حرف العين ، مع الانتباه الى سنة الوفاة أيضاً)

باب الجيم : أبو جهل = عمرو بن هشام ٢ هـ (فنعود الى حرف العين ، مع الانتباه الى سنة الوفاة أيضاً)

باب الزاي : الزمخشري = محمود بن عمر ٥٣٨ هـ (فنعود الى حرف الميم ، مع الانتباه الى سنة الوفاة أيضاً)

٥ ـ **أغفل المؤلف ألفاظ « أبو ، ابن ، أم » في صدر أسماء الأعلام** : فأبو بكر في حرف الباء ، وابن المقفع في حرف الميم ، وأم كلثوم في حرف الكاف ٠٠ وهكذا ٠

٦ ـ **ذيل المؤلف كل ترجمة** ، في الهامش ، بذكر أهم المصادر والمراجع التي يستطيع الباحث العودة اليها اذا رغب في التوسع والافاضة ، كما أثبت نماذج مصورة كثيرة من خطوط كثير من الأعلام الذين ترجم لهم ، وتوقيعاتهم ، وعناوين كتبهم ، وفيه أيضاً صور شخصية لكثير من المعاصرين ٠

طبع كتاب « الأعلام » أول مرة بمصر سنة ١٩٢٧ م في ثلاثة أجزاء ٠ ثم طبع ثانية وثالثة سنة (١٩٥٩ ، ١٩٧٠ م) في أحد عشر جزءاً ، بعد ادخال زيادات وتراجم جديدة عليه ٠ وأصبح في طبعته الرابعة اللبنانية ١٩٧٩ م ثمانية مجلدات ضخمة ، تفوق سابقاتها من حيث الاكتمال والعناية والاتقان وأصبحت هي المعول عليها فيما صدر بعد ذلك من طبعات مصورة لذلك الكتاب ٠

* * * *

معجم المؤلفين
لعمر رضا كحالة

عمر رضا كحالة : باحث ومؤلف سوري معاصر · ولد في دمشق سنة ١٩٠٥ م وتلقى العلم في مدارسها ، وعلى بعض شيوخها · ثم انصرف الى العمل في التجارة ، ولكن ما لبث أن استهواه البحث العلمي فانصرف الى الكتابة والتأليف · وعين في تلك الاثناء موظفاً في دار الكتب الظاهرية بدمشق ، ثم أصبح مديراً لها · وهذا ما أتاح له المطالعة ومتابعة البحث والتأليف طوال ٣٢ عاماً أمضاها في تلك « الدار » ، موظفاً أو مديراً ، وعمل خلالها بصمت وأناة ومثابرة ، وأمد المكتبة العربية بمؤلفات وموسوعات نفيسة ، حتى بلغ عدد المطبوع من مؤلفاته حتى اليوم ٦٩ كتاباً ، أشهرها : معجم المؤلفين ، ومعجم قبائل العرب ، وأعلام النساء ، والعالم الاسلامي ، ومجموعة « حضارة العرب والاسلام » بمجلداتها الستة · وتوفي سنة ١٩٨٧ م ·

وكتابه الضخم « معجم المؤلفين » يتناول تراجم مصنفي الكتب العربية ، من عرب وعجم ، ممن سبقوا الى رحمة الله ، منذ بدء تدوين الكتب حتى العصر الحاضر : كالجاحظ ، وبديع الزمان الهمذاني ، والفارابي ، والثعالبي ، والمعري ، وابن تيمية ، وابن جبير ، والشهاب الخفاجي ، وعبد القادر البغدادي ، و حمد فارس الشدياق ، ومحمود سامي البارودي ، وحافظ ابراهيم ·

وضم اليهم تراجم الشعراء والرواة الذين جُمعت دواوينهم أو آثارهم بعد وفاتهم : كامرىء القيس ، والحطيئة ، والبحتري ، وأبي العتاهية ، والمتنبي ، وابراهيم طوقان ··

ونذكر فيما يلي أبرز خصائص هذا الكتاب والطريقة التي سار عليها مؤلفه في تنظيمه وترتيبه :

١ ــ **اقتصر المؤلف على المترجمة لمن تركوا مؤلفات باللغة العربية** ، من العرب والعجم ــ متابعاً في ذلك ياقوت الحموي في كتابه « معجم الأدباء » ــ **الا أنه اكتفى باثبات من عرف تاريخ ولادته ووفاته منهم ، أو عرف الزمن الذي كان حياً فيه** ·

٢ ـ رُتب الكتاب على الحروف الهجائية ، من « باب الهمزة » الى « باب الياء » بحسب الحرف الأول من اسم المترجَم ، مع مراعاة الحرف الثاني ، وما بعده أيضاً ، في اسمه ، واسم أبيه وجده · فاذا اتفق اسما الأبوين في ترجمتين متواليتين روعي الحرف الأول من اسم الجد · واذا أغفل اسم الأب أو الجد ، حلت محلهما الشهرة أو اللقب أو النسبة في الترتيب ، مع اسقاط « ال » التعريف وكلمة « أبو » من الاعتبار · **وهذان مثالان لاسمي « أبان » و «أديب» يوضحان طريقة المؤلف في ترتيب تراجمه :**

١ ـ أبان بن تغلب بن رباح ·· (··· ـ ١٤١ هـ)
(··· ـ ٧٥٨ م)

أبان بن عبد الحميد بن لاحق ··· (القرن الثاني الهجري)
(القرن الثامن الميلادي)

أبان بن عبد الملك النخعي ··· (القرن الثاني الهجري)
(القرن الثامن الميلادي)

٢ ـ أديب بن عبد الله اسحاق الدمشقي (١٢٧٢ ـ ١٣٠٢ هـ)
(١٨٥٦ ـ ١٨٨٥ م)

أديب عزة (كان حياً قبل ١٢٨٥ هـ)
(كان حياً قبـل ١٨٦٨ م)

اديب بن محمد بن سعيد التقي (١٣١١ ـ ١٣٦٤ هـ)
(١٨٩٣ ـ ١٩٤٥ م)

أديب نظمي (···· ـ ١٣٣٧ هـ)
(···· ـ ١٩١٨ م)

٣ ـ **في ترجمة كل علم** ، يبدأ المؤلف ـ كما رأيت ـ بذكر اسم المترجَم وشهرته ، وبجانبه ولادته ووفاته ـ أو الزمن الذي كان حياً فيه ـ بالتاريخين الهجري والميلادي · وتحت هذا العنوان يترجم للعلم باختصار ، ذاكراً نسبته وكنيته ولقبه ، واختصاصه في العلم ، وشهر ولادته ومكانها ، ونشأته ، ومن أخذ عنهم ، والمناصب التي تولاها ومكان وفاته · وينهي الترجمة بذكر مؤلفات المترجَم اذا كانت اقل من خمسة ، والا اكتفى بخمسة كتب للذين أكثروا من التصنيف ، ينتخبها من علوم متنوعة تمثل مختلف الجوانب الفكرية للمترجَم ، دون النظر الى قيمتها العلمية ·

ويذيل المؤلف كل ترجمة بذكر مصادرها المختلفة ، فيبدأ بالمصـــادر المخطوطة ويشير اليها بحرف « خ » ، فالمطبوعة ب « ط » ، فالمجلات بـ « م » ، فالجرائد ب « ج » • وعندما يذكر المجلات أو الجرائد يشير الى السنة أو المجلد بحرف « س » أو بكلمة « السنة » ، والى العدد أو الجزء ب « ع » أو بكلمة « العدد » ، وقد يكتفي بذكر رقم السنة أو المجلد ، بدلا من حـــرف « س » •

وهذا مثال لطريقة المؤلف في الترجمة وذكر مصادرها :

محمد البوصيري (٦٠٨ ـ ٦٩٤ هـ)
(١٢١١ ـ ١٢٩٤ م)

محمد بن سعيد بن حماد بن محسن بن عبد الله الصنهاجي ، الدلاصي ، البوصيري (شرف الدين ، أبو عبد الله) صوفي ، من أهل الطرق ، ناظم ، ولد بدلاص في أول شوال ، ونشأ في أبو صير ، وتوفي بالاسكندرية • من آثاره : قصيدة الكواكب الدرية في مدح خير البرية ، المعروفة بالبُردة •

(خ) فهرس المؤلفين بالظاهرية •

(ط) الصفدي : الوافي ٣ : ١٠٥ ـ ١١٣
ابن العماد : شذرات الذهب ٥ : ٤٣٢
حاجي خليفة : كشف الظنون ١٣٣١ ، ١٣٤٩
حسن الكوهن : جامع الكرامات ٨١ ، ٨٢
نور عثمانية كتبخانة ٢٣٧
البغدادي : هدية العارفين ٢ : ١٣٨ •••

(م) محمد سعيد باصيل : الحج ٩ : ٩٩ ـ ١٠٣ ، ١٣٥ ـ ١٤١
لواء الاسلام : س٣ ، ع ٦ ، ص ٣٣ ـ ٣٧ ، ع ٨ ، ص ٣٤ ـ ٤٠
محمود عرنوس : المعرفة بالقاهرة ٣ : ٢٨٩ ـ ٢٩٤ •

٤ ـ ولا شك أن العثور على ترجمة العلم مباشرة ، هو من الصعوبة بمكان ـ بهذه الطريقة ـ اما لجهلنا اسمه ومعرفتنا بشهرته أو نسبه فقط ، واما لمعرفتنا اسمه دون اسم أبيه ، وهذا ما جعل المؤلف يُتبع الأجزاء الثلاثة عشر من « معجم المؤلفين » **بجزأين آخرين ١٤ ـ ١٥ لـــلاحالات ، يتضمنان فهرساً هجائياً ـ من باب الألف الى باب الياء ـ للنسب والألقاب والكنى التي**

وردت في **معجم المؤلفين** ، والى جانب كل منها اسم المترجَم واسم أبيه ، مع رقمي الجزء والصفحة اللذين وردت فيها ترجمته ٠

واذا تشابهت النسب أو الألقاب أو الكنى ، عمد المؤلف الى توضيح كل منها ببعض الصفات ، لتمييزها عن غيرها ٠ **ومثال ذلك في باب الطاء :**

الطباخ (الحلبي) = محمد راغب ٩ : ٣٠٥
الطباخ (المقرىء) = محمد الطباخ ١٠ : ١٠٣

وفي باب القاف :

ابن قتيبة (الأصفهاني) = ابراهيم بن قتيبة ١ : ٧٧
ابن قتيبة (الثقفي) = بكار بن قتيبة ٣ : ٥٤
ابن قتيبة (الدينوري) = عبد الله بن مسلم ٦ : ١٥٠ ، ١٣ : ٤٠٢

وقد بذل المؤلف جهوداً كبيرة لجمع اكبر عدد من التراجم في كتابه ، وذكر كل ما يرشد الباحث الى ضالته المنشودة بلا عناء ولا نصب ٠ واعتمد على كثير من المصادر العربية والأجنبية ، وتحرى الحقيقة والصواب ، ما استطاع الى ذلك سبيلا[1] ٠

ظهرت الطبعة الأولى من « معجم المؤلفين » في دمشق ، بأجزائه الخمسة عشر، بعد أن امتدت طباعته عدة سنوات ١٩٥٧ ــ ١٩٦١ م ٠ ثم صورت هذه الطبعة في بيروت ، كما هي ٠

وبعد بضع وعشرين سنة ، أنجز مؤلفه مجلداً آخر ضخماً ، في ٨٩٣ صفحة، سماه « المستدرك على معجم المؤلفين » ، وطبع هذا المجلد في بيروت سنة ١٩٨٥م٠ ويتضمن عدة ملاحق :

١ ــ ترجمة لمؤلفه عمر رضا كحالة ، بقلمه ، مقدارها ثلاث صفحات ٠

---

(١) ومع ذلك ، وقعت في الكتاب هنات وهفوات لا يخلو منها أمثاله ، ولا تنال من منزلته ، بعد أن نهض صاحبه وحده بعبء تأليفه واعداده ٠ وقد نشر ادريس القيطوني ، من المغرب ، جملة من الملاحظات على الكتاب في مقالته « نظرة في معجم المؤلفين » التي نشرها في مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ٤٢ : ٢٩٩ ــ ٣٢٠ لسنة ١٩٦٧ ٠

٢ ـ تراجم المصنفين الذين فات المؤلف ذكرهم ، أو ذكر آثار أخرى لهم ، في أصل كتابه ، أو تراجم الذين توفوا في السنوات التي أعقبت ظهور الطبعة الاولى من الكتاب ، مع اضافات واستدراكات أخرى • ورتبت الأسماء كلها على حروف المعجم « ص ١١ ـ ٨٥٧ » •

ويلاحظ أن المؤلف أطال في كثير من التراجم ، هنا ، كما أنه لم يكتف بذكر خمسة مصنفات لكل صاحب ترجمة ، بل زاد على ذلك في كثير من الأحيان، خلافاً لما جرى عليه في أصل كتابه •

٣ ـ تراجم لأعلام جدد لم يذكروا في الأصل ولا في المستدرك • وعددهم ٤٩ ومعظمهم من المعاصرين (ص ٨٥٩ ـ ٨٦٥) • وقد رتبت أسماؤهم على حروف المعجم •

٤ ـ ملحق بأعلام ذكروا في أصل الكتاب ومعظمهم من القدماء ، وظفر المؤلف بفوائد يسيرة تتعلق بتراجمهم ومصادرهم وآثارهم ، لم يتح لـه اضافتها في مواضعها من القسم الثاني من مستدركه هذا ، فأضافها هنا ، ورتب أسماء أصحابها على حروف المعجم أيضاً ، (ص ٨٦٧ـ٨٩٣)[1] •

• • •

---

(١) يفتقر هذا المجلد برمته الى فهرس هجائي شامل للنسب والألقاب والكنى ، شبيه بما صنعه المؤلف في جزأي الاحالات (١٤ ـ ١٥) ، لتتحقق الفائدة منه على الوجه الاكمل •

كما يحتاج هـذا المجلد نفسه الى جدول تصحح فيه الاغلاط المطبعية الكثيرة التي تناثرت في صفحاته • ويبدو أن المؤلف لم يشرف بنفسه على طباعة الكتاب وتصحيح تجاربه •

أعــلام النساء

لعمر رضا كحالة

هذا الكتاب « أعلام النساء في عالمي العرب والاسلام »(١) يترجم لأكبر عدد أمكن المؤلف جمعه من أعلام النساء في العالمين العربي والاسلامي ، منذ **أقدم العصور** حتى العصر الحديث ، ممن كان لهن أثر بارز في العلم والحضارة والأدب والفن ، والسياسة والدهاء ، والنفوذ والسلطان ، والبر والاحسان ، والزهد والورع ٠٠ وبذلك يكشف لنا صفحات ناصعات من تاريخ المرأة في تراثنا وحضارتنا على مدى قرون متعاقبة : كالخنساء ، وخولة بنت الأزور ، ورابعة العدوية ، والزبّــاء ، والملكة بلقيس ، وشجرة الدر ، وملك حفني ناصف ، ووردة بنت ناصيف اليازجي ٠٠ الخ ٠

ومن ثم ، كان هذا الكتاب أوفى مرجع حتى اليوم لتراجم شهيرات النساء، حتى بلغ عددهن فيه حوالي ٢٦٠٠ امرأة ، من عصور مختلفة ، وقد وقف المؤلف عند نهاية الثلث الأول من القرن العشرين تقريباً ،٠ ولم يترجـم من المعاصرات الا للنساء اللواتي أدركتهن الوفاة ٠

وقد سار عمر رضا كحالة في كتابه وفق المنهج التالي :

١ ـ رتب أسماء النساء على **الحروف الهجائية ، من الهمزة الى الياء** ، اسوة بالموسوعات العلمية والتاريخية والمعاجم اللغوية لتكون تلــك الأسماء قريبة المتناول ٠ فاسم « **آمنة** » في باب الهمزة ، و « **حليمة** » في باب الحاء ، و « **شجرة الدر** » في باب الشين ٠٠ وهكذا ٠

٢ ـ **وأهمل صدور الأسماء** التي تبدأ بلفظ « أم » أو « **ابنة** » أو « **بنت** » أو « **أخت** » ، وأخذ الجزء الثاني من الاسم ـ أي المضاف اليه ـ فوضعه في مورده من الباب :

فأم تأبط شراً : في باب التاء
وابنــة الحــكم : في باب الحاء

---

(١) سبق التعريف بمؤلفه ص ٢١٣ عند الكلام على كتابه « معجم المؤلفين » ٠

وبنت الشريف المرتضى : في باب الشين

وأخت الحاجز الأزدي : في باب الحاء

٣ ــ **واذا تعددت أسماء المرأة أو ألقابها** ، فان المؤلف يحيل القارىء الى الاسم الأكثر ثبوتاً وشيوعاً · ففي باب التاء يذكر « **تماضر** بنت عمرو » ويقول لك : « انظر **الخنساء** بنت عمرو » · أي في باب الخاء · وفي باب العين يذكر « **أم العز** بنت أبي حيان » ويكتب الى جانب اسمها : « **نُضار** بنت محمد بن يوسف » حيث يحيلك الى باب النون ·

٤ ــ **وتراجم النساء في الكتاب تختلف طولا وقصرا وتوسطا** ، بحسب شهرة المرأة نفسها ، فقد **تقصر** ترجمتها حتى تصبح جملة أو جملتين ، كقوله : « عائشة بنت المقدم : محدثة ، سمعت سنن الدارقطني » · وقد **تطول الترجمة** وتتخللها الأخبار والأشعار ، كما في ترجمة « عائشة بنت أبي بكر الصديق » التي بلغت ١٢٣ صفحة ·

٥ ــ وقد ذيل المؤلف كل ترجمة بالمصادر التي رجع اليها واستمد منها مادة الترجمة ، سواء أكانت مطبوعة أم مخطوطة ، مستفيداً في ذلك من ذخائر المكتبة الظاهرية بدمشق ، لتساعد القارىء على التوسع في البحث والاطلاع ، وتأخذ بيده الى تفصيلات أخرى لم يتسع لها حيز **الكتاب** · **الا أن المؤلف** ــ عندما يسرد المصادر ــ **يكتفي** بذكر اسم المصدر ومؤلفه ، ويغفل ذكر الصفحات التي وردت فيها الترجمة ، ومكان طبع الكتاب وتاريخه ·

ومن هذا كله ، ندرك أن كتاب « أعلام النساء » يسد ثغرة واسعة في بابه ــ شأن كتابي « معجم المؤلفين » و « معجم قبائل العرب » للمؤلف نفسه ــ فهو مرشد ميسر للباحثين ، يخفف عنهم كثيراً من العناء الذي يصادفونه في السعي وراء تراجم النساء ، ويغنيهم عن التنقيب في بطون الاسفار المطبوعة والمخطوطة ، كما أن هذا الكتاب يميط اللثام عن الأدوار المختلفة التي مرت بها المرأة في تاريخ العرب والاسلام ، وذلك من خلال ما حوته تراجم النساء من أخبار وأشعار وفوائد تتعلق بمختلف جوانب الحياة ، الأدبيــة والاجتماعية والاقتصاديــة والسياسية ، وما الى ذلك ·

طبع كتاب « أعلام النساء » مرتين بدمشق ، الأولى سنة ١٩٤٠ م ، والثانية سنة ١٩٥٩ في خمسة أجزاء تشتمل على ألفي صفحة تقريباً · وقد اضاف

المؤلف الى الطبعة الثانية عدداً آخر من شهيرات النساء اللواتي عثر عليهن بعد الطبعة الأولى • وفي آخر كل جزء من الأجزاء الخمسة فهرس هجائي بأسماء اعلام النساء اللائي وردت تراجمهن في هذا الجزء •

ونورد ، فيما يلي ، مثالا من كتاب « أعلام النساء » يتضمن الترجمة الكاملة لزرقاء اليمامة ، كما جاءت في باب الزاي :

زرقاء اليمامة(١)

كانت ترى الجيش من مسيرة ثلاثين ميلا • فغزا قومها طسم في جيش حسان بن تبع ، فلما صاروا بالجوف على مسيرة ثلاثة أيام ، صعدت فنظرت الى الجيش وقد امروا أن يحمل كل رجل منهم شجرة يستتر بها ، ليلبسوا عليها • فقالت : يا قوم ، قد أتتكم الشجر(٢) أو اتتكم حمير •• فلم يصدقوها ، وقالوا لها : قد خرفت وذهب عقلك ، ورق بصرك • فقالت على مثال رجز :

أقسم بالله لقد دب الشجر   أو حمير قد أخذت شيئا يجر

فلم يصدقوها • فقالت : حلف بالله ، لقد ارى رجلا ينهس كتفا ، أو يخصف النعل • فلم يصدقوها ، ولم يستعدوا ، حتى صبحهم حسان واجتاحهم • فأخذ الزرقاء فشق عينيها ، فاذا فيهما عروق سود من الأثمد ، من كثرة ما كانت تكتحل به • وكانت أول من اكتحل بالأثمد عند العرب •

(الأغاني للأصبهاني • صبح الاعشى للقلقشندي • العقد الفريد لابن عبد ربه • جمهرة الامثال للعسكري • مجمع الأمثال للميداني • فرائد اللآل للأحدب) •

---

(١) قال الجاحظ . انها من بنات لقمان بن عاد . وان اسمها عنتر • وقال العسكري : اسمها « اليمامة » ، وبه سمي بلدها . وهي من بنات لقمان بن عاد • وقيل : من جديس •

(٢) أي احتال من غزاهم ، فقطعوا شجراً وامسكوها أمامهم بأيديهم . لتستر كل شجرة منها الفارس اذا حملها •

معجم البلدان

لياقوت الحموي

نشأ علم الجغرافية عند العرب في القرن الثالث الهجري ، وان كان لهم منذ جاهليتهم رحلات تجارية في الشتاء والصيف ، وأخرى في بوادي الجزيرة • وقد أسهمت عوامل مختلفة في نشوء ذلك العلم أو التمهيد له ، منذ القرن الثاني ايام الدولة الأموية : كالرغبة في حسن جباية الأموال ، وادارة الولايات ، وانشاء البريد ، الى جانب الاهتمام بالحج ومنازل الحجاج ، ومواضع الاحرام•

كل ذلك كان له أثره في نمو المعارف الجغرافية ، والاهتمام بالأقاليم والمدن وما اليها ، يضاف الى ذلك تتابع الأسفار التجارية والرحلات التي جاب أصحابها بلدانا كثيرة ، ودونوا مشاهداتهم وانطباعاتهم منذ العصر العباسي فما بعده من العصور •

واشتهر عدد من الرحالة والجغرافيين على توالي العصور ، تركوا لنـــا مؤلفات قيمة في هذا العلم ، بعضها ذو طابع جغرافي صرف ، من حيث وصف الممالك والبلاد ومسالكها وحدودها ، وصور أقاليم الأرض ، ومدنها وبحارها . وبعض تلك الكتب كان دافعها الرحلات الطويلة في البلاد العربية والاسلامية ، فاتخذ أصحابها مناهج مختلفة في تدوين أحوال تلك البلاد ، اما من خلال الانتقال والأسفار ، بحسب الاقاليم والمناطق ، واما من خلال ترتيب اسماء البلاد والمناطق ترتيباً معجمياً على حروف الهجاء •

وممن نبغ في هذا الميدان : ابن خرداذبه ، واليعقـــوبي ، والمقدسي ، والهجري ، والاصطخري ، وابن جبير ، وابن بطوطة ، وياقـــوت الحموي ، وغيرهم •

وكتاب ياقوت الحموي : « معجم البلدان » يعد « من أشهر المعاجم الجغرافية وأكثرها نفعاً وتداولا حتى اليوم ، وهو ثمرة جهد جبار بذله المؤلف في الارتحال والمطالعة والتسجيل • والحق ان جميع البحاثة في مجالات التاريخ والبلدان والجغرافيا في العالم الاسلامي مدينون للمؤلف بهذا الجهد الضخم »[1] •

---

(١) المصادر العربية والمعربة ، لماهر حمادة ٢٩١ • وسبق التعريف بياقوت ص ١٩٥ •

وقد افاد ياقوت كثيراً من رحلاته وأسفاره في ايران وبلاد العرب ، وآسية الصغرى ، ومصر ، والشام ، وبلاد ما وراء النهر ، وخراسان ، ومكنته هذه الأسفار من جمع المواد اللازمة لكتابه النفيس ٠

وكان مما دفعه الى تاليف هذا الكتاب اختلاف الناس في ضبط أسماء البلدان والأمكنة والبقاع ، وافتقار الباحثين والمتعلمين الى كتاب في هذا الشأن يرجعون اليه ويعتمدون عليه ٠

وقد اعتمد ياقوت في تاليف كتابه وجمع مواده على مصادر ثلاثة :

١ ــ ما دونه كبار الجغرافيين السابقين من العرب والمسلمين ، مثل : ابن خرداذبه ، والبلخي ، والاصطخري ، وابن حوقل ، وأبي عبيد البكري ، والمقدسي ٠٠٠

٢ ــ كتب المحاضرات وتاريخ الأدب وما اليها مما الفه المحدثون قبله ، كالأغاني ، والأمالي للقالي ، والعقد الفريد ، والكامل للمبرد ، وعيون الأخبار لابن قتيبة ، وغيرها ٠

٣ ــ ما تلقاه مشافهة من أفواه الرواة ، وما شاهده بنفسه خلال أسفاره وتطوافه ، واتصاله بالعلماء الذين التقاهم وهو يتنقل من بلد الى آخر ٠

وقد رتب ياقوت كتابه « معجم البلدان » على حروف المعجم ، من الهمزة الى الياء ، فدمشق في حرف الدال ، وحلب وحماه وحمص في حرف الحاء ، ومنبج في حرف الميم ٠٠ وهكذا ٠ وهو يراعي أيضاً الحرف الثاني والثالث ٠٠ في اثبات كل مادة ، ولا يقتصر على ذكر المدن الكبرى بل بذكر الأقضية والنواحي والقرى المختلفة والمياه التي كان لها وجود في أيامه ، مهما صغر شانها ، وقل أن يفوته شيء منها ٠

وهو في ذكره للمواضع ، يضبط أسماءها ضبطاً دقيقاً ، ويبين اشتقاق هذه الأسماء وصيغها ، ثم يحدد الموضع وموقعه الجغرافي عرضاً وطولا ، والمسافات بينه وبين ما يجاوره من المواضع الأخرى ، **ويعرج على طباع أهله وخواصه الطبيعية ومعادنه ، والحوادث التاريخية التي جرت فيه** ، وما اشتهر به من العادات ، وما ينتجه من غلال ومزروعات ، ومن خرج منه أو نسب اليه من العلماء والشعراء والأمراء والزهاد ٠

ويورد خلال ذلك كله كثيراً من الأخبار والأشعار ، والطرائف والقصص الخاصة والعامة ، وربما ذكر بعض الخرافات الذائعة في عصره ، مما تأباه العقول السليمة ، ولكنها لم تغب عن ذهنه ، وهو يعتذر عن ذلك بأنه ذكرها حرصاً على احراز الفوائد ، وأوردها كما سمعها ، والعهدة فيها على رواتها ٠

وهكذا فان ياقوتاً في كتابه هذا يبدو مؤرخاً،واخباريا ولغويا ، وجغرافيا، ونسابة وأديباً ، لأن كتابه يضم هذه الميادين كلها ، فجاء « معجم البلدان » كتاباً جامعا ، كله علم وأدب ، بل هو مكتبة في كتاب ، وصاحبه مؤلف بارع ، واسع الاطلاع ، غزير المعلومات ، ناظم لأشتات الفرائد والفوائد ، قادر على ترتيبها وتنظيمها وتيسير الاستفادة منها ٠

وهذا الكتاب خير نتاج لياقوت ، يمثل ثقافته الواسعة المتنوعة المنظمة ، واذا كان الجمع سمة بارزة فيه ، فان مما يرفع منزلته اعتماده القوي على التنظيم الواعي والمنهج السليم ٠ وهو حقاً ــ كما يقول ياقوت نفسه ــ « أوحد في بابه ، مؤمر على جميع أضرابه وأترابه ، لا يقوم بمثله الا من أيد بالتوفيق ، وركب في طلب فوائده كل طريق » ٠

ومع ذلك كله فان ياقوتاً لا يصعر خده مختالا ، ولا يستبد به الغرور ، شأن كثير من أدعياء العلم والمعرفة ، بل يقول في تواضع جم : « ولا أدعي أنني لم أغلط ، ولا شمخ بأنني لم أك في عشواء أخبط ، والمقر بذنبه يسأل الصفح، فان أصبت فهو بتوفيق الله ، وان أخطأت فهو من عوائد البشر » ٠

* * * *

طبع « معجم البلدان» في أوربا ١٨٦٨ م ، ومصر ١٣٢٣ هـ ، ولبنان ١٩٥٧ م ، في عدة مجلدات يختلف عددها وحجمها بحسب كل طبعة ٠ على أن طبعة مصر ــ وهي في ثمانية أجزاء ــ انفردت بأن ناشرها « أمين الخانجي » أضاف اليها جزأين آخرين بعنوان « **منجم العمران في المستدرك على معجم البلدان** » ضمنهما ما أغفله ياقوت من المدن والمواضع المختلفة ، وجرى فيهما على طريقة ياقوت ، من حيث الترتيب الهجائي للمواد ، والتعريف بها ٠

● ● ●

الفهارس العامة



فهـرس الأعـلام المترجَمـين[1]

(١) ذكرنا في هذا الفهرس أسماء كل من وردت لهم ترجمة ، من مؤلفين وغيرهم .

● ●

فهـــرس الأشـــعار

فهـرس التعريفـات والمصطلحـات

فهـرس أسـماء الـكتب(١)

(١) ذكرنا في هذا الفهرس أسماء الكتب التي ورد تعريف بها ، وان كان يسيراً ، أو كانت موضع دراسة ، سواء أكانت هذه الدراسة مفصلة أم موجزة ·

كشف الظنون : لحاجي خليفة « ــ ١٠٦٧ هـ » ٢٠٩

لاروس ، المعجم العربي الحديث : خليل الجر ١١٩

لسان العرب : لابن منظور « ــ ٧١١ هـ » ٩٤

لسان العرب المحيط : نديم مرعشلي ، ويوسف الخياط ٩٦ ــ ٩٧ ، ١٢٠

ما جاء على فعلت وأفعلت بمعنى واحد : للجواليقي « ــ ٥٤٠ هـ » ٦٧

مبادىء اللغة : للخطيب الاسكافي « ــ ٤٢١ هـ » ٧٤

متخير الألفاظ : لابن فارس اللغوي « ــ ٣٩٥ هـ » ٧٣

مثلثات قطرب : لمحمد بن المستنير ، الملقب بقطرب « ــ ٢٠٦ هـ » ٦٥

مجمل اللغة : لأحمد بن فارس « ــ ٣٩٥ هـ » ١٠٢

مختار الصحاح : لمحمد بن أبي بكر الرازي « ــ ٦٦٦ هـ » ٩٤ ، ١٢٠

مختارات البارودي : لمحمود سامي البارودي « ــ ١٩٠٤ م » ٤١

مختارات من الشعر الجاهلي : لأحمد راتب النفاخ ٤٧

المخصص : لابن سيده الأندلسي « ــ ٤٥٨ هـ » ٧٦

مد القاموس : لأدوار لين « ــ ١٨٧٦ م » ١١٩

مراتب النحويين : لأبي الطيب اللغوي « ــ ٣٥١ هـ » ١٩١

المرجع : لعبد الله العلايلي ١١٨

المستدرك على معجم المؤلفين : لعمر رضا كحالة ٢١٦

المعجم لعبد الله العلايلي ١٠٩

معجم الأدباء : لياقوت الحموي « ــ ٦٢٦ هـ » ١٩٥

معجم الأعلام : لبسام عبد الوهاب الجابي ٢٤٧

معجم البلدان : لياقوت الحموي « ــ ٦٢٦ هـ » ٢٢١

معجم الشعراء : المرزباني « ــ ٣٨٤ هـ » ١٨٢

معجم فيشر : للمستشرق فيشر « ــ ١٩٤٩ م » ١٢٠

● ●



تصحيح واستدراك

صادفتنا في أثناء طباعة الكتاب ، عقبات فنية حالت دون اخراج بعض الحروف والهمزات ، وضبط الكلمات بالشكل على الوجه الاكمل · كما وقعت بعض أغاليط مطبعية نذكرها فيما يلي مع استدراكات ضرورية ، للتصحيح أو الاضافة ·

الصفحة والسطر	الخطأ	الصواب
١٥ : ٢٣	بين الصمة	بن الصمة
٢١ : ١٨	يا ابنة	يابنة
٤٧ : ٨	بعد ١١٢٨ م	بعد ١٩٣٤ م
٥٦ : ١٣	خطة	خطية
٦٠ : ١٦	وسرك	وترك
٧٩ : ٢١	أغصان	أعضاء
١٥٢ : ـ٦	الانشاء	الانشا
١٦٩ : ـ٦	بحس	يحسن
١٧٣ : ـ٨	والمغنيين	والمغنين
١٩٦ : ١٠	المشهوريين	المشهورين
٢٠١ : ١١	ثبته	أثبته(٢)
٢١٦ : ١٦	بعدن	بعد أن
٢٢٠ : ١٣	حلف	أحلف
٢٢٣ : ١٠	الكاب	الكتاب
٢٢٣ : ـ٨	شمخ	أشمخ

●

٦ : يضاف الى الحاشية « ٢ » بعد السطر الأخير منها ، ما يلي :

« هذا ، إلى كتب أخرى تخصصت في المجال اللغوي ، وأفدت منها أيضاً ،

وهي : المعجم العربي : لحسين نصار ، والمعجم العربي بين الماضي

الصفحة

والحاضر : لعدنان الخطيب ، ولحن العامة : لرمضان عبد التواب ، وعلم اللغة العربية : لمحمود فهمي حجازي ، والبحث اللغوي عند العرب : لأحمد مختار العمر ، والمعجم العربي في لبنان : لحكمة كشلي ، واللغة ومعاجمها : لعبد اللطيف الصوفي » ٠

١٧ : سقط من رأس الصفحة العنوان التالي : « **الفصل الأول ـ المجموعات الشعرية المشهورة** » ٠

٤٤ : يضاف بعد « **شرح المعلقات السبع** » س ٢٣ ما يلي :
« د ـ **شرح القصائد العشر** : للخطيب التبريزي ، يحيى بن علي « ـ ٥٠٢ هـ » ٠ طبع مراراً في مصر ولبنان وسورية ٠ وأجود طبعاته تلك التي حققها د٠ فخرالدين قباوة ، والتي ظهرت أول مرة في حلب سنة ١٣٨٨ هـ ـ ١٩٦٩ م ٠ ثم توالى تجديدها » ٠

٥٦ : يضاف بعد السطر ١٣ ما يلي : « وظهرت بعد ذلك طبعة أخرى لكتاب النوادر ، حققها د٠ محمد عبدالقادر أحمد ، ونشرت في بيروت سنة ١٤٠١ هـ ، ١٩٨١م » ٠

٧٠ : يحذف الخط الممتد في السطر ٣٠ تحت عبارة « القاموس المحيط للفيروزابادي » ٠

٩٧ : « الحاشية » : تجدر الاشارة هنا الى أنه ـ حين قارب طبع هذا الكتاب على الانتهاء ـ ظهرت طبعة جديدة من لسان العرب في ١٨ مجلداً ، رتبت أصول المواد فيها بحسب الأوائل ٠ وقد طبعت في بيروت سنة ١٩٨٨ م ، وأشرف عليها ووضع فهارسها علي شيري وهي أول طبعة من « اللسان » يلحق بها مثل هذه الفهارس ٠

١٥٩ : يصحح السطر الرابع من أسفل كما يلي : « والأقاليم ، وأشهر من نسب اليها من الأعلام ، وبالمواضع التي كانت ٠٠٠ » ٠

١٧٧ : الحاشية (١) : يضاف الى طبعات كتاب الأغاني طبعة أخرى انتهت في الآونة الأخيرة ، وهي « **طبعة دار الشعب بمصر** : باشراف وتحقيق ابراهيم الأبياري ٠ نشرت في ٢٩ مجلداً ، ظهر أولها سنة ١٩٦٩ م ،

وآخرها سنة ١٩٧٩ م . ثم صدر من فهارسها مجلدان فقط ، يضم أولهما تتمة أخبار أبي نواس ، فصار مجموع ما طبع منها ٣١ مجلداً» .

١٨٨ : وقع في كلمات السطر السادس ، من أسفل، اضطراب وصوابه ما يلي: « لخص فيه اللباب ، وأنجز هذا العمل في سنتين ، واحتفظ بتلك المسودة مدة ، ثم » .

٢١٢ : تضاف العبارة التالية في أسفل الصفحة ، بعد السطر الأخير : « واختصره بسام عبد الوهاب الجابي في مجلد واحد ضخم ، بعنوان « معجم الأعلام » مقتصراً فيه على ضبط الاسم ، وذكر تاريخي الولادة والوفاة ، وقد يورد أحياناً تعريفاً موجزاً جدا بالعلم ، وغايته توفير الاعانة المبدئية والسريعة للباحث . وقد طبع هذا المجلد في قبرس سنة ١٤٠٧ هـ = ١٩٨٧ م » .





الفهرس

الفهـــــارس العامـــــة

● ●







مطبعة دار الكتاب - دمشق

سعر البيع
للطلاب ١٠٠ ل.س